



كتاب التراث الشعبي

١

١٩٨٦

عادات وتقاليده الحياة الشعبية العراقية

اعداد وتقدير

د. باسمة عبد الحميد حمودي

كتاب «التراث الشعبي»

سلسلة كتب تبحث في عالم الآثار والتراث الشعبية

رئيس مجلس الإدارة: د. محسن جاسم الموسوي

رئيس التحرير: باسم عبد الحميد حمودي

في تقاليد دورة الحياة العراقية

باسم عبد الحميد حمودي

دورة الحياة تتمثل في الميلاد والوفاة وما بينهما من تفاصيل عريضة تتصل
بافراح الانسان واحزانه ، وممارساته الشخصية المثقلة بتأثير المجتمع
المعاش بكل صورها .

لقد حاولنا في هذا الكتاب الجامع ان نقدم للقارئ المامة بتفاصيل دورة
الحياة في العراق معتمدين على جهد الكتاب الذين رادوا في هذا المجال
واعطوا دون منة في حقل دراسات التراث الشعبي العراقي .

لقد اعتمدنا مجلدات «التراث الشعبي» في اختيار هذه البحوث التي
جاءت مغطية - كما نأمل - للمساحة الجغرافية والاجتماعية مفردتين بحثين
عامين اولاهما في دورة الحياة في الوطن العربي وثانيهما في التراث الشعبي
المقارن سدا للضرورة الخاصة في محاور من هذا النوع .

اننا نعتزف مسبقا ان في حياة الشعب العراقي وفي تقاليده ومأثوراته الكثير من التفاصيل الغزيرة التي لا يجمعها كتاب مفرد وان الأمر يحتاج الى سلسلة بحوث ودراسات لالكي تقرّبنا من الماضي القريب فهو ماضى متواصل مع الحاضر الغني ولكن لتستطيع ان تضع امامنا صورة التقاليد الشعبية الاصيلة بكاملها وماذاك بمستطاع في كتاب فرد.

ان الهدف الاساس من جمع وتوثيق صيغ التقاليد والعادات الشعبية ليس الحفاظ عليها بل استخدامها كمادة اجتماعية من اجل الدرس والتحليل في مختلف الدراسات واطلاع القارئ الكريم على صور الماضي القريب الذي تكفلت عجلة التطور الاجتماعي بتغييره.

انها خطوة على الطريق تخطوها مجلة (التراث الشعبي) تضع فيها امام القارئ الكريم الجوانب الاساسية من دورة الحياة في العراق آملة ان يتسع ميدان البحث لدراسات اوسع.

اننا نجد من الضروري هنا ان نحبي روح الريادة في بحوث من اخترنا لهم، ومن لم نختر بسبب تشابه المادة او تكرار موضوعها - معبرين عن شكرنا لدار الشؤون الثقافية العامة لرعايتها مشروع كتاب «التراث الشعبي» الذي يعتمد المحاور المختارة في هذا الحقل الجميل والشاق معا خدمة للقارئ ولحركة الثقافة في القطر وعموم الوطن العربي

ملاح تراثية مشتركة في تقاليد دورة الحياة العربية

لطفي الخوري

التراث الشعبي علم من العلوم الانسانية ، له وظيفته الاجتماعية في حياة الانسان ، ولا تلهم هذه الوظيفة الا على ضوء دراسة التقاليد الاجتماعية لها ، فاذا تغيرت الحياة الاجتماعية ، غابت بعض من هذه التقاليد والعادات واختلت ، ولكن هذا لا يمنع من ظهور تقاليد جديدة تؤدي وظيفة جديدة .

ان للتراث الشعبي العربي عناصر مشتركة ، لها اساس حضارية واول هذه الاسس ، هو التشابه البيئي للالطاف العربية التي كانت قاعدة بناء حضاري ضخم ، وكذلك التزاوج بين سكان المناطق الصحراوية وبين سكان الوديان الزراعية ، الذي كان له اثر بعيد في حياة المنطقة العربية نتيجة تفاعل مستمر في المجتمع العربي وما له من طابع حضاري متميز .

وعندما نتحدث عن الملاح التراثية المشتركة في تقاليد دورة الحياة العربية او في غيرها من مظاهر التراث الشعبي ، نرجع ذلك الى التعاقب الحضاري الذي سارت فيه المنطقة العربية منذ عصر ما قبل الاسلام الى أن تكاملت الحضارة العربية الاسلامية في مسيرتها ، وما اوجدته هذه المسيرة من نمط معيشي متقارب ، ومن وضع اجتماعي وفكري متماثل ، ومن تجارب مشتركة في ميادين الحياة كلها ، نتيجة للاتصال المستمر بين اجزاء المنطقة كلها ، ونتيجة للصياغة الدينية واللغوية التي ميزت المنطقة عما حولها من مناطق ،

ان هذا التعاقب الحضاري يعني تدخلا بين جميع مراحل التاريخية
ويعني بالتالي الاحتفاظ بعلامات قديمة تصاغ صياغة جديدة . ان العصر
الحاضر الذي يشهد هذا التطور الحضاري السريع ، يحدث تغييرا عميقا
في الحياة الاجتماعية في مختلف مضامينها وابنائها ، مما قد يؤدي الى
زوال عادات - وتقاليد ، وقد يؤدي ايضا الى ظهور تقاليد وطقوس تحمل
محلمها ، كما حدث في العديد من المجتمعات ، ان هذه المآذات تؤدي بوجودها
وظيفة اجتماعية ، تستقط وتغير بتغير الحياة الاجتماعية ذاتها ، وهذا ما
سنجده عند كلامنا عن الملامح التراثية المشتركة موضوع بحثنا هذا .
تنقسم دورة الحياة الى ثلاث مراحل :-

١ - الولادة

٢ - الزواج

٣ - الوفاة

لكل من هذه المراحل تقاليد وعاداتها ، ولغرض الوقوف على
اللامح التراثية المشتركة علينا ان نوجز ما استطعنا عرض هذه التقاليد
والعادات في بعض الاقطار العربية ، على قدر ما لدينا من مصادر .
اولا - الولادة

لعل من ابعج الامور التي تنسب بها العائلة العربية هي ولادة الاطفال
فهم زينة الحياة ، وهم في نفس الوقت ثمرة الحياة الزوجية فكان الاحتفاء
بقدمهم مناسبة عائلية رائعة وخاصة الذكور منهم ، اذا ما زالت بقايا
ظاهرة كراهية ولادة البنات قائمة حتى يومنا هذا ، وخاصة في المناطق
الريفية في بعض الاقطار العربية ، وقد ورثنا هذه الظاهرة في عصرنا ما
قبل الاسلام ، ويحدثنا الاضرمعي ان امرأة ولدت لرجل بنتا سميتها
الدلفاء ، فكانت ولادة هذه البنت سببا في هروب الرجل من البيت
فقال :
فقال :

ما لابي الدلفا لا ياتنا

يظل في البيت الذي يلىنا ؟

يخرد ان لا نلد البينا

واما نأخذ ما يعطينا

وفي القرآن الكريم : « واذا بشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به . أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ » لاساء ما يحكيون » . وفي هذه الآية وصف للحالة التي كان فيها الأب عند اخباره بميلاد بنت له .

قلنا أن ظاهرة كراهية ولادة البنات مازالت قائمة في بعض الاقطار العربية ، ونجد في بعض البيئات الفلسفية - على سبيل المثال ، حيث يعلق الناس أهمية كبيرة على جنس المولود ويفضلون الذكور ، تعامل الام التي انجبت بنتا معاملة سيئة ، فلا يقيم لها طعام جيد ، وتقابلها حساتها بالتجهم وقد لا تلقى معاملة حسنة من زوجها ، وفي مصر قد تميز الام اذا ما انجبت بنتا وقد عبر المقطع التالي من اغنية شعبية عن مشاعر الام اذا ما انجبت ولدا وتلك التي ولدت بنتا .

لما قالوا ده ولد انشد ضهرى وانسند
ولما قالوا دى بنينة انطبقت الدمار على

ونجد في القطر السوري ، ان هذه الظاهرة تنعكس بعدم اكرام ام البنت مثل اكرام ام الصبي ولا تهدي لها الهدايا ولا يحتفل بها احتفالهم بام الولد . وفي ليبيا نجد فتورا في مظاهر الفرح والتبريك اذا كان المولود انثى . اما في اليمن فان انجبت الام ذكرا اعطيت كسوة كاملة من اهلها وان كان المولود انثى اعطيت دثارا فقط . ونجد في العراق ان تفضيل الذكر على الانثى هو الاعتقاد ان البنت من حظ زوجها في المستقبل وانها لا تستطيع ان تلعب دورا مهما في الحفاظ على مكان بيت ابيها في حالة وفاته بدون ان يخلف وريثا ذكرا ، وينسحب هذا الاعتقاد على معظم الاقطار العربية ونجد ان الناس يكونون الاب باسم الذكر ، فان جاء المولود بنتا فانهم يكونونه باسمها بصورة مؤقتة الى ان يرزق بولد ذكر .

على ان هذا كله لا ينقص من مكانة البنت في المجتمع العربي ككل فنجد الام المغربية ، تهمد لطفاتها قائلة :

بنتي فوطا د تحرير
والذهب في حواشيها ،
م تباع م تشرى
م ينعطى مال فيها

فهي اغلى من الذهب واعظم من كل مال .
ونجد في الاردن عبر المثلان التاليان عن أهمية البنت لدى الام
الاردنية :

البنت عند الزينين تشرك احسن من الولد الردي
و بنت مليحة ولا ولد قضيحة

وتحظى البنت البكر في فلسطين بمطف كبير ، ويتفاؤل أهلها بقدمها
فيقولون :

اللي يسعدنا زمانها تنجب بناتها قبل صبيانها
وكذلك

أم البنات تمشي وتبات وين الصايغ يا مسعدات
وفي العراق لا يختلف الامر عند أم البنت فتقول :
أم البنات أم البنات تمشي وتبات
وين دوب الصايغ يا مسعدات

ونعود الى ولادة الصبي ، فنجد ان الاحتفاء بميلاده بشعائر تكاد
تقترب من مرتبة التقديس ، فهو وارث لاسم العائلة وتقاليدها وشخصيتها
ومثلها الحضارية واحتياجاتها الاقتصادية ، اذ يقول المثل الشعبي الاردني
« بيت وجال ولا بيت مال » وفي فلسطين يفتخر الوالد بانجاب الذكور،
فتقاس ثروة الاب بعدد اولاده الذكور وبذلك تراه يربط بين عمله وانتاجه
وعدد الذكور التي انجبها فيقول « الاب عنده وجال عنده مال » وفي مصر
تلقى الام كل عناية من امرتها عندما تلد ذكرا ، وفي ليبيا يطهون العصيدة
صبيحة ميلاد الذكر ويكرمون جيرانهم ، وفي اليمن يمطي أهل الوالدة كسوة
كاملة ان كان المولود ذكرا . وفي « ابو ظبي » ومعظم اقطار الخليج العربي ،
يخيل للناس ان العائلة التي انجبت صبيا وكأنها قد ولدت هي من جديد ،
ولهذا يكثر اسم « خليفة » بين ابناء الخليج العربي ، وهو تمييز عن معنى
ولادة الابن ، فالولد حقا خليفة لائلته وفي سورية يسارع احد افراد
العائلة لاختد البشارة من الاب . فينقده هذا شيئا من المال فالمولود ذكر فلم
البخل ، وتنفرج اسارير الاب بالحمد لله تعالى ، وترضع الام وليدها الذكر

من نديها حولين كاملين او اكثر ولا ترضع البنت لاكثر من سنة
وإحدة .

ثانياً - الزواج

انحدرت الينا التقاليد والعادات المتعلقة بالزواج التي كانت سائدة
في نصر ما قبل الاسلام وخاصة تلك التي اثبتها الاسلام . والقاعدة العامة
في الزواج مراعاة علاقة الاصل بالفرع . وكان الزواج المألوف المتعارف عليه
عند غالبية الجاهليين ، هو ان يخطب الرجل الى الرجل وليته او ابنته
فيعين صداقها اي مهرها ويسمي مقداره ثم يعقد عليها ، وهو زواج اليوم
اي الزواج القائم على الخطبة والمهر وعلى الايجاب والقبول .

تنسب عادات وتقاليد الزواج في جميع الاقطار العربية . بشك
عام وان كانت تختلف بعض الشيء في قليل من التفاصيل ، ففي فلسطين
وخاصة في القرى يستطيع الشاب رؤية فئاته وهو الذي يقوم بانتقاء عروسه
بنفسه ، بعكس ابن المدينة الذي يوكل غالباً امه او إحدى قريباته لانتقاء
عروسه ، وتتم اجراءات الخطوبة في القرى الفلسطينية بتقديم نفر من الرجال
كبار السن يقال لهم الجاهة أو الواسطة بطلب يد العروس - رسمياً من
اهلها ، وبعد مشاورة الخال والمم ، وهذه بطبيعة الحال من النظم
الاجتماعية السائدة التي تسمح بتفضيل حق ابن المم حتى على ابن الخال
في الزواج من الفتاة ، وبعد الموافقة يتم دفع المهر عادة يوم الخطبة ، ثم
يحدد موعد الزفاف الذي تستمر مراسيم الفرح فيه عادة اسبوعاً كاملاً
ويحتفل الرجال بالثلاث ليالي الاخيرة منه ، وتخصص إحدى هذه الليالي
للمسوة فقط حيث يقمن بتزيين العروس بالحناء ، ويتم عجن معجون
الحناء في دار العريس وياخذنه في موكب غنائي الى بيت العروس ، حيث
يقمن بحناء يدي العروس حتى الرسغ وقدميها حتى الركبة ثم تتقاسم
النسوة ما بقي من المعجون ويتزين به ، ويكون يوم الزفاف يوماً حافلاً ،
ويحتفل الشباب بالعريس عند خلاقته وعند استحمامه ثم عند زفته .

اما في الاردن فلعل ابرز سمتين من سمات الزواج في الاردن - بصورة
عامة هي الزواج المبكر وزواج الاقارب ، وبقدر ما للزواج المبكر من قيمة
عالية عند الريفيين ، على الاقل ، فان الزواج المتأخر عند سكان المدن هو
المفضل ، ويلاحظ ان سمة تفضيل الزواج من الاقارب ذات قيمة كبيرة عند

معظم الناس من القرويين أو من سكان المدن ، يبدأ الزواج بمرحلة (الطلبة) وهي الخطوة التمهيدية التي تسبق عقد القران ففيها يتم اختيار الشاب للفتاة ، كما تتم فيها إجراءات معينة تملئها القيم والمادات كقراءة الفاتحة والاتفاق على المهر . وقبل ان تتم الخطبة تذهب (البجاجة) وهي وفد من الرجال المقربين الى العريس لطلب يد العروس من ابياها أو ولي أمرها ، ويكون هذا عادة في المساء ، ويتم الاتفاق على المهر ومن الملاحظ ان المهر يرتفع عادة بارتفاع مكانة والد العروس اجتماعيا كما لوحظ ان المهر قد أصبح في هذه الايام شيئا رمزيا ، حتى ان معظم الاباء لا يأخذون مهرا عند تزويج بناتهم ، وقد يعتمد بعض القرويين الى التحايل على المهر فيقومون بزواج (البديل) أو (البدائل) عندما تتفق امرتان على تزويج كل واحدة من الاخرتين ابنتها أو ابنتها لابنة الاسرة الاخرى أو ابنتها دون ان يكون ثمة مهر . ويعبرون عن ذلك بالمثل الشعبي الذي يقول (وأس قبالة وأس ولا تشمت الناس) . وعقد القران هو المرحلة التالية لمراسيم (الطلبة) ويحدد يوم القران الرسمي الذي تجري فيه المراسيم المكتملة بحضور المأذون الشرعي ، ويولي الناس عناية بالغة بمقدد القران أو كتابة الكتاب (يطلق عليه اسم الملاك) ، ويدعى لذلك الاهل والاصدقاء والمقربون من الجيران . اما الوقت المناسب للزفاف أو العرس أو (الجيزة) في معظم القرى الاردنية فهو فصل الصيف ، وبعد بيع المحصولات الزراعية . وجرت العادة ان تبدأ الاحتفالات بالزفاف قبل يومي الاثنين أو الجمعة بثلاثة أيام اعتقادا بان يومي الجمعة والاثنين قد اختصا بالبركة وحسن التوفيق والسعادة . وفي ليلة الحناء تمجن قريبات العريس الحناء ثم يحملنها الى بيت العروس معه وضعها في اوان نحاسية ، وتبدأ عملية حناء العروس ، تتمحن يداها حتى المصم وقدماهما حتى الرسغ ، وفي عشية يوم الزفاف تقام في بيت العريس مسهرة كبرى ، وتسمى ليالي العرس في معظم المناطق الاردنية بليالي (التعليلية) أو (السهرة) وبعد ان تنتهي التعليلة أو السهرة ويتقدم الليل ، يقوم اصدقاء العريس بزفه الى عروسته ويدخل الغرفة التي تجلس فيها .

اما في القطر العراقي وخاصة في الادياف فيكاد يكون الزواج من ابن العم هو النوع الشائع . وهناك نوع ثانٍ يطلق عليه زواج البديل أو زواج

- (الكصة) أو (الصدغ) ، والكصة في اللفظ العامي هي الجبين ، والصدغ معروف في اللغة أي ما بين العين والاذن والمقصود بالمصطلحين المحاذاة أي- التساوي ، ويعني هنا زواج البذل وهو اتفاق عائلتان على تزويج ابن أحدهما لفتاة العائلة الثانية وتزويج فتى العائلة الثانية لفتاة العائلة الأولى وهنا لا يكون للمهر أية قيمة ، إذ تقوم كل من العائلتين بتحضير لوازم الزواج على أن يكون ما تنفقه كل عائلة مساويا لما تنفقه الأخرى .

أما الزواج الاعتيادي أو زواج المهر فهو الشائع الأهم في مختلف الأسر العراقية ، وتكاد لا تختلف تقاليد واسلوب هذا النوع من الزواج بين المدينة والريف وإن تفاوتت بعض الشيء ، فاختيار الزوجة في الريف يقع على عاتق ، والدلة الفتى ، إذا لم يكن الفتى قد وقع اختياره على فتاة معينة ، والمظهر الأول بعد الاختيار هو الاتفاق على المهر بعد موافقة عاتلة الفتاة على طلب عاتلة الخاطب ، والعرف السائد في الريف العراقي هو أن تذهب أم الفتى أو إحدى قريباته مع جمع من نسوة القرية يطلبن يد البنت من أمها ، بعد أن يكون قد تم الاتفاق قبلا بين أم الفتى أو قريبته ، وتطلب أم الفتاة أن يفتح والد الفتاة للحصول على موافقة يفتح هذا من قبل والد الفتى ومن معه من الأقارب والأصدقاء ثم يبدأ الاتفاق على مبلغ المهرين المجل والمؤجل . والمادة أن تقوم عائلة الفتاة بمتطلبات عرس الزوجية الجديد بعد استلامها للمهر المجل وبأشراف الزوج أو من يمثله .

وأولى مراسيم الزواج هو عقد النكاح ، ثم تقام حفلة الحناء وتكون عادة ليلة الخميس في كل من بيت العريس وبيت العروس في آن واحد ويتشامخ المجتمع القروي من زواج لا تكون (حنته) ليلة الخميس ولا يتم هو ليلة الجمعة ، والمادة أن يدعو أهل العروس الأقارب والمعارف والأصدقاء إلى حفلة مسائية توفد فيها الشموع في صوان وتثبت أغصان شجيرة الآس جوارها في عجينة الحناء وتحتوي صينية العروس إضافة إلى ذلك على نسخة من القرآن الكريم وأوان صغيرة مملوءة بالحلوى ، ويتم تخضيب يد العروس بالحناء .

أما ليلة الحناء في بيت العريس فهي مشابهة لحفلة حناء العروس ولكن دون شموع وصوان وما شاكل ، ثم تبدأ في اليوم التالي ليلة الزفة

والدخلة ، حيث تكون مساء وبعد ان يتناول العريس عشاءه في وليمة يقيمها له اصدقائه او يقيمها هو لهم ، ثم يذهب الى الجامع لتأدية صلاة العشاء ، ثم يعودون به الى البيت ليُزَف الى عروسته .

أما في معظم المدن العراقية ، فبعد اختيار الفتى للفتاة يذهب اهلها لخطبتها من اهلها ، وبعد ان تتم الموافقة الرسمية على الخطوبة يحدد يوم معين للاتفاق على المهر ، وبعد الاتفاق يعين يوم (**العقد**) ويجري عقد القران في دار العريس أو دار أحد اقربائه وبحضور الأثوان او وكيل القاضي الى دار العريس حيث تجري المراسيم المعتادة بعد رضا وكيل عن الطرفين ، ثم يحدد يوم الزفة وهو المعروف بليلة الدخلة تسبقها ليلة الحناء فتخضب يدا العروس وقدماهما بالحناء ، وقد أوشكت عادة استعمال الحناء في الزواج على الانقراض ومن تقاليد المدن ان يرافق العريس اثنان من اخلص اصدقائه يعرفان باسم (**المراديج**) يلتزمان بمصاحبته عند الخروج من باب المسجد بعد صلاة العشاء حتى ينتهي زفافه بدخوله على عروسه .

أما في **القطر المصري** ، فنرى سكان الريف يفضلون الزواج المبكر والزواج من الاقارب وخاصة من أبناء الاعمام ، وقد عبر عن ذلك المثل الشعبي الذي يقول (**ناو القريب ولا جنة الغريب**) ويرجع السبب في تفضيل الزواج من الاقارب الى الرغبة في الاحتفاظ بالميراث داخل الاسرة والاحتفاظ بالتماسك العائلي . وبعد مراعاة المثل الاجتماعي في اختيار العروس ، تبدأ احتفالات الزواج باتفاق على الخطبة والمهر ، ثم تجيء ليلة كتب الكتاب ويمج بيت العروس بالاهل والاصدقاء ، وتجلس العروس في ابهى زينتها وقد وضعت قدميها في وعاء به ماء ونعناع اخضر ، كما تضع في فمها قطعة من السكر ، وعلى راسها المصحف الشريف مفتوحا على سورة يس ، وفي ليلة الحناء وهي الليلة السابقة على ليلة الزفاف تحضر الحناء للعروس وجميع المدعوات ويخضب الجميع ايديهن وأرجلهن بالحناء ثم يحدن موعد الزفاف فتؤخذ العروس الى بيت زوجها .

وفي **سورية** يبدأ الزواج بالخطبة ، بعد ان يختار الشاب الفتاة التي يرتضيها لنفسه ويفضل ايضا الزواج بأبناء العمومة لان ذلك ادعى لتفاهم واحترام المثل ورعاية التقاليد ، وقد يتحكم الاهل بترشيح زوجة الابن وقد تفرض عليه بالتوة ، وقد تمن من الطنولة وتقرأ الفاتحة بعد الموافقة

على الخطوبة ، تبدأ عملية شراء الجهاز ، ثم يتم تحديد يوم (كتب الكتاب) ، ويكون في دار العريس ، وبعد هذا يحتفل أعمام العروس ، ويأتي أهل العريس الى بيت العروس حاملين الحناء في طبق نحاسي كبير وحولها الشموع ، ثم يحل يوم العرس الذي يسمى بالمعدة حيث يأتي وفد من أهل العريس من رجال ونساء لحمل العروس الى دار زوجها في موكب كبير يسمى الفاروة . أما العريس فيعد ان تتم حلاقة شعر رأسه ، يؤخذ الى الحمام في موكب حافل ، وبعد ذلك يدعى العريس الى دار أحد اصدقائه لتقام له حفلة التلبيسة ، حيث تنلى فيها قصة المولد النبوي الشريف ، ثم يؤخذ العريس الى غرفة خاصة حيث يلبسه اصدقائه ثياب العرس ، ويمطرونه ثم يجلس في مكان بارز ، ويسمى الشباب الى عدم اطالة الحفلة ، قبوخذ العريس بعدها في مسيرة راقصة حافلة الى ان يصل الجميع الى دار العريس ، حيث تقرأ الفاتحة يليها الدعاء بالتوفيق والالفة بين العروسين وينسحب الجميع ، عدا العريس وأبيه وأخوته فيدخل داره حيث تستقبله امام الباب والدته وأخواته وتنهض العروس لاستقباله ثم يسيران معا للجلوس على منصة عالية وبعد جلوسهما يرفع العريس الخمار الابيض الذي يحلل وجه الفتاة ، ثم يدخل العريس وعروسه الى غرفتهما ، وتستمر فترة العرس واقامة الافراح سبعة أيام .

وفي ليبيا نجد في المدن ان ام الفتى أو إحدى أخواته أو قريباته تذهب الى بيت الفتاة ويتم خلال هذه الزيارة التعرف السريع على الفتاة وامرأتها ، ثم تقضي لهم برغبة عائلتها في مصارعتهم ، فإذا تم الايجاب ترحل الى بيتها لتخبر والبد الفتى بما تم الاتفاق عليه ، وتفعل ذلك ام الفتاة ، وعند قبول الطرفين لهذه الخطوة تحدد بينهما النقاط الاولى وترجع ام الفتى ثانية الى بيت الفتاة لمناقشة تفاصيل مطالب الاسرتين من حيث ما يجب احضاره من ملابس وحلي وتكاليف العرس ، أما في الريف فإن ام الفتى تخبر زوجها بوجوب تزويج ابنتها وتلمح له عن الفتاة التي اختارها زوجة له . وعند اقتناع الاب برأيها يقوم بمقابلة والد الفتاة بحضور أحد الذين لهم مكانتهم ، فإذا حصلت الموافقة ، يتم الاتفاق على المهر ، ثم يؤتى بكسوة العرس من المدينة وتذبح الذبائح ، وفي اليوم الثاني يجهزون ما اشتروه من ملابس العرس وما يحتاجه أهل العروس من

حاجيات التي يلتزم أهل المريس باحضارها مع الكسوة ويضعون جميع هذه الحاجيات على جمل ويتجهون بها الى بيت العروس ، وفي ليلة العرس لا يعود المدعوون الى بيوتهم الا بعد أن يدخل المريس الى عروسته .

جرت العادة في اليمن ان يتعجل الاهل في زواج ابنائهم ، اذ لا يكاد الفتى يبلغ الحلم حتى يبحث له ابوه عن فتاة مناسبة له ، ويعود سر التعجل هذا ان الابوين يهدفان من وراء ذلك الاستفادة من زوجة الابن الى جانب اسماده ، وتبدأ مراحل الزواج بالبحث عن الفتاة المطلوبة ، فان وجدت في العائلة او في الاسرة نفسها فذلك ايسر وافرق وان لم تتوفر فيها كل الصفات المطلوبة من كل وجه . وتحرص الاسر الثرية على التزاوج من داخل الاسرة نفسها لكي تبقى التركة محصورة ومتوارثة فيها خوفا من انتقالها عن طريق الزواج خارج العائلة اما المهر فان كان الزواج من الاسرة نفسها فهو اقل كثيرا منه اذا كان الزواج من خارج الاسرة كما ان المهر يكون اقل اذا كان الزواج من نفس المدينة ويكون اكثر ان كان الزواج من بلد آخر . اما اذا رغبت اسرة الفتى ان تزوجه من خارج الاسرة ، فان كان في المدينة فالبحت عن الفتاة المطلوبة يتطلب جهدا عظيما ، اذ ان الفتاة ان كانت من الاسر الكبيرة المناصب تمزج عن غير افراد عائلتها منذ ان تبلغ العاشرة من عمرها ، فلا تظهر للرجال ولا تختلط من النساء الغربيات وتظل في البيت لا تخرج منه ، ولا يتسنى للراغب في الزواج منها ان يتيبها على حقيقتها ، وتضطر اسرة الفتى الى ارسال من تثق فيه من النساء لزيارة اسرة الفتاة ومحاولة التعرف عليها ، واذا لم يتيسر لها ذلك فانها تسال الجيران عنها ، واذا توفرت المعلومات لدى اسرة الفتى عن جمال الفتاة واستقر رأيهم عليها ، عندئذ يكلفون شخصا معروفًا لدى الاسرتين للاتصال بولي الفتاة ويخبره برغبة فلان بزواج ابنه من ابنته ، فاذا كان الزوج واسرته معروفين لديه فانه يطلب مهلة من الوقت ليعرض الامر على زوجته وابنته ثم يبلغه بما استقر عليه الرأي ، فان كانوا غير راغبين في ذلك الفتى فانهم يعتبرون بان الفتاة مخطوبة لابن عمها او لاحد من اقاربها او لشخص آخر . اما اذا كانت الفتاة من البادية فلا يحتاج التعرف عليها الى كبير عناء لانها تظل سافرة الوجه . ويبدأ الاستعداد للزواج بشراء اسرة الفتى ملابس العروسين وخياطتها ، كما تقوم اسرة العروسين بطحن حبة العروس من الذهب وشراء السمن والمسمل والبيض والغم من ذكور الضأن وغير ذلك من عطور وبنحور وشمع وحناء اللازمة للعرس ، وتكون ليلة الجمعة عادة موعد الزفاف ،

وتذهب العروس في يوم الثلاثاء السابق ليلة الجمعة الى الحمام في موكب مع مجموعة من النساء من اقاربها وجيرانها وصديقاتها ، وبعد الاستحمام تعود الى البيت في موكب حافل وتستقبلها النساء بالزغاريد وتقام في مساء نفس اليوم حفلة سمر بعد تناول طعام العشاء وتقوم إحدى النساء بتخضيب قدمي العروس ويديها بالحناء وتقام في يوم الخميس مأدبة غداء في بيت العروس تدعى اليها اسرة العريس ، وينصرف بعدها العريس مع اهله الى الحمام ، وبعد العشاء يذهب مع اصدقائه الى اقرب مسجد ويعود من هناك الى بيته وفي المساء اي في ليلة الجمعة تقام سهرة في منزل العريس ، ويذهب بعدها وفد من اصدقاء اسرة العريس لمرافقة العروس من منزل اهله الى منزل زوجها ، وتذهب بعد وصولها الى الغرفة المخصصة لها ولزوجها وتدخل معها الوصيفة التي ترفع الخمار من على وجه العروس فيضع الزوج يده اليمنى على جبين زوجته وهو يقرأ الفاتحة ثم تنصرف الوصيفة ويبتعد الزوجان وحدهما .

نجد في المغرب ان اهل الفتى ، بعد ان وجدوا الفتاة التي تليق بأنهم ، يرسلون إحدى قريباتهم الى اهل الفتاة مخبرة اياهم ان اهل فلان سيزورونهم للخطبة ، وتخبر ام الفتاة والمها بالامر فيذهب هذا بالتحري عن حالة الفتى وحال اسرته ، فان وجد ان لا مانع من قبول الخطبة اذن لزوجته بفتح صدرها للزائرين ، اما اذا وجد ان الامر لا يشجع على قبول الخطبة يخبر زوجته بذلك فتقوم هذه بدفع الخطابة بالتي هي احسن ، ويكون المذر عادة انها مخطوبة لابن عمها ، لان لابن العم الحق بنت عمه قبل غيره ، وفي حالة الاستجابة يذهب والد الفتى الى بيت والد الفتاة مصطحبا معه جملة من الاهل والاصدقاء وبعد اخذ الجواب النهائي يتفق الطرفان على مقدار الصداق (اي المهر) ويقتصر خبر الخطبة على العائلتين فقط الى حد الان ، ثم يتم اختيار نهار الفاتحة ويكون يوم جمعة عادة ، ويجتمع الطرفان مع اقربائهم واصدقائهم بعد صلاة العصر في ضريح احد الاولياء ويتوسط العائلتين امام او عالم ويقرأ سورة الفاتحة بصوت منخفض ويتبادل الجميع التهاني ، وبعد فترة الخطوبة واكمال حاجات الزواج ، يختار فصل الصيف عادة للاحتفال بالزواج ، ولا يصح ان يتم الزواج في رمضان او عاشوراء . وقد جرت العادة ان تذهب العروس الى الحمام قبل

ليلة الزفاف بخمسة عشر يوما مرة كل يومين ، وبمدها تقوم وصيفتها بتخضير رجليلها بالحناء . وفي أثناء ذلك نجد ان العريس قد سكن دارا مجاورة لدار والده ، تقام فيها الاحتفالات قبل ليلة الدخلة ، وفي مساء ليلة الدخلة يحبل العريس على اعناق رفاقه من الدار المجاورة الى دار والده ، ويأتي الحلاق لحلقته ويبلل اصدقاؤه شعر رأسه بماء الآس لانه خال حسن . وفي هذه الليلة يذهب موكب كبير الى دار العروس واهل العريس الى دار زوجها الذي ما زال في الدار المجاورة ، ويذهب اليه اصدقاؤه مع عدد من الوصيفات اللواتي يحملن معهن الكسوة التي قمعتها اليه الزوجة ويعينه أحد اصدقائه على ارتدائها ، ينتقل بعدها الى داره ، فيجده والده في استقباله فيسلم عليه في استحياء ثم يدخل المنزل ليجده والدته فيهيى على قدميها ثم يتقسمون به الى حجرته حيث جلست العروس في الصدر فيجلس وراها وتقوم الوصيفات برفع النقاب عن وجهها ليراه الزوج ، ثم يعاد النقاب لما كان ، ويقوم الزوج بوضع يده على كاهلها ويقرا آية الكرسي ، ثم يقوم الاثنان بدخول الخدر ويحاول كل منهما الدخول قبل الآخر ، اذ تحكي العادات ان السابق في دخول الخدر يكتب له الاستيلاء على قلب الآخر .

تقام اغلب حفلات الزواج في الجزائر اثناء موسم الصيف ، ويبدأ الزواج عادة بالخطوبة التي تبذلها النساء ويتمها الرجال ، وبمده ان يتم الاتفاق على مقدار المهرتلى فاتحة القرآن الكريم يليها تقديم القهوة للضيوف ، وقد يعطي ذور الخاطب مبلغا من المال الى ذوي المخطوبة ، ثم يتفق الطرفان على اعلان الخطوبة ، ويدخل والد الخاطب على الفتاة المخطوبة ومن معها من عماتها وخالاتها وقد تكون امها معها فيعطى والد الخاطب للمخطوبة وللبالسات معها مبلغا من المال وسط زغاريد النساء ، ويقادروا والد الخاطب دار المخطوبة بعد ان يكونا قد اتفقا مع اهلها على يوم الزفاف ، تقوم اسرة الفتاة بتهينة لوازم العرس فتشتري الحاجات التي تأخذها العروس الى دار عريسها بجزء من المال الذي اعطى لاهلها ، وتسمى هذه المشتريات بالجهاز ، تقام مراسيم الحناء في بيت العروس فتحنى العروس ومن معها من صاحباتها ، اما ليلة الحناء عند اهل العريس فتبدأ بعد انتهاء الضيوف من تناول الطعام ، فيذهب العريس الى غرفة اخرى مع طائفة اخرى من

اصدقائه فتأتي امرأة من اقاربه ترافقها مجموعة من الفتيات ، ثم يوضع اثناء الحناء وفيه أربع شموع مشتعلة وبين شمعته واخرى قطعة من السكره وتوضع جنب اثناء الحناء صينية مملوءة بالحلوى ومعدات القهوة ، فيمد العريس يده ، فتوضع الحناء على اصبعه الثالث والرابع ويوضع فوقهما المنديل . وفي الصباح يتحرك موكب أهل العريس متوجها الى دار العروس ، وبعد الوصول تدخل النسوة دار العروس مزغردات مفتيات ، بينما يقيم الرجال خارج الدار ، ثم تخرج العروس فيتلقاها رجل من ذوي العريس يركبها حصانا وقد هيا فوقه هودجا ترافقها امها على ركب آخر ثم يتبع ذلك ركب بقية النساء ، ويتبع الجميع ركب أهل العريس من نساء ورجال . وعند وصول العروس الى دار زوجها يتقدم أحد الرجال ويقوم بانزالها من هودجها ، ويقودها الى الدار ، وقبل دخولها تتوقف على عتبة لتتشر مجموعة من النساء التمر على رأسها ويرشونها بقطرات من الحليب - تجلس العروس بعد دخولها على سرير اعد لها ثم يقسم طعام الفداء لموكب العروس ، ثم يمرض بعد ذلك جهاز العروس على المسوعات ، ثم يذهب العريس الى السوق مع اصدقائه لشراء الحلويات وهدية من ذهب او فضة للعروس مع بعض الملابس الخفيفة ثم عند المساء يقدم طعام العشاء وبعد الانتهاء منه يتقدم العريس مع بعض اصدقائه الى غرفة العروس حيث يتركه الاصدقاء ليدخل على عروسه بعد ان يأخذ معه الهدايا التي كان قد اشتراها ويضعها جانبا . ويسلم على عروسه ويكلمها ، ثم يقدم لها قطعة من الحلوى والهدايا التي جاء بها وكذلك خاتما من ذهب او فضة .

ثالثا - الوفاة

انحطرت الينا منذ عصر ما قبل الاسلام بعض من التقاليد والمادات المتعلقة بالوفاة ، منها لبس البسة خاصة تكون شعارا خاصا بالحزن وكان اللون الابيض والاسود هما اللونان اللذان تتخذ منهما الملابس في الحزن ، فقد لبس عرب ما قبل الاسلام الملابس البيض ، كما لبسوا الملابس السود . وما زال اللون الاسود شعار الحزن حتى الان . وكان حداد المرأة على زوجها حدادا صعبا عسيرا ، عليها في هذه المدة الامتناع عن الزينة والطيب امتناعا تاما . وكان من عادات الجاهليين ذر التراب على الرأس وترك الشعر ينمو

دون خلق ، وما زالت بعض من هذه العادات سارية حتى يومنا هذا .
والولولة والنيابة على الميت . من التقاليد التي تشدد فيها أهل الجاهلية .
وفي الشعر الجاهلي أبيات يحث فيها الشعراء أهلهم ويوصونهم بالبقاء
والنوح عليهم اذا ماتوا . فقد ذكروا أن طرفه بن العبد خاطب ابنة اخيه
معبد بهذا البيت :

فان مت فانمني بما انا اهلـه

وشقري على الجيب يا ابنة معبد

وقد نهى الاسلام النياحة على الميت فقد ورد في الحديث الشريف
« ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » ، وغسل
الجاهليون موتاهم بالخطمي والاشنان وما شابه ذلك من مواد كما وضعوا
الطيب مع الكفن ، فقد ذكر اليعقوبي أنه لما مات عبدالمطلب « اعظمت قريش
موته وغسل بالاء والسدر .. وطرح عليه المسك »

ويحمل سرير الميت الذي وضع عليه على الاكتاف لايصاله الى قبره ،
ويقال له (النعش) ايضا ، ويتبادل الاقرباء والاصدقاء في حمل نعش الميت
احتراما له وتقديرا لشأنه .

ولنستعرض الان استعراضا سريعا بعض العادات والتقاليد المتعلقة
بالوفاة في بعض الاقطار العربية ، فنجد في بعض قرى وبلد فلسطين ان
النساء يلبسن ثيابا سودا عند موت أحد افراد العائلة ويلطخن وجوههن
بالطين ويشققن ثيابهن ويرددن الحانا حزينة يترجمن بها على الفقد ويعبدن
محاسنه وخصاله ، وتشارك الجارات والمعارف في الندب وذلك مجاملة لاهل
الفقيد .

اما في الاردن فتتجبع كل نسوة الحي وقد تلففن بالسواد ويذهبن
الى بيت الفقيد ليشاركن أهله في مصائبهم وبكائهم ، وقد يعمد البعض الى
افراخ دلال القهوة حدادا على موت شيخ من شيوخ القبائل او المعشائر
ويذرفن الدموع ويمزقن الجيوب ويعرقن رؤوسهن بالرماد والتراب .
وتعقد النسوة (مناحات) قد تلبس اربعين يوما ، وقد يخدشن الخدود
ويغسلن جسد الميت ويلفن بالكلن وتوضع عليه الطلور والحناء ، ثم يحمل
الى المسجد حيث يصلى عليه استعدادا لدفنه . وعندما تتم مراسيم الدفن

يتقبل أهل الفقيد العزاء من الجميع ، ويذبح ذؤو الميت شاة تطهى وتقدم للفقراء والمحتاجين والمقرئين : وفي بعض المناطق الاردنية ينحر ذؤو الميت شاة كل يوم طيلة اسبوع كامل ، ويحيى ليلة الوفاة أحد المقرئين الذين يجيئون تلاوة القرآن ، بينما يستمر العزاء طيلة الليل والليالي الثلاث التالية ، وتتم زيارة القبر صباح كل يوم ولمدة ثلاثة أيام ايضا بالإضافة الى يوم الجمعة من كل اسبوع عصرا . حيث تستمر في العادة اربعين يوما او ربما سنة .

ونجد في القطر السوري اذا حضرت أحدهم الوفاة امتنع الاهل عن الصياح ريشا يرتبوا دارهم ولا يتكشف حالهم سوى حال الميت وبعد ان يصلحوا من شأنهم اذن لهم بالمويل والصياح ، فمنهم من يمزق الثياب ويلطم الخدود ، ومنهم من يكفى قدور السمن وجرار المؤونة وقد يؤذن للمتوفي بالمأذن فيؤذن هؤلاء بعد الفاتحة بنغم خاص . سبحان الاول بلا بداية ، سبحان الاخر بلا نهاية . . . فيا أيتها النفس المطمئنة أرجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي . . . انتقل الى رحمة الله ورضوانه واسكنه فسيح جناته المرحوم فلان بن فلان . . الخ. ويتوافد الناس الى دار الفقيد لتقديم خدماتهم وبعد ان يتم اعداد ما يلزم لتجهيز الميت كالحناء والاس المطحون والتراب الناعم وماء الزهر وعطر الورد بالإضافة الى القطن والاكفان يتم غسل الميت على أنغام لا اله الا الله محمد رسول الله وقراءة الفواتح . ويسمى أهل الفقيد بتجهيزه بسرعة لان « اكرام الميت ترحله » وبعد ان يسجى بالنمش يتسابق الشيايب الى حمله اكتسابا للثواب والاجر من الدار حتى الجامع فالمقبرة ، وهناك ، يؤذن للجنائزة وتقرأ لها سبع فواتح . ويقف أهل الفقيد على بعد خطوات من القبر يتقبلون التعازي ، وفي المساء يأتي الناس الى الدار أو الى المسجد حيث تنلى قراءة القرآن وتوزع القهوة المرة وتستمر التعزية ثلاث ايام متتالية .

إما في اليمن فتبدأ مراسيم تشييع الفقيد ، بإبلاغ الاصدقاء وغيرهم بنبا الوفاة ، ففي بعض المدن الكبرى ترسل مذكرات صغيرة مفتوحة مكتوب فيها الحضور لتشيع الجنائزة بعد كتابة نص الآية الكريمة « كل نفس ذائقة الموت » . ويقوم الحلاق بتوزيع هذه الرسائل ، وفي المدن الاخرى

يكتفي اولياء الفقيد بابلاغ الاصدقاء عن طريق الحلاق الذي يقوم بالمهمة شفويا بطرق ابواب منازلهم واعلامهم بالنبا وعندما يكتمل تجهيز الميت يحمله اقرباؤه والمشييعون على الاكتاف بالتناوب الى المسجد للصلاة عليه ومنه الى مثواه الاخير . ويقف اقرباؤه خلف النعش يتقبلون عزاء المشيعين ، ثم يوضع النعش على طرف القبر ويقرأ الحاضرون سورة يس وعندما يتم لحد الميت ، يقف اهله واقرباؤه وانسابه في صف طويل لتقبل عزاء من اشترك في التشييع ، ثم ينصرف الجميع ، ويبقى اقرباء الفقيد لسماع رأي اسرته حول العزاء ، هل يطلبون من اقربائهم عدم تكليف انفسهم بالمشاركة في صنع الطعام ام يسكتون ، ومعنى السكوت السماح لهم والدعوة بالمشاركة في العزاء ، فيصنع كل منزل من منازل اقربائه طعاما كاملا ، ويذهب افراد الاسرة مع طعام الغداء لتناوله في بيت الفقيد وعلى اسرته ان تقيم طعام العشاء لمن شارك في صنع طعام الغداء ، ويدعى لحضوره الجيران والاصدقاء ومن شارك في غسل الميت وتكفينه . ويخرج الرجال في الايام الثلاثة الاولى قبل صلاة المغرب الى احد المساجد القريبة من منزل الفقيد ويشترك المصلون في قراءة سورة يس وبعض آيات متفرقة من القرآن الكريم ، ثم الصلاة على الرسول العظيم ، ثم يدعو امام المسجد او احد الفقهاء بادعية مرفوعة للفقيد ، ويتخلل فقرات الدعاء قراءة الفاتحة ويقوم الخدم برش الحاضرين بماء الورد ، يبعثه شخص آخر يحمل مبخرة يتصاعد منها دخان طيب العود ليدور بها على الحاضرين .

وفي القطر العراقي وفي بعض مناطقهم يفسل الميت ويوضع له السدر والكافور ويكفن ، ثم تؤخذ الجنازة الى المدافن حيث يصلى عليه ، وتقام الفاتحة في دار الفقيد لمدة ثلاثة ايام ويتردد اليها الاقارب والجيران . والاصدقاء ونوزع فيها القهوة المرة ، وقد يجلب بعض المعزين السكاير والكبريت او اكياس الرز والسكر او الدهن وفي اليوم الثالث يلبح ديك ان كان الفقيد ذكرا . ودجاجة ان كانت الفقيدة انثى وبه تنتهي الفاتحة . وبعد مرور اربعين يوما على الوفاة ، تصنع « خلاوة تمن » وتوزع على الجيران ثم يؤتى بالملة لتقرأ وتنذب حيث تأتي صباحا وتبدأ بالقراءة فتبدا النسوة باللطم ، ويرسل اهل الفقيد الدجاج والرز والخبز والتمر الى الجامع في كل ليلة جمعة سبع مرات حيث يوزع على الفقراء ، وبعد مرور سنة على الوفاة يؤتى بالقاري، حيث يبدأ بتعداد مناقب الميت ومآثره وتذبح ذبيحة بهذه المناسبة .

ونجد في مناطق أخرى من العراق ان الفقيـد يحمل على نعش من بيته الى المسجد الجامع حيث تقام صلاة الميت على روحه ، ثم يؤخذ الى المقبرة وعند وصوله يوضع النعش باتجاه القبلة ويقوم الملا بتلاوة بعض آيات القرآن الكريم على مقربة من رأسه ثم يوارى التراب . ويقام مجلس الفاتحة لمدة ثلاثة أيام او سبعة أيام بلياليها حيث يقدم الطعام وتوزع القهوة المرة والسكاير . وتقيم النساء مجلس فاتحة خاص بهن حيث تحضر العداوات مرددات اشعار حزينة وتبدأ النسوة باللطم والنوح ، وجرت العادة ان يبقى اهل الفقيـد من الرجال بلا حلاقة للذقن لمدة سبعة أيام ، وبعد مضي مدة اربعين يوما على الوفاة او اكثر يقام « المولود النوي » حيث تقرأ المنقبة النبوية الشريفة بالاضافة الى ترديد الاغاني الريفية الحزينة .

من استعراضنا السريع هذا تتضح الملامح التراثية المشتركة في تقاليد دورة الحياة العربية ، تلك التي انحدر قسم منها الينا من عصر ما قبل الاسلام وما بعده وان اختلفت بعض مظاهرها لا اسسها في قطر عربي عن قطر عربي اخر نتيجة للتعاقب الحضاري وصياغة الملامح القديمة صياغة جديدة فرضتها الحياة الاجتماعية المتغيرة المتطورة . املا اني استطعت على قدر ما تمكنت من اعطائه صورة تقريبية لهذه الملامح .
ومن الله التوفيق

مصادر البحث

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام .
- ٣ - مجموعة البحوث التي القيت خلال حلقة العناصر المشتركة في المانورات الشعبية في الوطن العربي ، التي انعقدت في القاهرة ١٣ - ٢٠ تشرين الاول ١٩٧١ برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
- ٤ - اعداد متفرقة من مجلة « التراث الشعبي » .
- ٥ - في علم التراث الشعبي .

تشابه بعض عادات الزواج في بولندية والوطن العربي

د. كريستينا سكار جينسكا

أويمكن ان نجد تشابها بين العادات العربية والعادات البولندية
برغم مانعرفه من الاختلافات الاساسية بين الدائرة الثقافية لبلاد
الصقالبة - ومن بينها بولندية - والدائرة الثقافية للبلاد العربية ؟
واذا وجد مثل هذا التشابه فمن اى اتجاه بنمو ؟ هذا اذا ما طرحنا
جانبا امكانية تأثير بعضها على بعض .

نستطيع ان نتمدد على الراى القائل بان ظروف الحياة والعمل هي
التي تشكل رغبات الانسان وامنياته ، وهي ايضا سبب ذلك التشابه غير
المتوقع الذى اكتشفناه بين بعض العادات والتقاليد الخاصة بالزواج في
البلاد العربية ذات الحضارة الزراعية وبين عادات وتقاليد الزواج في ريف
بولندا التي كانت بلدا زراعيا تماما في نهاية القرن التاسع عشر ، ولقد
اخرت من المراجع العربية المنشورة (الى جانب بعض شواهد شفاهية
ونجربتي الشخصية من رحلة علمية قمت بها الى بلاد النوبة الجديدة)
عدة مقالات حول عادات وتقاليد الزواج في المناطق العراقية نشرت في المجلة
العراقية القيمة (التراث الشعبي) من عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٧٦ ، وبعض
مقالات اخرى متصلة بنفس الموضوع نشرت بلمجلة المصرية « الفنون
الشعبية » اما المراجع البولندية فقد اخرت منها كمرجع اساسي ، كنز
التراث الشعبي في بولندا ، وهو عبارة عن المؤلفات الكاملة ، تحت عنوان
« الشعب ، عاداته وطريقة حياته واقواله واساطيره وخرافاته وموسيقاه
ورقصه » . للباحث الفولكلورى العظيم اوسكار كولبير ، (وهو اول
المهتمين بالفولكلور في اوربا من سنة ١٨١٤-١٨٩٠) ذلك الباحث الذى
عشق التراث الشعبي فاخذ ينقب عنه في مختلف مناطق بولندا الى ان
جمع اغلبية التراث الشعبي البولندى ، ولقد قسمت هذه المادة الضخمة
الى عدة مجلدات طبقا للمناطق المختلفة . فالمجلد ٤٩ مثلا يضم وصفا
للمناطق الشرقية الجنوبية حول مدينة « ساتوك و كرسنو » ويبدأ بوصف

للريف ثم وصف سكان ذلك الريف - من وصف لمظهرهم واخلاقهم ، ثم لباسهم وماكولاتهم وبيوتهم وعملهم في الفلاحة وتربية المواشي وصيد الاسماك .. الخ ، ثم ينتقل الى صناعاتهم اليدوية وتجارتهم واسواقهم من بعدها ينتقل الى عادات وتقاليد الاعياد والمناسبات الدينية والسنوات المختلفة ، مثل عيد المسيح وعيد القيامة وعيد الحصاد وعيد الميلاد القديسين وما يناسبها من الاغاني الخاصة .

ثم ينتقل فيما بعد الى عادات وتقاليد المناسبات العائلية باغانيتها واشعارها وخطبها ، فاذا تكلم مثلاً عن الافراح اعطانا امثلة دقيقة لافراح حنطفة ما معددا اكثر من سبع او ثماني حالات تصل احيانا الى ثمانية عشر وصفا لافراح الزواج في قرى مختلفة .

كما نجد في نفس المجلد جميع المعتقدات الشعبية والقصص الشعبية المنتشرة في هذه المنطقة ، وقد لا يكفي المجلد الواحد لضم التراث الشعبي لمنطقة ما بل قد يحتاج الى مجلدين او ثلاثة ، ولقد فاز هذا العمل الكبير لادوسكار كولبير باهتمام باحثي الفلكلور ، ولا يزال حتى يومنا هذا مادة اساسية للبحوث الفلكلورية ، كما يعاد طبع مؤلفاته بصيغة مستمرة وتقوم الجمعية الفلكلورية منذ ١٩٦١ بنشر « الملفات الكاملة » له حتى سنة ١٩٧٤ ، والتي تبلغ ٤٩ مجلدا .

ونود ان نضيف هنا ان المدرسة الانتوجرافية في بولندا قد تكونت في الواقع من تلاحم تيارين، وتقصد بذلك الدراسة الانتوجرافية الجديدة :

١ - التيار الاول هو تيار الاهتمام العملي بكل ما يتعلق باحوال وثقافة الريف البولندي ، ماضيه ومستقبله ، ويرجع ذلك لاسباب سياسية واجتماعية وثقافية .

٢ - والتيار الثاني هو التيار النظري الجامعي وهو الذي يبحث من خلال الثقافة الشعبية عن نماذج لنظريات تطور الثقافة . (١)

ولقد تم فعلا جمع المادة الفولكلورية في بولندا في نهاية القرن التاسع عشر ، كما انتهى تنظيمها وتحليلها اما الآن فان باحثي الانتوجرافية البولنديين يركزون اهتمامهم على المشاكل النظرية ، ويقومون باعداد عمل كبير هو تركيب الانتوجرافية البولندية .

وعلى ان نلاحظ ان العادات والتقاليد في الريف البولندي المعاصر قد تغيرت او (اضمحلت في بعض المناطق ولم يبق منها الا بعض عناصرها في بعض الاحيان . ويرجع ذلك الى اسباب عدة لعل اهمها الاصلاح الزراعي وانتشار التعليم والثقافة المدنية والتعليم العالي ، الى جوار انتشار

المصانع قرب المناطق الزراعية مما تسبب في تطور الفلاحين الى طبقة جديدة هي الفلاحين - العمال .

ومن اجل ذلك قررنا في بحثنا ان لانتعبد على بقايا العادات والتقاليد الموجودة حاليا ، بل على صورتها في نهاية القرن التاسع عشر ، وهي على كل اساس وعمدة التقاليد التي لا تزال باقية الى يومنا هذا .
يقول « ماثين جيرفينسكي » الباحث الاجتماعي البولندي عن قوة تأثير شعائر المناسبات التي لها اهداف خاصة ان الجانب الرمزي للشعائر عامة في تكراره « تمثيلية المناسبات » قد اعطى الفرد امكانية انسجامة وتضامنه التام مع ماضيه وحاضره في تفاعل اجتماعي بحكمة وقوة » . (٢٠)

اننا نتلمس في شعائر وتقاليد الزواج ، وهي من اهم احداث الحياة العائلية في جميع انحاء العالم ، اهدافا خاصة ، وتكرار هذه الشعائر والتقاليد يمنح الفرد نوعا من الطمأنينة والاحساس بانسجام موقفه مع المجتمع واستحسانه له .

ويمكننا ان نلاحظ ان صلة الفرد في البلاد العربية بمجتمعه الريفي اشد في وقتنا الحاضر منها في بولندا المعاصرة ، بل لقد كانت هذه الصلة في بولندا اكثر شدة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، كما يبدو ان هذه الصلة سوف تضعف في البلاد العربية على اثر تطورها ، ولذلك فان هذه اللحظات هي اللحظات الاخيرة التي يمكن فيها تسجيل الفلكلور بكل دقة وبكل تفاصيله عن طريق البحث الميداني الفلكلوري .

ولقد درست باهتمام المادة الفلكلورية المنشورة في مجلة التراث الشعبي العراقية ومجلة الفنون الشعبية المصرية ولا اظن ان ما فيها هو كل التراث الشعبي الموجود في العراق او في مصر . واتمنى ان يقوم باحثو الفلكلور في البلاد العربية بجمع وتنظيم هذه المادة الضخمة التي تمثل ثروة عظيمة قبل ان تتلاشى وتضيع معالمها . ولعلنا نستطيع الآن ان نشاهد ونميز بعض الملامح المتشابهة والمتكررة في كل من مجتمع الريف البولندي القديم ومجتمع الريف العربي المعاصر ، وربما كانت هذه في حقيقتها هي الملامح الانسانية العامة التي تتمثل في مظاهر متقاربة سواء في الشعائر او العادات او الرموز .

واولى هذه الملامح التي تبدو عند الزواج هي رغبة اسرتي العروسين ورغبة كل المجتمع الريفي في تأمين الحياة السعيدة للأسرة الجديدة ، ونعني بالحياة السعيدة :

- ١ - الحياة المادية .
- ٢ - تطور الأسرة بما يعنى انجاب الاطفال .
- ٣ - سعادة الأسرة النفسية ، (وان كانت هذه النقطة غير محددة بوضوح باستثناء بعض الرموز) .
- وحتى تتحقق هذه الاهداف تستخدم :
- اولا - الوسائل المادية المعتمدة على الواقع .
- ثانيا - الوسائل الرمزية التي تجلب الحظ السعيد وفقا للمعتقدات الشعبية .

اولا (الوسائل المادية :

يظهر اهتمام اسرتي الزوجين بالناحية المادية في الزواج في مراسم الخطوبة (او الشبكة او النيشان) ، والهدف منها سواء في بولندا او في البلاد العربية هو الحصول على موافقة اهل العروسين على الزواج والاتفاق المالي بين الاسرتين الذي يتصل بتكوين الأسرة الجديدة .

والصفة الثانية التشابه بين مجتمعي الريف في بولندا والبلاد العربية هي مشاركة المجتمع الريفي ذاته في مراسم الزواج ، فالزواج امر يخص المجتمع الريفي بأسره لا الأسرة فقط ، وهذه المشاركة الفعلية من جانب المجتمع الريفي تزيد من قيمة العرس وترفع من شأن العروسين .

وفي بولندا تبدأ مشاركة اهل الريف عند الخطوبة ، بينما تبدأ في البلاد العربية عند اختيار العروس عندما تذهب النساء مصاحبة أم الفتى للبحث عن « بنت الحلال » ، اما في بولندا فان الشاب هو الذي يقوم باختيار عروسه سواء كان ذلك في الماضي او في الحاضر ، على اساس من معرفته السابقة لها وعلى اساس حبهما المتبادل ، اما الفرق الكبير الثاني بين مجتمع الريف في بولندا وفي البلاد العربية هو مايسمى الزواج « من الداخل » اي الزواج من داخل الأسرة ، حيث ان هذا الزواج كان محرما قانونا من ناحية الكنيسة الكاثوليكية .

وفي كل من البلاد العربية وبولندا يذهب اصدقاء والد الفتى من شيوخ القرية واعيانها بصحبه الى اهل العروس عند الخطوبة ليشاركوه في المحادثات الخاصة بالزواج والمهر والجهاز .. الخ . وهم بذلك يمثلون اهل الفتى من ناحية ويمثلون شهداء من جانب المجتمع الريفي من ناحية اخرى على ان كل شئ قد سار وفق مايرام . وبالطبع فان تفاصيل واجبات اهل العروسين تختلف في بولندا عنها في مختلف الدول العربية ، هذا اذا

ما اعتمدنا على مقال جميل الجبوري تحت عنوان « تقاليد الزواج في القرية » (وسط وجنوب العراق) « حيث يقول » الاتفاق على المهر ، وهذا امر مهم خاصة عند الفلاحين الذين يفرضون على الخاطب ان يدفع المهر لعائلة المخطوبة وان يجهز بيته الجديد » . (٢)

ونفس العادة نلاحظها في المغرب « وهناك على العريس دفع النقد (المهر) وجهاز البيت واللباس (٤) ، اما في النوبة فان على العريس ان يدفع المهر والجهاز وهدايا العروس ومنها الاساور وعقد من الذهب (٥) ، وهذه العادة منتشرة في كل البلاد العربية .

فاذا ما انتقلنا الى بولندا في منطقة « سانوك وكروسنو » ، وهي المنطقة الشرقية الجنوبية - نجد ان ابوي العروسين يدخلان في مناقشة وقت الخطوبة مع اهل الفتى حول جهاز ابنتهم الذي هو التزام عليهم ، وعادة ما يعطون ابنتهم ملابسها كاملة داخل صندوق احمر (٦) مع لحاف وبعض المخدات وبعض المواشي ، بقرة مثلا او بقرتين او عجل او بعض الغنم والدجاج والاوز . . الخ) ، وعلى العريس ان يكون مالكا لقطعة من الارض ولبعض المواشي كذلك وان يكون مجتهدا في عمله بالفلاحة ورشيدا في ملكيته كي يستطيع ان يؤمن معيشة زوجته واولاده في المستقبل ، ولا يكتفي ابوا العروس فيما يختص بهذه النقطة بما يسمونه من الراى العام لابد ان يذهبا بنفسيهما بصحبة خمسة من اعيان الفلاحين (اى يصبحون سبعة اشخاص لانهم يتغائلون بهذا الرقم ويعتقدون انه يحمل الخير) لزيارة دار وحقول الخاطب ، وهي في الواقع ليست زيارة وانما هي نوع من التفتيش على مزارعه ومباني المواشي والدار والاثاث فاذا ما اطمأنوا على كل ذلك وافقوا على العرس .

فاذا ماحدث ان الفتى هو الذى سيسكن مع اهل الفتاة ، وهي التي تملك ارضا ، فان التفتيش يتم عكسيا اى ان اهل الفتى هم الذين يفتشون على ممتلكات الفتاة ، ثم ياتي الفتى الى بيت العروس بمواشيه وبالجهاز والمال (٧).

ونستطيع ان نعدد الامثلة على اهتمام اهل الريف بالناحية المادية للزواج ذلك الاهتمام الذي نجده سواء في ريف بولندا او في ريف البلاد العربية ، واذا كان الفلاح العربي يهتم بتأمين مستقبل ابنته عن طريق المهر المقدم والجهاز وعلى الاخص المهر المؤخر اذا ما وقع الطلاق ، فان الفلاح البولندى (الطلاق لم يكن مسموحا به قانونا في القرن التاسع عشر) كان يهتم بتطوير الاسرة الجديدة بما يعنى تطور ملكيتها ، واهم هذه الملكية هي الارض والمواشي والنقود ، وهنا ترد نقطة هامة وهي ان المجتمع الريفي

يشارك بدوره في ذلك عن طريق الاسهام في مصروفات العرس بواسطة الهدايا النقدية التي يقدمها المدعون سواء كان ذلك في الدول العربية او في بولندا (بواسطة الهدايا العينية كالدقيق واللحوم والحلويات ، ولن نتوقف طويلا عند هذه الوسائل المادية بتفاصيلها بل سوف نتنقل الآن الى الوسائل الرمزية القادرة حسب معتقدات اهل الريف - على التامين المادى والروحي للأسرة الجديدة .

ثانيا : الوسائل الرمزية :

ولسوف نتناول هنا تلك الرموز المختارة الموجودة في كل من البلاد العربية وفي بولندا ، والتي لها معنى واحد وهدف واحد ، ولقد نستفيض في سرد الأمثلة البولندية حيث ان المادة الفلكلورية في بلادنا اكثر توفرا ، ربما لاننا لم نصل بعد الى كل المواد الفولكلورية في البلاد العربية .

ولنلخص هذه الرموز المختارة في الآتي :-

الخبز ، وهو يتمثل في خبز الفرح او خبز الزواج وترتبط به حلة العجین الخشبية ، الشلالة ، والحبوب ، والماء والسكر والحلويات ، والشموع ، ثم بعض الاعمال ذات الدلالة كربط اليدين بالمنديل .

ويبدو انهم يعتقدون ان تامين حياة الاسرة الجديدة من الناحية المادية قائم على رموز الخبز والحبوب والماء والخبز ، بينما تامين السعادة والحب قائم على التيجان والسكر والحلويات والشموع . ولنبدأ بالرموز التي تتصل بالناحية المادية .

الخبز :

ونبدأ من اعداد كعك الفرح او « الزواج » ، ولقد وجدنا هذه العادة عند المسيحيين في منطقة الموصل « وقبل يوم العرس يخبزون عند اهل الختن خبزة الزواج ، ولهذا العمل ترتيبات خاصة واعراف وتقاليد » . (٨) ومع الاسف فان المؤلف لم يصف لنا هذه الترتيبات او التقاليد .

ولقد وجدنا نفس هذه العادة عند اليزيدية في بحزاني « تقوم عائلة الفتى بخبز كمية كبيرة من الخبز ، وفي هذا اليوم يأتي المطربون وصاحب الطبل والزرنای ويعزفون الاغاني المتنوعة ، ومن كل عائلة من العائلات التي دعيت الى حفلة الزواج تخرج امرأة او فتاة وعلى يدها صحن من السكر او بطل (قارورة) عصير تاتي الى بيت الفتى وتشارك كثيرا او قليلا نساء البيت في خبز بين التصفيق والهلاهل » . (٩)

ولم ترد هذه العادة في وصف مراسم الزواج في القرى العراقية
الآخري ، ولا في مقالات أخرى متصلة بعمادات وتقاليد الزواج في البلاد
العربية .

اما في بولندا فان عادة خبز خبزة الزواج عادة منتشرة في كل المناطق
البولندية وفي اغلبيتها تشارك في هذا العمل نساء وفتيات . ففي منطقة
« سانوك » مثلا ، فانهم يقومون بخبز خبزة الزواج في بيت العريس قبل
الزواج ، وتقوم الخاطبات والمدعووات الى الحفل بعملية الخبز تحت اشراف
شيخ الفرح ، ويتم هذا بين ترديدن لآغان خاصة بهذه الخبزة وورقصن ،
على حين يقوم شيخ الفرح بادخال الخبزة واخراجها من الفرن .

ويصنع هذا الخبز من دقيق القمح ويزين بجداول من العجين ،
ويتماثل حيوانات صغيرة تصنع من العجين ايضا ، واطافة الى هذا فانهم
يزينونها بنبات الاس او نبات « الحى العالمى » وبالفاكهة والزهور الملونة .

وفي اليوم التالي للمرس يحمل العريس معه هذا الخبز ، اثناء ذهابه
وسط موكب المرس الى بيت مروسه لاصطحابها الى بيته، ثم يقوم بتوزيعه
على المدعوين مع هدايا أخرى في نفس الوقت (١٠) .

اما في منطقة « لوبلين » فان خبز الزواج يكون هدية من الاشبينة
وعليها تكاليفه ، ويقوم بخبزه اما في بيت المروس واما في بيت العريس ، ثم
يقوم بتوزيعه على الضيوف بعد المرس (١١) .

وفي قرية « بوبركا » في منطقة « سانوك » فان صديقات المروس
ياتين بالدقيق ويخبزن الخبز في بيت المروس وهن يفتن ويرقصن . (١٢)

ولم تذكر لنا المقاتلان الخاصتان « بحفلات الزواج الموصلية »
« ومراسيم الزواج عند اليزيدية » متى وكيف تؤكل خبزة الزواج التي تخبز
مع ترتيبات خاصة وبمشاركة الصديقات والصاحبات ، اما الخبزة عند
الشعب البولندى فانها تنفرد بنظام خاص في اكلها ، فهي اما ان تؤكل بعد
عودة العريس والمروس من الكنيسة عقب عقد الزواج ، واما في يسوم
الصباحية بعد ليلة الدخلة ، وفي الحالة الاولى كما في قرية « ليشجوفاته »
يقوم شيخ الفرح بتقسيم الخبزة ويوزعها على كل المدعوين والحاضرين
الذين ياكلونها بشغف ويشكرونه ، واذا ما تغيب واحد من المدعوين قام
شيخ الفرح بارسال قطعة له . (١٣)

اما في الحالة الثانية كما في قرية « هولوشكوف » فانهم ياتون بخبزة
الزواج من منزل العريس الى منزل المروس في موكب صغير يتقدمه شيخ
الفرح حاملا الخبزة على راسه والكل من ورائه يطربون ويفنون . (١٤) ثم
ياكلون الخبزة في الصباحية .

وفي قرية « فولتوشوفا » (منطقة سانوك) فان ام العروس تخبز الخبزة بمفردها ، ثم تخرجها في المساء من الفرن ، وتزين سطحها بصورة يد يميني ويسكين تصنعان من العجين ، ثم تخفيها في صندوق كي لا يراها احد ، وفي يوم الصباحية تخرجها وتحملها الى بيت العريس وتوزعها على اهل البيت مع بعض الهدايا كالمناديل الملونة والعفود والشرائط والتقود . (١٥)

ويشير هذا المثال الاخير الى معنى رمزي لخبزة الزواج ، فاليد اليمنى المرسومة على سطحها ليست الا يد الزوجة الجديدة صاحبة البيت الجديد ومعها السكنين لتقسم الخبز على عائلتها ، اما الام فقد قامت بخبز الخبزة في المساء حتى لا تراها عين الحساد ، والخبز هو رمز طعام الانسان الاساسي . (١٦)

ولقد شاهدت في عام ١٩٦٦ حفلة زواج في قرية توشكا في النوبة الجديدة بمنطقة كومومبو بمصر حيث كنت اشترك في رحلة علمية نظمها مركز الفنون الشعبية في القاهرة ، ودعيت الى هذا الحفل ، وعند العشاء قدموا لنا خبزا ابيض ناعما على انه عيش الفرح الخاص ببركة العروسين ، ولقد اكلنا منه كما اكل جميع الضيوف بعد ان دعونا الله ان يبارك فيهما .

ومن هذا نرى ان الناس تمتد في الدول العربية مثلها مثل بولندا ان في اعداد خبز الزواج بركة للأسرة الجديدة وتأمينا لمستقبلها من السحر ، وهم يمتدنون في بولندا عامة ، الى جوار بركة خبزة الزواج ، في بركة اى نوع من الخبز .

ف عندما يعود العروسان مثلا الى بيتهما عقب عقد القران الرسمي او الديني في الكنيسة يباركهما ابواهما برغيف من الخبز وملح يقدمانه لهما على عتبة البيت ، ولا تزال هذه العادة قائمة الى يومنا هذا ليس في بولندا فقط بل حتى في المدن البولندية عامة . كما انه من بين العادات القديمة ايضا تلك العادة التي نجدها في قرية « جارين » (١٧) ، حيث يقود شيخ الفرح العروسين عقب عودتهما من الكنيسة ، الى مائدة وضع عليها رغيف من الخبز وسك يضمنان يديهما عليه ويقبلانه حتى لا ينقص من عددهم ابدا .

وانثناء عودة الزوجة الجديدة في « منطقة بوزنان » بالموكب الى بيتها يسرع الاشبين والشباب على ظهر الخيول الى القرية ، ثم يعودون الى الموكب مرة اخرى حاملين معهم حلة العجين الخشبية ، ورغيف وملحاً وشلالة (شلة) وماء مباركا ، فيرقفون الموكب ، ثم ياخذون العروس من العربة ويجلسونها على ظهر حلة العجين الخشبية ، التي صنعت فيها

عجينة الخبز وتخمرت فيها ، (وترمز هذه الحلة الى النمو والخصب) ، ثم يعطونها الرغيف والسكين ، وعليها ان تقسم الخبز بين الحاضرين كي لا ينقص من عند احد ، ثم تقوم النساء المتزوجات برشها بالماء المبارك كي يباركها الله في عملها المنزلي ، اما الشلالة فانها ترمز بدورها الى اهتمام الزوجة الجديدة بملابس الاسرة . (١٨)

وفي قرية (سيلوى) بمنطقة يوزنان ياتي الاشبين للعروس في الموكب بشلالة وبجرة من الماء . فيقدم لها الشلالة ويضربها بالسوط حتى تكون رفيقة طيبة للشلالة ولا تتركها ، ثم يشرب في صحتها من جرة الماء . (١٩) وترمز الشلالة الى الاعمال المنزلية والمهارة فيها ، وهذا هو المعنى المباشر ، اما المعنى الرمزي الخفي وهو الاكثر عمقا فهو رمز بداية الحب . الجنسي وخصب الطبيعة . (٢٠)

الحبوب

ان بعض العادات في كل من بولندا والبلاد العربية متصل بالاعتقاد الشعبي بان العروس هي بنت الحلال التي تاتي بالخصب والخير والبركة الى بيت زوجها . وقد لاحظنا هذا في دورها عندما تقسم الخبز ، وسوف نرى ذلك ايضا في العادات المرتبطة بالحبوب ، ثم العادات المتصلة بالماء .

ونبدا العادة المعروفة في بولندا في منطقة سانوك بقرية « بوبركا » . حيث تذهب العروس في موكب الى بيت زوجها بعد الزواج وحفل العرس ، فتقدم لها امها حلة مملوءة بحبوب القمح تقف في منتصفها شمعة مشتعلة ، وتزين كل من الحلة والشمعة بنبات يسمى « الحي العالي » ، وتحمل العروس هذه الحلة الى بيت زوجها حيث تخفيها الى ان يحل الربيع ، وعندما تبدأ في زراعة الارض تخلص البذور بحبوب القمح هذه حتى ينمو الزرع جميعه نموا طيبا ، لما في هذه الحبوب من البركة التي جلبتها العروس . (٢١)

وفي قرية « جلولشكوف » بنفس المنطقة تقوم العروس بعد دخولها الى بيت زوجها حاملة هذه الحلة بالقاء الحبوب في الغرفة . (٢٢)

اما في بلاد النوبة فان العروس تقوم عندما يدخل زوجها الى غرفتها بالقاء الحبوب (حبوب الذرة) عليه ثم يعود هو فيلقبها عليها . (٢٣)

وحبوب القمح والشعير تملأ البركة طبقا للمعتقدات في افريقيا الشمالية ، (٢٤) وحبوب الذرة تمثل الخير والخصب وفقا لما جاء بقاموس الرموز (٢٥) .

وقريب من تلك العادة ما كان يتم في بعض قرى المنوفية بمصر ، حيث كانوا يضعون سنابل القمح على رأس العروس على هيئة اكاليل أو تاج . (٢٦)

ويبدو ان هذا راجع الى اعتقاد اهل الريف بان الحبوب - القمح والشعير والذرة - ليست محدودة على خصوبة المزارع فقط ، انما تتوسع لتشمل خصب الطبيعة عامة وخصوبة المرأة خاصة ، بانجابها الاطفال للاسرة الجديدة .

ونستطيع حتى يومنا هذا ان نلاحظ في بولندا عادة القاء الحبوب على كل من العروسين عند خروجهما من الكنيسة بعد عقد القران .

هذا يحدث حتى في المدن حيث لا يفكرون بطبيعة الحال في خصوبة المزارع بل في نسل مبارك للاسرة الجديدة ، وهم ان كانوا لا يزالون يفعلون ذلك فانما يفعلونه على سبيل المزاح ودونما اعتقاد ما .

وفي قرية « ليشجوفاته » في منطقة سائوك توجد عادة اخرى مشابهة ، فعندما تخرج العروس في الموكب من دارها الى دار زوجها ، تستقبلها ام الزوج بالقاء البذور عليها - القمح وغيره - وعلى من معها في الموكب ثم تقوم برش الماء المقدس عليهم . (٢٧)

الماء :

وربما كانت اهم العادات هي تلك المتصلة بالماء ، فهو في العالم كله رمز للحياة ، وفي معنى اخر وسيلة للتطهر ، ويمبر الماء في الشرق الادنى على النمو والحياة ، وهو رمز الخصب ايضا ، ومن العادات المتصلة بالماء كرمز للخصب سواء في البلاد العربية او في بعض مناطق بولندا ، ما تستخدم بغرض جلب الخير والبر للاسرة الجديدة بواسطة العروس ، وهو امر مشترك بين بولندا والبلاد العربية ، كذلك العادات المتصلة بالاستحمام في ماء البئر او النهر بقصد التصفى ويقصد ان يستمد العريس والعروس من الماء عن طريق الاستحمام قوة الاخصاب . (٢٨)

ويتيم هذا الاستحمام عادة قبل وبعد ليلة الدخلة .

فسي المراق

ولنبداً من العادة المراقية ، « عند وصول العروس الى بيت العريس تعلق الزغاريد وتطلق العيارات النارية للاكرام ، وعلى مدخل الدار تجد العروس قدرا كبيرا مملوا بالماء تترفسه برجلها وتدخل الدار ، وسكب اناء من الماء على عتبة الدار يعنى ان البركة جاءت في اعقاب الزوجة ،

والزرجه بكرر هذه العملية بشكل اخر في مساء اليوم السابع لزوجها ، حيث تذهب مع جمع من النساء ، (نساء القرية) الى نهر او بشارعين لتملاء جرتها وتاتي بها لتسكب ماءها على عتبة ليبت . (٢٩)

في ليبيا :

وعند الحضر في ليبيا ياتي واحد من اصدقاء العريس ويكسر عنى العتبة جرة من اثناء عند دخول العريس الى غرفة عروسه كي تحل البركة والحب بين العروسين . (٣٠)

في بولندا :

وفي بولندا - فعط المنطقة الشرقية الجنوبية ، في قرية بوبركا بمسك شيخ الفرح بعد الافطار في يوم الصباحية بمندبل ابيض ويمسك العروسان بطرفي المندبل ، ثم يقودهما الشيخ الى النهر او الى جدول ما حيث يرسم الاشبين علامة الصليب بالبلطة على سطح الماء ، ثم يأخذ بها قليلا من الماء ويقطره على كفى كل من العروسين ، حيث يفسلان بتلك القطرات وجهيهما وايديهما . ثم تقوم العروس بعد ذلك بملء جرتها بالماء حيث ترش عقب عودتهما كل زوايا الدار وكل الغرف ، ثم تضع الجرة فوق المائدة ، وفي هذه اللحظة تبدأ عادة اخرى تختص بها بولندا فقط ، وهي وضع قبعة الزواج فوق راس العروس ، بما معنى انها اصبحت امرأة متزوجة ، وانها قد ودعت حياة العذارى (٣١) .

ونفس هذه العادة نجدها في قرية « ليشجوفاته » حيث ترش العروس كل المبنى والحظيرة والنار . (٣٢)

اما في قرية « بروتيسنه » فان العروس عقب رشها الدار والمباني وحظيرة المواشي وصحن الدار تدخل الى الغرفة حيث تسكب الماء على يدي والدي العريس ، فيفسلان وجهيهما وايديهما ، ثم تسكب بقايا الماء تحت المائدة داخل الغرفة . (٣٣)

وهذا المثال الاخير قريب جدا من العادة المراقية بظهرها وبمعناها الرمزي ، حيث تمثل العروس نفس دور صاحبة الدار والزوجة وام المستقبل التي تاتي الى بيت الزوجية بالبركة والخصب .

اما الاستحمام في بولندا فهو يحمل معنى رمزيا فقط على مآذركنا انفا عندما تاخذ العروس الماء من النهر ، الا ان هذه العادة - عادة الاستحمام - اكثر انتشارا في البلاد العربية .

ففي ليبيا تذهب العروس قبل الزواج بصحبة صديقاتها الى النهر لتستحم ، ثم تضع قليلا من الحنة على يديها . (٢٤) ومن المعروف ان الحنة ايضا معنى رمزيا ، فهي وسيلة للتطهر والدفاع ضد عين الحسود (٢٥) .
ويبدو ان استحمام العروس بالماء الى جانب مايعنيه من التطهر يحمل معنى آخر وهو حصول العروس من الماء على الخصب عندما تستحم قبل ليلة الدخلة .

وتوجد عادة الاستحمام ايضا في بلاد النوبة ، حيث يستحم العريس في انيل ثم يعود من النهر بصحبة اصدقائه ليقدم هدايا من البلح وحبوب القمح والذرة ، ويقرأ القرآن لسبعة من اصدقائه الجيران يدخل بعدها الى بيت العروس . (٢٦)

وتبدو هذه العادة غريبة بالمقارنة مع ما ذكرناه انفا من الامثلة ، حيث ترتبط صفة البركة والاختصاب هنا بالذكر لابالاناث . فالرجل هنا هو محور الاهتمام ومركز المسؤولية في الاسرة الجديدة ، اى المسئول عن تطورها ونموها ، وجدير بالذكر هنا ان نضيف ان العريس في بلاد النوبة يذهب ايضا بعد الزواج للاستحمام في ماء النيل سبعة ايام متوالية مبتدئا بيوم الصباحة عقب ليلة الدخلة . (٢٧) وهذا الاستحمام يتم بغرض التطهير من جانب الانس او الجن . (٢٨)

السكر والحلويات

وهي ترمز الى البر والسعادة في الحياة الزوجية والى الحب بين الزوجين ، وتنتشر هذه الرمزية في البلاد العربية اكثر مما في بولندا ، وان كنا نجد لها مثالا ايضا في هذه الاخيرة .

ففي القرى المراقية مثلا نجد انه (٢٩) في ليلة الحنة تضع النساء امام العروس (صينية الشموع) ويضعن فوقها الشموع والحنة والحلوى ومراة ومصحفا مفتوحا ، وبعد ان تخضب العروس بالحناء ، يضعن في فمها قطعة من السكر ، ثم يرسلن هذه القطعة الى الزوج ليرسل بدلا منها . منفا من النقود هدية لعروسه ، وتبادل الحلوى مع الزوج يرمز الى الانسجام الحلو المنتظر .

فاذا ما انتقلنا الى بولندا في قرية « ليشجوفاته » نجد ان العروس تقوم عند خروجها من الكنيسة عقب عقد القران بتقسيم قطعة من الخبر مغطاة بانعل والسكر الى نصفين تعطى احدهما للمريس ، ثم ياخذان في اكل قطعتيهما سويا . (٣٠)

ويبدو مظهر هذه العادة ومعناها في بولندا قريبا جدا من العادة العراقية ، فالسكر والعسل اللذان يأتیان من عند العروس الى عريسها يرمزان الى السعادة واللذة والحب في حياتهما الزوجية .

وهناك عدة عادات مشابهة مرتبطة بالصباح الاول بعد الزواج اي بعد ليلة الدخلة ، ففي النوبة مثلا يقدمون للعريس في الصباحية لنا محلى بالسكر . (٤١) وفي سيوة تخرج العروس في الصباحية لتشر حولها البلح الجاف والنقل والحلوى كرمز للسعادة والبركة . (٤٢) وعند اليزيدية في بحزاني (٤٣) قبل ان تدخل العرس الدار يرمي العريس على راسها بالطويات وبالجكلية ، وتبدو هذه العادة رمزا لاستقبال العروس بالحب والمودة .

ومن الاشياء البسيطة التي تحمل معنى رمزيا في كل من البلاد العربية وبولندا (الشموع) فهي تستعمل دائما في مختلف مناسبات الزواج خاصة في المواكب التي تذهب فيها العروس الى بيت زوجها سواء في بولندا او في العراق او في بلاد النوبة ، ففي العراق يستخدمونها في ليلة الحناء حيث يضمون امام العروس صينية مملوءة بالشموع ، اما في بولندا فيستخدمونها بطريقة خاصة عندما تدخل صديقات وصاحبات العروس الى غرفتها ممسكات بالشموع ويقمن بنزع التاج الاخضر من على راسها الذي يرمز الى العذرية ليضمن بدلا منه قبة المرأة المتزوجة .

كما تستعمل الشموع ايضا في بولندا ساعة عقد القران في الكنيسة ، فاذا ما ارتفع لهبها في ذلك الحين ، اعتقدوا ان الزواج سيكون سعيدا . (٤٤)

وفي البصرة (٤٥) ، تشعل الشمعة في ليلة الزفة وتبقى مشتعلة حتى الصباح ، ويجب الا تطفأ بالماء ، وتوضع في مشربة حتى لا تنكسر لان كسر الشمعة ينذر بالشؤم .

ولهب الشمع هو رمز الحياة الجديدة التي تتقدم وترتفع ، وهو في ذات الوقت رمز الصفاء والحب الروحاني (٤٦) ، ويمكننا ان نذكر في هذا المجال نبات الاس او ياس او المرسين الذي يستخدم لزينة الأشخاص والاشياء بمناسبة احتفالات الزواج ، ففي العراق يضعونه في صينية الشموع بينما يستخدم في بولندا في عمل تاج للعروس وباقات صغيرة تعلق و (تشبك) فوق صدر العريس واصحابه ، ويبدو ان هذا النبات يرمز الى الفرح والسعادة والنمو لخضرة لونه .

فاذا ما انتقلنا بعد ذلك الى العادات المتشابهة ، وجدنا ان من اهمها عادة ربط يدي العريس والعروس في بولندا ، اما في العراق فقد وجدنا عادة متشابهة وهي شبك يد العريس بيد وكيل العروس ، يجلس العريس

أو وكنه قبالة وكيل العروس ويبدأ رجل الدين بتلقيهما محتوى عقد الزواج بعد أن يكونا قد شبكا يديهما (يد العريس على يد وكيل العروس) . (٤٧)

وفي مصر يتم نفس التقليد الذي يتم في العراق إلا أنهم يضعون منديلا يقدمه العريس فوق يديهما المتشابكتين ثم يقدم هذا المنديل عقب انتهاء الإجراءات هدية الى رجل الدين (المأذون) . (٤٨)

وهذه العادة منتشرة في أنحاء عديدة من بولندا ، ففي قرية « فزدوف » مثلاً يشبك العريس والعروس يديهما فوق المائدة حيث تربطهما الخاطبة بمنديل أبيض قبل أن يتوجها الى الكنيسة لمقد القران . (٤٩)

ويضع العريس والعروس في منطقة « مازوفشا » يديهما المتشابكتين على رغيف من الخبز ، فيقوم شيخ الفرح بربط يديهما بشريط (٥٠) وتوجد ذات العادة في منطقة « كراكوف » . (٥١)

وجدير بالذكر هنا ان نضيف ان القسيس في بولندا كلها يقوم بربط يدي العروسين بشريط أبيض عند عقد القران ، وهذا جزء هام من الشعائر الدينية نفسها .

والمعنى الرمزي لربط اليدين ، هو تأمين العقد واعطاؤه القوة القانونية للارتباط وتحمل المسؤولية (٥٢) والكفاح المشترك من اجل مستقبل الأسرة الجديدة .

وتشارك كل هذه الرموز التي وجدناها في مراسيم الزواج في انها جميعا لها معنى رمزي بسيط وقريب من واقع المجتمع الريفي الزراعي .

ولا جدال في اننا اذا ما واصلنا البحث سوف نجد عادات وتقاليد لدى الامم الاخرى باستثناء بولندا والبلاد العربية متشابهة الى حد كبير . اذ ان هذا التشابه ليس الامولودا طبيعيا وشرعيا لامنيات الانسان واهدافه الطيبة ، والانسان هو الانسان في جميع انحاء المعمورة مهما بعدت الشقة ومهما اختلفت الجنسيات او تنوعت اللغات . والامنيات والاهداف الطيبة قريبة دائما الى قلب الانسان .

- ١- أنا مونتشيا بوناروفا ((الانوجرافية البولندية بعد ثلاثين عاما ، الجمهورية البولندية الشعبية ، مجلة الانوجرافية البولندية مجلد ١٩ ، عدد ٢ سنة ١٩٧٥ ، ص ٢٦ .
- ٢ - مارتين تشي فينسكي ، السحر والوهيم والخيال ، وارسو ١٩٧٥ ، ص ٤٧
- ٣ - التراث الشعبي ، ١٩٦٣ ، أكتوبر عدد ٢ ، ص ٢٨
- ٤ - التراث الشعبي ، ١٩٦٤ ، عدد ٨ ، ص ١١.
- ٥ - الفنون الشعبية ، ١٩٦٠ ، عدد ٢ ، ص ٨٧
- ٦ - ولقد وجدنا نفس الصندوق الأحمر عند المروس المسيحية في الوصل انظر : اسحق عيسكو ((حفلات الاعراس المسيحية الموصلية)) التراث الشعبي ، ١٩٧١ ، عدد ٨١٧ ص ١٢٢ .
- ٧ - اوسكار كولبرك ، المؤلفات الكاملة ، مجلد ٤٩ سنة ١٩٧٤ ، والزواج في قرية « بروتيسنة » ص ٣١١ - ٣١٢ .
- ٨ - اسحق عيسكو : حفلات الاعراس المسيحية الموصلية ، التراث الشعبي ، ١٩٧١ ، عدد ٨١٧ ص ١٢٢ .
- ٩ - ممتاز حسين سلمان الخلو : مراسيم الزواج عند اليزيدية في بزازي ، التراث الشعبي ١٩٧٥ ، العدد الرابع ص ٧٥ .
- ١٠ - كولبرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٥٠٧.
- ١١ - كولبرك ، مجلد ١٦ ، ص ١٣٧
- ١٢ - كولبرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٢٤٢
- ١٣ - كولبرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٢٤٩ و ٤٠٦
- ١٤ - كولبرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٤٤٠
- ١٥ - كولبرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٥١
- ١٦ - قاموس الرموز ، م . برليوي ياديس ١٩٧٤ ص ٢٤٨
- ١٧ - كولبرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٢٧٤
- ١٨ - كولبرك ، مجلد ٩ ، ص ١٩٠ ، ١٩١
- ١٩ - كولبرك ، مجلد ٩ ، ص ١٩٠
- ٢٠ - قاموس الرموز ، م . برليوي ياديس ، ١٩٧٤ ، جزء ٤ ، ص ٧٧
- ٢١ - كولبرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٢٤٩
- ٢٢ - كولبرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٤٤٢
- ٢٣ - عادات وتقاليد الاسرة في النوبة ، الفنون الشعبية ، القاهرة ١٩٦٠ ، عدد ٢ ، ص ٨٥ - ٩٦
- ٢٤ - 24/Westermarck, Survivances païennes dans la civilisation mahometan, Paris, 1935, page 135.
- ٢٥ - 25/M. Berlovi, Dictionnaire des symboles, Paris 1974, vol. III, page 172.
- ٢٦ - على اساس شهادة الاستاذ أحمد عبد المال المصري .
- ٢٧ - كولبرك ، مجلد ٤٩ ، ص ١٠١
- ٢٨ - 28/M. Berlevi, Dictionnaire des symboles, Paris, 1974, Vol. I, Page 158.
- ٢٩ - جميل الجبوري ، تقاليد الزواج في القرية المراقية ، التراث الشعبي ، ١٩٦٣ ، عدد ٢ أكتوبر ، ص ٢٢
- ٣٠ - حسن الإفناوي ، عادات وتقاليد الزواج عند الليبيين ، الفنون الشعبية ، ١٩٦٠ ، عدد ٢ ، ص ٨٢ .

- ٢٥١ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ص ٢٥١
 ٢٢ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ٤١٥
 ٢٢ - نفس المرجع ، ص ٢٢٩
 ٢٤ - حسن الاغناوي ، عادات وتقاليد الزواج عند الليبيين ، الفنون الشعبية ، ١٩٦٠ ،
 عدد ٢ ، ص ٨٢
 ٢٥٠ - 35/Westermarck, op. cit. page 136.
 ٢٦ - عادات وتقاليد الاسرة في النوبة ، الفنون الشعبية ١٩٦٠ ، عدد ٢ ص ٨٥ - ٩٦
 ٢٧ - المرجع السابق
 ٢٨ - 38/Doutte, Magie et religion dans l'Afrique du Nord,
 Alger 1909, page 41.
 ٢٩ - جميل جبوري ، تقاليد الزواج في القرية المراقية ، التراث الشعبي ، عدد ٢ ،
 ١٩٦٢ ، ص ٢١
 ٤٠ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٤٠١
 ٤١ - عادات وتقاليد الاسرة في النوبة ، الفنون الشعبية ١٩٦٠ ، عدد ٢ ، ص ٨٥ - ٩٦
 ٤٢ - تسجيلات من مرسى مطروح وسيوة ، الفنون الشعبية ١٩٥٩ ، عدد ١ ، ص ٤٢ - ٤٦
 ٤٣ - مراسيم الزواج عند اليزيدية في بحزاني ، التراث الشعبي ١٩٧٥ ، ص ٧٧
 ٤٤ - كولبيرك ، مجلد ٦ ، ص ١٤
 ٤٥ - بثينة الطلفي ، لحظة عن تقاليد الزواج الشائمة في البصرة ، التراث الشعبي ١٩٧٤ ،
 عدد ٢ ، ص ١٨١
 ٤٦ - 46/Dictionnaire des Symboles, Vol. I, page 231
 ٤٧ - جميل الجبوري ، تقاليد الزواج في القرية المراقية : التراث الشعبي عدد ٢ اكتوبر
 ١٩٦٢ ص
 ٤٨ - على اساس شهادة الاستاذ احمد عبد العال المصري
 ٤٩ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٤٨٢
 ٥٠ - كولبيرك ، مجلد ٢٤ ، ص ٢٢٢
 ٥١ - كولبيرك ، مجلد ٦ ، ص ٢٠
 ٥٢ - 52/Dictionnaire de symboles, Vol. III, page 124.

تقاليد الزواج في الموصل

سعيد الديوه جي

دور الخطبة وما يعقبها

دور الاستعداد

الابن - البنت

١ - الابن

اول ما تهفو اليه الام هو (ختان) ولدها المدلل ، فاذا ما كان يوم الختان ، فان المباركين^(١) والمباركات يدعون لها : الله يحفظ المدلل ، ان شاء الله يوم* التفرحين* بزواجه ، انت وابوه وكل العائلة ، واشوفين اولاد اولاده : مال* ونيمال* .

ثم ان الأم بعد هذا تمنى نفسها باليوم الذي يبلغ ولدها فيه مبلغ الرجال ، فتخطب له وتزوجه ، وتفرح باولاده ، وعلى هذا فانها اذا ما رقتصت* طفليها غنت له :

جيينا على عشن* الكطنا تحت* حايطنا كن* لطا^(٢)
ياناس* احفظوا بنتكم* عين* ايننا بلكطله*

فهي توهم نفسها ان ابنها قد بلغ سن الزواج ، وصار يتردد تحت حيطان الدور ، يترقب رؤية من تقع بقلبه لتكون زوجته .

ونرى الأم ايضا تتوقع اليوم الذي : **تَجِيلُ الحَنِي**، وتَحْضُرُ
 الحَلَاوي - الليلة حنته ، فتقول له اذا رقصته :
قِرْبَانُ طَيْرِكَ دَا شَتْرِي لَوِ وَاوِي (٥)
وَأَجِيلُ الحَنِي، **وَادْعُكَ الحَلَاوي**
 وتغني له مترقبة جلب عروسه :
قِرْبَانُ طَيْرِكَ دَا شَتْرِي لَوِ جِنَجِيلُ
وَأَجِبْ عَرُوسَكَ عَلِ الفَرَسِ تِهْتَكِيلُ (٦)

وهكذا يكون الفناء له اذا ما رقص ، والدعاء له في التهانى والاعیاد ،
 وفي كل ملاقة مع الاهل والصديقات بان ترى أمه يوم زواجه فتفرح به
 وبأخوته وأولاده .

واذا استصحبت الأم طفلها الى حفل او زيارة ، فانها تمزح معه بان
 يختار له بنتاً من البنات اللاتي يراهن ، .
 واذا زارتهم امرأة ، ومعها بنت او اكثر ، فان الأم تحت ولدها ان
 يعمن النظر فيها ، عليها تكون متيشنته (٧) .

وهكذا اكثر ما يكون كلام الأم مع ولدها عن الخطبة والزواج ،
 والدعاء له بان يسهل الله له بنت حلال ، تلمه وتريعه وتسمده وتكون
 له سترأ في الدنيا فيكون نعم الخلف لنعم السلف (يبقى باب دار والده
 مفتوحاً) عامراً بالأولاد - لا يكون كور' او'جأغ' (٨) ينسد الباب
 وينطفئ الضوء بعد وفاة والده .

٢ - البنت

وأم البنت اكثر ما تغني لها بما يفصح عما تتوقمه لابنتها من خير
 وسعادة في زواجها ، وان لها من الجمال والدلال ما جعلها فريدة العصر ،
 فاذا ما بكت رقصتها وغنت لها :

لَا تَبْكِينَ لَا تَبْكِينَ **بَلَا زَوْجٍ مَا تَبْكِينَ**
لَوِ اشْتَرَيْنَا مَشْتَرَاةً **لَوِ أَدِينَا بِالسَّيِّدِينَ**

فبنتها من الجمال والدلال والاصل والفصل ما جعلها مطمح الانظار ،
 بحيث ان شيخ شمر تقدم ليخطبتها ، فابى ابوها ان يزوجه منها
 فغفني لها :

بَتَانْ مِّنْ حَلَاها **مَدْلِيلها وراها (٩)**
خَطْبها شَيْخُ شَمْرُ **ابوها ما عطاها**

هذا الجمال الفائق ، والدلال التي عليه ، جعلها مطمح انظار ابناها
 البلد ، بحيث ان بعضهم طلق زوجته عندما رآها ، علته يحظى بزواجها ،
 فغفني لها :

أَسْتَوْهٌ مِنْ حَلَاهَا طَلَعَتْ نِسْوانُ
وَالْعَبْدَةُ وَصِيفَةٌ وَالْعَبْدُ مَرْجَانُ
لَوَيْدٌ يَرِي الْبَاشَا بِحُسْنِهَا دَوَّلَتْنِوْهَا خُصَانُ

وعلى هذا فان خطبتها ليست سهلة فقد يتقدم اليها عدد من الوفود ولكن اباما لا يوافق على زواجها ، حتى التجار فانهم لم يتزوجوا بها ، فتفني لها امها عندما ترقصها :

كَمِنْ جَوِ التَّجَارِ يَخْطِبُونَهَا إِشْلِيلِي لَو لَو تَبْسُونَهَا
مَعْمُورُ بَيْتِ الْأَبُوْهَا اِمْعَلْ كَيْبِي عَلَى الدَّلَالِ
عَشْرُهُ خَطْبُونَهَا وَعَشْرُهُ طَلَبُونَهَا
وَعَشْرُهُ وَقَفُوا عَلَى الْبَابِ لِمَنْ جَا أَبُوْهَا

- ٣ -

ويحرص الوالدان على تعليم اولادهم وتوجيههم الى الحياة العملية . فاذا شب الطفل ارسلوه الى الملا ، ليتعلم القراءة والكتابة ، والقرآن الكريم ، ومبادئ الدين ، فاذا شذا صار يتردد الى عمل والده ، ليخلف اياه في عمله ، ويعتمد على نفسه في كسب الرزق . فاذا استقل في عمل ، وصار يعتمد على نفسه في المعيشة ، وكان حسن الاخلاق ، طيب المعاشرة ، متمسكا بدينه ، فان الناس ينظرون اليه بالاحترام ، ويرغب الكثير منهم ان يتقدم لخطبة ابنته ، **«لأنه ولد مستوود ، متكفين ، اين اوادم ، حلال زاده»** ، (١١) مترفع عن كل ما يشينه .

وان امه تطمح الى زواجه ، لملها ترى اولاده قد ملأوا الدار ، فتتباهى بهم وتلاعبهم .

- ٤ -

اما البنت : اذا بلغت سن الخامسة ارسلتها امها الى الملاية لتعلمها القرآن الكريم ، ومبادئ الدين ، ثم بعد هذا ترسلها الى (الاستاذي) - الاستاذة - مع بنات المحلة فتتلمع عندها الخياطة والنقش والتطريز والتخريم وهذه الامور تؤهلها ان تعد جهاز زواجها بنفسها . واذا عادت الى الدار فان امها توجهها الى كنس مرافق الدار ، وشطف السرداب (١٢) ، ومسح الشبايك ، ثم الى العجن والخبز ، ومساعدة امها في الطبخ ، بحيث تكون في المستقبل (ام بيت) : **«عَجَانِي خَبَازِي بَلَبَاخَه»** ، غزالي خياطة نقاشي ، تتقن كافة اعمال الدار ، فتسعد زوجها وتعينه في تهية اثاث البيت ، ولباب العائلة .

- ٥ -

يفضل المواصلات البنت العاقلة المدبرة ، الاصيلة المصنعة على غيرها (١٣) ، حتى ولو كانت فقيرة الحال - كما أهل البنت يفضلون

الاصيل الفقير الحال على الفنى غير الاصيل ، ويقولون : خذِ الاصيل* ،
ونام على الحَصير* .

فهم يطلبون الكفاة في الزواج ولا ينتظرون الى حاله ، بل الى مكان
اسرته في البلد ، وحسن سمعته واخلاقه ، ومعاملته مع الناس* .

ويفضلون ابن البلد على الاجنبى - حتى ان بعضهم كان يغالسى
في هذا فلا يزوج ابنته من محلة بعيدة عن محلته - وقلما كنا نجد موصلية
تزوجت من غير موصلي ، اللهم الا اذا كان سكن الموصل مدة طويلة ،
وعرف بحسن الخلق والدين ، ومن اسرة معروفة في بلده ، ولها صلات
مع اهل - كان هذا قبل اليوم* .

ويفضل الموصلة ابنة العم على غيرها ، فاذا ما ولدت ابنة لعم ،
ورغب اخوه بها فانه يسميها باسم احد البناته ، فلا يتقدم احد لخطبتها* .

وقد تكون المرأة بديلة بين ابناء العم ، او بين رجلين ، فيتزوج كل
منهما اخت الثاني ، ويسمى هذا الزواج (الْكَيْصَة بِكَيْصَة^(١٤)) واكثر ما
يكون هذا في المحلات التي هي اقرب الى البداوة منها الى الحضارة - وقد
تكون عند اهل المدينة - ايضا

- ٦ -

اما الزواج من الارملة فانهم كانوا يتشاهمون منه ويقولون :
اعزب* دَمِير* ، ولا ارملة* شَهِير* . أي كن اعزبا مدة الدهر ، ولا تتزوج
بامرأة قد ترملت قبل شهر* .

على ان بعضهم كان يقدم على الزواج بارملة ، اذا كانت غنية ، جميلة .
وكان هو عاطلا عن العمل ، لكي يستفيد مما عندها ، ويقولون عن هذا :
خُلِدِ الارملة واضحكك عليها ، واخرج من جيبتها ، واصرفها
عليها* .

- ٧ -

اذا استقل الولد في عمل وصار - غَجَّال* - أي رجلا ، فان الام تفاتحه في
الزواج بصورة عرضية ، فتصف له بعض البنات ، وما هن عليه من
الحياء والخفة والمدالة ، وحسن الادب والطاعة ، وانها « بنت بيت »^(١٥)
ما تطلع الا ومع امها ، لا تزور ولا تزار الا لضرورة ، فهي « خاتون بنت
خاتون » وكل من ياخذها يتسعد - يسعد - فيها ، لانها تريح قلبه ،
وترتب بيته ، وتلمه بحسن تدبيرها ، خاصة وانها بنت فلانة ، وهي
معروفة بين العشيرة بحسن الخلق والتدبير ، كما انها - أم بنين -
وزوجها مسعود بها ، يقول المثل : « اكسير البصلي واشتكتهم -
- شهما - ، والبيت تطلنح على امها » ، عيني ويقول المثل ايضا :

«خذ بنت المصّال» ولا تأخذ بنت المال» . لان بنت العمال - العمل -
تعمل ويعمر ، وبنت المال تكسل وتبذر . كل هذا تصف به بنتاً من
اهليها .

اما الاب فانه يفضل بنات اخوته واهله ، فابوها ميتا والمثل
يقول : **البن من همل الطين** ، **والكتمكي من همل عجين** (١٦)
والمستور هو الذي لا يريد ان يتعب نفسه فيأخذ من المجربين ،
واحسن مجرب هم الاهل ، وخبزنا لا يحتاج الى إيدام ، «داكلنا تحت
راسنا» لا روح ولا تعال ولا دوخة رأس ولا طلق نعال .
ولدى تعرف انت ؟ البنت تريد لها بخت ، والرجل يريد له
سبع بنخوت (١٧) ، لان الرجل لا يعرف شيئاً عن يتزوجها ، فاما ان
تطلع بنت اوديم مستوره ، او تطلع بنت كليب (١٨) مفضوحة .
هذا الكلام من الام والاب يكون في اكثر الامسيات ، كل واحد يحر
النار الى قرصته - خاصة اذا زارتهم احدى البنات مع امها ، وقد زينتها
امها وعطرتها ، لعلها تقع في قلب (الشاب الفتيق (١٩)) واذا دخلت
البنت الدار ، انزوت في زاوية من الفرفة مع احدى اقربائها ، وتكلمت
بصوت خافت وهي ملتفة بازارها - كما ان الشاب يفعل هذا ويسترق
النظر اليها ، عله يسمع صوتها ، او يحظى بنظرة منها .
هذا الفصل عن الزواج يندق في اكثر الامسيات ، فاذا كان الشاب قد قنع
بالزواج من احدى قريباته ، فانه يصغي الى حديث امه او ابيه ولا
يعترض ، وان هو ان يرغب باحدى قريباته ، فانه يقطع كلامهما ،
مبدئياً عدم ارتياحه من هذا الكلام الذي يتكرر في كل امسية ، وانه
لا يرغب بالزواج من التي يصفونها له . فتثور ثائرة الام ، مبينة له
خطاه وتقول له : ابني إتعثكز (٢٠) على معة الوحشي ، ولا تقف على غوس
الاملاح لان الاملاح عندنا مجهولات السيرة والسريرة ، واما بنت خالك
هذه ، (او بنت عمك) فانها معلومة عندنا ، فهي بنتنا ، من دنا ولحنا
يقول المثل :

والما ياخذ من ملتو يموت بقر علتو (٢١)

واذا صرح لهم انه رأى بنت فلان : وهي جميلة جداً وانه يرغب
بها ، فعندئذ يصير هوسه (٢٢) في البيت ، يعاون الام بناتها واخواتها ،
ويكون صجوماً قوياً على الولد : هذه بنت من ؟ بنت فلان ؟ لاتناسبنا ولا
تناسبها ، من هي ؟ لا أصل ولا فصل ، حماقة أم ازقاقت (٢٣) ، خطافه
الشباب ، امها لما تزوجت شندلت حال (٢٤) اهل زوجها ، كسل يسوم
فصل (٢٥) ، وتنقلب البدني على رأسهم ، واخيراً اضطر زوجها ان يطلع
من عند أهله ، هذا نتيجة الياخذ مامن أهله بلا أصل ، اما سمعت الياخذ

الماعدو اصل ، كل يوم يصير بالبيت قصيل .

هذه لا تصير لنا ابدا ،

ولما تياس من تزويجه من احدى قريباتها ، تعرض عليه احدى بنات عمه وتقول له : « بنت العم تليم » ، وبنت الغريب غم » ، وهكذا يدور الدولاب ولا ينتهي الغزل .

- ٨ -

وبعد هذا تلتفت الى الجيران والصديقات اللاتي يدارينها ، ويتقربن اليها ، وتستدعي البنات الى دارها لاشغال مختلفة ، ومن متزينات بما عندهن من ثياب جميلة ، ويساعدنها في اعمالها المختلفة مثل : يوم تقطيع الرشته ، سلق البرغل ، عمل الكليجة ، فرش البيت في الخريف ، شلح البيت في اواخر الربيع ، وغير ذلك ، فيتسابق البنات في المساعدة ، وكل واحدة تحاول ان تظهر عدالتها ومهارتها امام اهل البيت ، لعل هذا يكون شفيعا لها عند ابنهم . فاما انا (تصصيد المصيدة ٢٦٦) اولا .

وان الام في المساء تردد على سمع ابنها ، ما كان لفلانة من خسفة وشطارة ، وهي التي شالت (٢٧) الشغل على رأسها ، ولا عجب في هذا فهي بنت فلانة جارها ، ونحن نعرف اهلها وعشيرتها ، فهم مثلنا في الاصل والفصل والستر «يا مثلنا تعالوا عندها» .

يا ولدي ما سمعت المثل يقول : «حق بعباتها ، واخطب بناتها» (٢٨) فاما معلومة عندنا في حسن الاخلاق واتقان العمل .

- ٩ -

وهكذا تستمر المساجلات حول فلانة ، وفي اكثر الايام ياتيها ابنها بخبر جديد عن اهل البنت : عن امها واخواتها وعماتها وخالاتها واخوتها ، وكل من له صلة باهلها ، وامه تفند ما يقوله ابنها وتقول له : عيني هذا الحكيم ما من عندك ، هذا ما قالت لك فلانة جارتنا ، لانها تريد تحشك (٢٩) بنتها عندنا ، ما سمعت : البفضة بالاهل والحسد بالجيران ، والله تطلع روح هل ام الفتن ، ما آخذ بنتها ، واخليها تدخل دارنا ، تريد تسومي حيطانها مع حيطاننا (٣٠) ، هذا شيء ما يكون ما دمت بالحياة ، بنتها مثل امها ، ما أحد يعرفها اشون وحدي؟ تشتغل صنطه بصنطه (٣١) اكوتين مطبق واكو جوز هتسقيش (٣٢) .

- ١٠ -

واذا فشلت هذه المحاولة ، فان الام تستعين بالدلالة تفتش لها عن بنت تكون وبنيت اوديم (٣٣) ، تناسبنا وناسبها ، مستورة ، معدلي

شاطرة (٣٤) ، بنت بيت ، تحسن تدبير الدار ، وتعين زوجها ، والمهم ان تعيش معنا طيب ، لا كليل يوم حسرة (٣٥) ، وكل يوم قوغة والناس تستطشش علينا ، ونصير مثل بيت قششقوان (٣٦)

والدلالة مجرية ، تسهل الصعب ، وتقرب البعيد ، وتجعل من العبد كرجية (٣٧) ، ومن الحق وقية ومن الجيفة معدلة ، بجماعة تسلق ابواب ، وتجمع راسين على مخدة واحدة .

هذه الدلالة تحمل معها وسائل التجميل للنساء : مشط ، حكاكي ، تيكناكي (٣٨) ، حمرة ، واخطاط ، اسبيناك ، ديرم (٣٩) ، كحل ومكحلة ، ملقط . . . الخ وتقصد البيوت لبيعها على النساء اللاتي قلما راين السوق ، وخلال ترددها تتصل بالامهات ، وتسألن عن البنات ، هل يرغبن بتزويجهن ، اذا ما سهل الله ابن حلال ، وتقصف على رأي الام بالزوج الذي تبغيه لابنتها ، اذا كتب الله لها النصيب ، وهل هي مجهزة مكملة اذا ما تقدم اليها شاب يريد ان يتزوج ؟

عندئذ تنشط الام لهذا الكلام ، وتنسبط للدلالة ، وتقدم لها «عند ويرة دهيئة مع ماء بارد» (٤٠) ، وتطلب اليها ان تستريح عندها ، تشتري منها ما يلزمها وما لا يلزمها ، وتؤكد عليها ان تكثر التردد ، وتسرع اليها ان ابنتها مجهزة ومكملة ، اذا ما جاء نصيبها ، وان الامر لا يستغرق اكثر من اسبوع واحد . وهكذا تجري المفاوضات الاولى مع الدلالة .

تقصد الدلالة الدور التي فيها شباب يريدون انزواج ، وتسرد لهم ما عندها من بنات ، وتنسب من تراها ويليق به ، من حيث الفنى والسن والاصل والفصل ، وتهيل وتكيل (٤١) باوصافها ومناقبتها وانها مضرب المثل في كل شيء وقد تقدم الكثير لخطبتها ولكنهم ردوا ، لانهم لم يكونوا اكفاء لها

- ١١ -

اما الام فانه لا تصغي الى هذا الكلام ، بل تجمع الاهل والاقارب وتعرض عليهم الاسماء كلها ، وتقول لهم محذرة ان يطعن بنت لان هذا من اكبر الخطايا ، وتقول لهن - على ما نقلته لها جدتها - ان امرأة دخلت النار ، لانها كانت قد خطبت بنتا لابنها وقالت له : كان عقبيها وسنخ - اي قلنسوتها وسخة - فان هذا مما ينقص قيمة البنت فاتقن الله وقولن الصدق . وبعد ان تقلب الام الاسماء تبدأ بالسؤال عن كل واحدة : اصلها ، جمالها ، علالتها خلقها . وتبدأ بعرض الاسماء واحدة بعد الاخر ، وتوقف عند كل اسم ، تسال الجالسات عنه .

فتنهال الاجابات المتباينة من محبات ومبغضات وحاسدات
ومنافسات .

ما را يكن في فلانة ؟ فتجيب احداهن : كنيها جاكون^(٤٢)، ضعيفة
كومة عظام ، تشبه سفيس^(٤٣) مكسر - عيني هذه ما تصير لك - وتقرأ
مع نفسها :

قومي دانام' ياكومة' العظام حشرات' قلبي على البيض' والاسمان'
فتقول الام : وفلانة بنت فلان ؟ فتنبري امرأة اخرى وتقول :
هذه كنيها برمة'، عرضها اكثر من طولها ، بطيخة لقوقة' ، ما تحيط'
ولا تشيل' ، ترفيش' تيمشي ونفش^(٤٤) .

فتقول الام : وفلانة بنت فلان ؟ فتجيب ثالثة : ما اعرف اش
جيتي لنا ؟ هذه مثل امها جماعة' ام ازقات ، ما تستقر بالبيت ، يا باب
اشكح' ويا باب' اركح' ، ويا بيت' ما تسال' عليها^(٤٥) ، وفلانة بنت
فلان ؟ تقول رابعة هذه لما تزوجت امها شنتلت^(٤٥) أهل البيت' ، كل
يوم قتال وصياحات ، وبالتالي جعلته يطلع ويتبرأ أهله منه - عيني هذه
فضاحة ما تصير لكم انتم مستورين .

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول اخرى : هذه كنيها قبح' الشيطان' ،
عوراء' والعياذ بالله .

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول اخرى يهدوء : هذه اخلاق اهلها ما
املاح - استغفر الله -

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول احداهن عوع' عليها كنيها شادي
يرو^(٤٦) ، ما اعرف اشلون خلقه ، والله انت اكسبينا خطية بهل النساء ،
وجعلتينا نبين عيوب' الناس .

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول احداهن : هذه امها كبت'
زفتيتها^(٤٧) ، وطاشت' بعد الكيدي^(٤٨) ، وتشرب من الغييم' ماي' ،
مدهوش' وما شاف' اكروش' ، والمثل يقول : العياذ بالله من جوعسان'
شبيع' ، وواعي اكسي - كورمش' كور' ماميش' عجبنا اوكتيش^(٤٩) .

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول احداهن هذه خالها فلان ، وانتن تعرفن
افعاله القبيحة .

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول احداهن امها تجيب' بنات' ، ونخاف
الله يبلينه بمثلهم ، كل سنة وتتكندر علينا واحدة ، وتعال ياعم دير' .
وفلانة بنت فلان ؟ فتجيب اخرى : هذه خاتون' ، امها ام البنين
حبالي جيتامي ، اذا قامت زينت' ، واذا قعدت بينت' ، هذه تمام على

رأسي - ولكن عجباً يرضون بآبائكم؟ فتجيب عمته : عيني ليشس ابنا
أش بينو ؟ امدلل وابن هل الكرم ، واهه هل الخاتون ، اش ما
تعرفين ؟ تحكين ، اسكسي اسكسي ، اكرميناسكوتك احسن ، ابنا غني
وجميل وعافل ومتدين وكاسب وما به لولا ، بنت الباشا تعشقه
وتموت عليه .

فتقول الام : نرسل الفسالة وناخذ رأي اهله في الولد .
ولما نفاج الفسالة امها ، فان امها تقول للفسالة : كثيرون هم
الذين خطبواها وردوا ، فالبنت خزمة باب^(٥٠) كل من يجي يدقها، ولكن
الباب يفتح بتسهيل الله للناس الطيبين امثالكم ، ونحن نفضل تزويجها
بشباب من اسرة معلومة ، بان يكون كاسباً ، يعتمد على الله وعلى نفسه ،
لان المثل يقول : زوج بنتك بصاحب صتعه ، لا بصاحب
قلعه^(٥١) .

صاحب الصنعة يعيش من تعب الكتف وعرق الجبين والصنعة
خاتم ذهب بيد صاحبها .

المفاتيح بالخطبة

- ١٢ -

فاذا قنع الولد ، ورضي وأهله بالبنت ، فاتحوا الدلالة ان تعلم
اهل البنت بالامر ، وان يعلموا والدها واعمامها بما عزموا عليه ، تصود
اليهم الفسالة ، وتعلمهم بالقبول . يذهب اهل الولد بزيارة عرضية ،
ويدخلون على اهل البنت من غير موعد ، كان يسألونهم عن بيت ما ، او
عن دار خياطة ، ويحاولون خلال هذا رؤية البنت ويمعن النظر فيها ،
ويسألن الام - كأنهن لن يسمعن عنها - فيما اذا كانت مخطوبة او
منيشنة^(٥٢) ، فيكون الجواب بالنفي .

فاذا عدن الى الدار - وقد رضين بالبنت - وصفنها لابنهم وجعلن :
رقيتها كيليدان ، وعيونها عيون الغزلان وفمها خاتم سليمان ، والشفا
قيطان ، وانفها لوزاية ، وخدودها جنيد ، واسنانها لؤلؤ ، وقوامها
شيطيب ريحان وشعرها يخط الارض ، ونهداها شيمام ، وصدرها
بيض نعام ، اذا تكلمت تنائر اللؤلؤ من بين شفتيها ، واذا مشت فانها
لا تؤلم الارض ، لفتاتها لفتات الريم ، وحياتها قد جللتها من فسوق الى
تحت ما تشييل . راسها اذا حك ، ولا تكاد تسمع صوتها اذا نطقت ،
تتعتز باذيالها من كثرة حيائها وهي بنت من تعرف اهلهما بحسن
الخلق ، وطيب الاصل في البلد .

فان وافق الشاب على خطبتها ، فان أهله لا يباغتون اهل البنت
بهذا ، خشية ان يطمعوا بيها ، فيتزوجون عليها ، فيرسلون الفسالة

او الدلالة فتذكر لاهل البنت : ان بيت فلان يريدون زيارتكم ، لان لهم نية تزويج ابنتهم ، فهم يفتشون عن بنت مناسبة كبنيتكم .

يرحب اهل البنت بهذا : ينظفون الدار ، ويمعدون غرفه للاستقبال فيها اجمل المفروشات ، كما يحضرون - شراب الحرير - (٥٣) ان كان الفصل صيفاً ، وتلبس البنت اجمل ثيابها ، وما عندها من ذهب وقصص .

ولما يحضر اهل الشاب ، فان البنت تكون في غرفة لها تشتغل بالخياطة او النقش والتطريز ، وتنشر بجانبها بعض القطع التي نسجتها ، فاذا استقر بهن المجلس ، جاءت البنت تمشي على استحياء حاملة «تيسنة» الشرب (٥٤) وتقدم لهم مطرقة رأسها ولا تتكلم . فاذا تناولن المشارب منها ، وقفت في العتبة ، ولا تجلس الا بعد ان تأمرها امها ، فتجلس متكسة رأسها تنتظر المشارب - وتدعو الله بالفرج .

وفي خلال هذا تأخذ بعض القريبات بالثناء على الفتاة : كل وقتها بالنقش والخياطة والتخريم ، مكبوبة رأسها على الشغل ليل ونهار ، قد اراحت امها ، كل شغل البيت عليها ، مع العدالة والترتيب ، فهي بنت امها ، وانت تعرفن امها وعقلها وثقلها ولكن في هذا الزمان : تنساوت القعاء وام الشعر - اي دات الشعر مع من لا شعر في رأسها ، اما البنت فتبقى مطرقة ساكتة ، فيحاول النساء مفاتحتها بالكلام ، فيسألنها عن عملها ، وان تظلمهن على نماذج مما انتجته ، ولكنها لا ترد الكلام وتبقى مطرقة . وبعد ان تلح عليها امها تأتي ببعض القطع التي انتجتها ، ويسألنها خلال هذا عن كيفية العمل ومدته ، ومن تعلمته ، يحاولن حملها على الكلام ، ليتأكدن من حسن منطقها ، وطلاقة لسانها ، وتحاولن بمضهن النظر الى يديها ، وما فيها من حلي لتتأكد سلامتهما من امراض جلدية ، وفيما اذا كانت سميكة او ضعيفة ، لان السمن كان من اهم مظاهر الجمال ، فالضعيفة عندهن : كومة عظام ، واما المرخرة السميكة فهي المقبولة ، واخرى تفحص رجلها وساقها كأنها تنظر الى الحجيل الذي فيها ، وثالثة تمن في صدرها ، وهكذا يتم الفحص في دقائق معدودة ، ويكون التقرير النهائي عنها اذا ما عدت الى الدار . فان رغب فيها - وكانت ضعيفة الجسم مثلاً - فانها بعد الزواج والحبل والجلب تنقلب لحم . (٥٥) ويمتدل جسمها وتصبح مثل امها ، وفلانة يوم خطبناها كانت «سوساي» (٥٦) والان صارت غفيس (٥٧) ، ما تطيق تتحرك من السمن - كنيها مطرح ريش -

وهكذا يبررون كل نقص يرينه فيها ، والشرح المتواصل يكون امام الشاب وابيه واخوته ، وتشتد المناقشة ، وتكثر الاسئلة عنها - وبعد ايام يرسلن جماعة اخرى من نساء المحلة الماقلات المحايدات وبعض

قربيات الشاب ، فيقمن بنفس العمل ، ويعدن التأمل في اعضائها واحداً بعد الآخر ، خاصة الاعضاء التي لم يتفق الاهل في وصفها ، وربما استمر ارسال الوفود عدة مرات ، حتى يكون التقرير النهائي ، بموافقة الشاب على فتاة لم يرهما ، وقد ملا اهله دماغه باوصافها ، فهي ربة الحسن والجمال والاصل والكمال فريدة بين اترابها .

- ١٣ -

يرسل اهل الشاب الفسالة الى بيت اهل البنت ، ويعلموهم انهم يرغبون بخطبة ابنتهم ، فيضربون يوماً للحضور .

يعني اهل البنت الدار، ويحضر عندهم القربيات الماروقات بحسن التدبير ، ويتشاورون فيما سيتكلمن به - ويستصحب اهل الشاب عماته وخالاته وبعض الصديقات ، فاذا وصلن كان الاستقبال حاراً ، والايترسام طافح على افواههن .

فاذا فاتحن اهل البنت بالخطبة ، يكون الجواب : والله بعيد وقيت على زواجها ، لانها صغيرة السن مدللة ، ويصعب علينا فرقتها ، هي شعبة الدار وعموده ، وان امها تتمطل ، لانها قد اعانتها ، فهي في الحقيقة - على صغر سنها - الكل راض عنها والزواج نصيب ، دتشفوف اش الله كتب يصير ، وان شاء الله ما يصير الا الخير .
وتأخذ أم الختن وممن معها في ذكر مناقب الشاب : شاب رشيق، اخته تعشقه لجمالها وخلقه ودينه ، ابن حفنة سنين (٥٨)، عين القلادة ومفتاح باب الدار ، لمن جانا شابت الحانا ، على غاس كومة بنات (٥٩)، امرى على الدلال وهو ربحان العشرة . نريد له بنت مثله ، وتقدم الكثير من الاصدقاء الى ابيه وقدموا له بناتهم ، ولكن النصيب يعرف ، ولا يكون الا ما كتب الله .

فتمود أم البنت وتعدد منزلة ابنتها : ان بيت فلان وبيت فلان تقدموا لخطبتها ، وبذلوا الاموال ، ووسطوا الرجال ، ولكن ابوها ما وافق ، وما احد يعرف فكره لمن سيمطيها . فترد عليها احدى قريبات الشاب : عيني بيت افلان وافلان مثلنا ؟ نحن وين بيت فلان وين (٦٠) كل اصابعك سوى ؟ يا مثلنا تعالوا عندنا ، كل تخم يعرف تخم (٦١)، ولازم تعرفون الذي يروح لا يعود ، نحن بيت معمور، ودار مشهور . وتذكر ما هم عليه من الترف والنعيم بغير حساب، وعلى هذا قالوا : اكذب من خطابة .

وينتهي الكلام : عيني نحن ننتظر الجواب النهائي ، والتسهيل بيد الله ، ونسلم عليكم .
فيجيبهن اهل البنت : عيني مع الالف سلامي ، حلت البركة (٦٢) .

على عينا وراسنا جيتكم ، نسال الله ان يهدي ابوها لما فيه الخير ، وما فيه السرور جميعاً ، بعد كم يوم نخبركم ان شاء الله .
وبعد ايام تأتي الفسالة ، فتلاقي باكرام وحفاوة ، وبعد ان يستقر بها المجلس ، تذكر لهم ان فلانة تزوجت من فلان و . . . ولا ندري اي يوم نفرح بزواج ابنا بهذه الحباية ، فيبدي اهل العروس بعض التمنع المصطنع ، وانهم قد اخبرن والدها بالامر ، فلم ينطق بكلمة ، انتظروا لعل الله يجعل الفرج قريباً .

يتكرر تردد الفسالة او بعض قريبات الشاب الى بيت اهل البنت ، وفي كل مقابلة يملونين بالتسويق ، واخيراً يعلمونهم : انكم طولتموها يا تمطوها ياما تمطوها ونريد ان يكون بعد غد الجواب .
وربما تقول لها احدي القريبات : عيني اش صار ، فلانة لما خطبناها تقطعت بوايجنا ، وسافت جزمنا وتشققت اذننا (٦٣) ونحن نروح ونرجع وعلى كل ان شاء الله يكون الخير .
وبعد ايام تأتيهم الفسالة فيعلموها بالموافقة فتعود الى اهلها بالبشرى .

- ١٤ -

على ان بعضهم كانوا يترفعون عن تزويج بناتهم ، ويريدون زوجاً نزل من السماء ، فاذا مضى عليها سنوات وجاوزت سن الزواج ، وراى اقرباها قد تزوجن وسمعن عند الزوج ، عندئذ تقدم على ما بدر منها ، وعلى هذا يقول عنها الناس : لمن خطبوها تدللت ، غاحوا - راحوا واخلوها تندمت ، وصارت تقول :

يَمَّا صَيَّحِيهِمْ وَتَوَسَّلِي بِيهِمْ

واحيني غديهم بلكي يريوني (٦٤)

وتستدعي الدلالة وتكرمها وتحنها امها على ان تذكرها عند من يناسبها ممن ينوي الزواج ، لعل الله تعالى يحل عقدتها ، ويجعل الفرج على يدها ، ونحن ما ننسى تعبك . والمضى مضى ، ونحن نعص يدك ونشمر اخرى . واذا سالوا امها عن سبب عدم تزويجها قالت : تدللتنا قدللتنا ، ضيعنا المايح وما رضينا . ابو جبّه ما نلقاه ، وابو عبايه ما ترصاه (٦٥) ولماذا لا تزويجها اليوم ؟ فتقول : حصل بيدنا زوج وما زوجناها ؟ نحن ضربنا عييلي ، واليوم نرضى بكل من يتقدم لخطبتها ، عيني ما سمعت : زوج من عود ولا بالبيت قعود .

السياغات

- ١٥ -

كاست بعض الاجتماعات معرضاً للبنات اللاتي لم يتزوجن مثل : حمام الليل ، والسيغات - المنتزهات التي حول المدينة - والحفلات

حمام العليل - حمام علي - يقصدها الناس في الصيف للاستشفاء
بماؤها المعدي ، ويسكنون في «المرازيل» - الترائس - وتطلق لبن
بعض الحرية في التنزه الى ساحل النهر ، والذهاب الى الحويجة
- الغاية - ، والصعود على تل السبت وغير ذلك .

يجتمع النساء والبنات في الاماسي قرب ساحل النهر ، ويقصدن
حلقات سمر وغناء اذا كان المكان خالياً ، ويقصد الشباب هذه المواقع ،
ويتطلعون عن بعد ، يسترقون الانظار الى البنات ، فاذا راق لاحدهم
بناتاً ، اقتفى أثرها عند عودتها الى عريش اهلها ، ثم يتردد قرب العريش
نعله يحظى منها بظرات ، وربما بادرت هي الابتسامات ، فيكون هذا
فاتحة خير .

وبعض البنات يصعدن على تل السبت المشرف على حمام العليل ،
فيتنزهن ويغنين ، فان كانت قد تجاوزت سن الزواج ، فانها تقول لتل
السبت : يا تل السبات ، جيناك اليوم بنات ، ونجيتك في السنة
القادمة متزوجات ، وترمي عباؤها او إزارها في الفضاء ، فان انفرج
نفاءت خيراً بان الله سيسهل لها ابن حلال ، والا تشاءمت وعادت كسيفة
انبال .

ومن لم يساعدها الحظ يسفر اهلها الى حمام العليل ، اوصت
صديقاتها المسافرات الى الحمام : اذا ما ذهبن الى الاستحمام بالمين
صباحاً ، ان يرمين بصلة فيها ، فان هذا ربما ادى الى سفر اهلها ، وعلى
هذا يقول سليمان بك مراد بك الجليلي من قصيدة فكاهية :

يا خالق	سلّموا على حمام علي
يا الله عليك	ومن الصبح وبمجلي
وان كان رحمتي للصبح	بالمين ذكّوا بتصلي (٦٦)
والعين بالعين التقت	هتّوا المهدي لا نيتلي
الرحمت تل السببت	

اما السياغات - المنتزهات - فهي كثيرة ظاهر مدينة الموصل مثل :
ميدان الاخضر (٦٧) ، الشيخ فتحي - الفتح الموصل - قضيبة البان
وأرض الصينية (٦٨) ، الغزلاني (٦٩) ، بشر البنات (٧٠) ،
البنجة (٧١) ، وادي الدير (٧٢) ، . . الخ

يخرج النساء بعد الظهر حاملات معهن «الزّملة» والجرّز، فترى
ظاهر المدينة - في الربيع - يموج بالالوان الزاهية ، ويبدن زينتهن
ومرحهن ، وهذا ما يدفع الشباب ان يتطلعن اليهن ، وربما كان داعياً
لزواج بعضهم ببعض

كما ان حفلات الافراح : الختان ، جلب العروس ، نقل الحماله ،
ليالي الحنة ، الموالد النبوية ، كل هذه من دواعي اظهار الزينة والتطلل
بعضهم الى بعض .
فاذا زارت النبي يونس مثلاً - وقد عسر أمر زوجها - نذرت له
وغايطته :

يَا نَبِيَّ جَيْتِكَ زَائِرَةٌ شَكَّتْ عِبَاتِي طَائِرُهُ
كُلَّ الْبَنَاتِ أَزْوَجَتْ وَأَنَّى ظَلَيْتُ حَائِرُهُ
واذا سجرت التنور لتخبز فيه ، فانها تعلق شمعة بالتنور بعد ان
تخفت حرارته وتغاطب التنور :
يَا تَتَّانُ يَا الْمَزْزُوعُ بِالْبَسْتَانِ
أَوَيْدُ مَيْتِكَ شَابَ الْمَلِيحُ فُلَانُ ابْنُ فُلَانِ
عَلَّ عَجَلِي عَلَّ عَجَلِي
كل هذا يفعله البنات اللاتي تأخر زواجهن ، ولم يتقدم اليهن ابن
حلال مناسب .

القَطْنُوعُ

- ١٦ -

وهو من الايام المذكورة عند الطرفين ، في هذا اليوم يحدد مقدار
النقدية والنيشان
والنقدية : هي الصداق ، كانت تحدد بمقدار الاكياس ، يكون في
الكيس الواحد خمس ليرات ذهب عثمانية (والليرة الواحدة تساوي ١٠٠
قرش صاغ)

والنيشان : هو حلي ذهبية تلبسها العروس ، لتعرف ان فلان قد
تنيشن عليها ، فلا يتقدم احد لخطبتها ، ويحضر مجلس القطنوع
- القطنع - : العاقلات والصديقات من الطرفين ، وبعد ان يستقر
المجلس تبدأ أم الابن ، او جدته وتقول لام العروس : عيني انت تفتصيلين
ونحن نلبس ، لسانك معيارك ، الحمد لله حالنا طيب ، والله المسهل .
تأخذ أم العروس فتذكر لهن ما أخذته هي ، وأختها ، وخالتها وعمتها من
نقدية ونيشان وهي يا عيني مثلنا مع ان الزمان تبدل ، والاشياء قد
ارتفعت سعرها ، ومع هذا فالذي اراه ان تكون النقدية والنيشان مثل بنت
فلان - وهي مثلها في الاصل والغنى .

وبعد جدال وقيل وقال ، تحدد النقدية والنيشان .
ثم يبدأ أهل الختن فيذكرن ما بدارهن من اثاث وحلي وجواهر ،
يبغين من هذا ان تكون (الحماله) تناسب ما عندهم ، وهو ما يجب على

البنت ان تطلعه - تحمله - معها ، وبعد جلسة عنيفة يستقر رأي الطرفين على : النقدية والنيشان والحمالة .

اما النقدية : فكانت لا تتجاوز بضعة اكياس ، الا الغنيات المترفات فان نقديتها قد تصل الى مئة ليرة ذهب ، وهذا يكون مضرب المثل ، عيني فلانة كانت نقديتها عشرة اكياس ، قابل نحن مثلهم ؟ اما النيشان فيكون قطعة او اكثر من حلي ذهب ، تصاغ حسب رغبة اهل العروس ، مثل : حجل ، فايش (٧٢) ، جرجر ، كردانة ، منتشي ، سوار حبل الجسر ، مكطع ، قامبي ، مفردات ... الخ - انظر الملحق - أ - عن مطالب بعض الامهات .

اما الحجل : فهو اهم الحلي التي كان النساء يمتنن به ، ويستحسن ان يكون ثقيل - ثقيل الوزن - وتلبسه العروس بعد النيشان ، ولا تنزعه ما دامت متزوجة ، ويتشامن من نزعه ، فان نزاع الحجل يؤدي الى موت الزوج - وان بعضهن اذا ما اصبن بمصيبة تستدعي حزنهما ، فان الحجل لا تنزعه الا بموت زوجها .

الحمالة - الجهاز -

- ١٧ -

اما الحمالة : وهي ماتحملة الزوجة الى دار زوجها - فتعقد جلسات في تحديد مفرداتها فام الابن تطلب كل شيء حتى المستحيلات ، كما ان ام ابنت تريد ايضا ان تظهر حمالة ابنتها بمظهر يناسبها ، كاملة بن متفوقة على غيرها ، خاصة اذا كان لها اخوات اصغر منها ، فان حمالة اختهن تحمل الناس على خطبة اخواتها ، ..

واكثر مفردات الحمالة تكون البنت قد اعدتها قبل هذا : فكانت في فراغها تعاني غزل القطن والصوف ، وترسل الغزل الى الحائك ، ينسج لها : مناديل ، سجادات ، احرامات ، خام شلتقه ، سستانر ، ذيرا ... الخ

ثم تعاني نقش مفردات حمالتها وثيابها : مناديل حريير ، والسجادات ، واطراف قمصان النوم ، وفتحات الثياب ، والتكك وغير ذلك .

ثم اذا تقدمت في السن اخذت تعاني النقش بالليل والسرمة ، فتنقش غطاءات المناومات ، والمخاديد ، والحافات وغيرها .

وتحشي المناومات من الخام الذي نسجه الحائك وهي : مطارج ، لحافات ، مخاديد ، جودليات ، وتكون هذه فوق الصندوق .

كما ان حفلات الافراح : الختان ، جلب العروس ، نقل الحمالة ، ليالي الحنة ، الموالد النبوية ، كل هذه من دواعي اظهار الزينة والتطليح بعضهم الى بعض .
فاذا زارت النبي يونس مثلاً - وقد عسر امر زوجها - نذرت له وخاطبته :

يأتبسي جيتتاك ذاثره شكتت عباتي طائيره
كل البنات ازوجت وآني ظليت حائيره
واذا سجرت التنور لتخبز فيه ، فانها تعلق شمعة بالتنور بعد ان تخفت حرارته وتخطب التنور :
يأتت يأتتن يا المزوع بالبيستان
اوبد منك شاب المليح فلان ابن فلان
عل عجلي عل عجلي
كل هذا يفعله البنات اللاتي تاخر زواجهن ، ولم يتقدم اليهن ابن حلال مناسب .

القنطوع

- ١٦ -

وهو من الايام المذكورة عند الطرفين ، في هذا اليوم يحدد مقدار النقدية والنيشان
والنقدية : هي الصداق ، كانت تحدد بعدد الاكياس ، يكون في الكيس الواحد خمس ليرات ذهب عثمانية (والليرة الواحدة تساوي ١٠٠ قرش صاغ)

والنيشان : هو حلي ذهبية تلبسها العروس ، لتعرف ان فلان قد تنيشن عليها ، فلا يتقدم احد لخطبتها ، ويحضر مجلس القنطوع - القنطع - : الماقلات والصديقات من الطرفين ، وبعد ان يستقر المجلس تبدأ أم الابن ، اوجدته وتقول لام العروس : عيني انت تفصلين ونعم تلبس ، لسانك معيارك ، الحمد لله حالنا طيب والله المسهل .
تأخذ أم العروس لتذكر لهن ما اخذته هي ، واختها ، وخالتها وعمتها من نقدية ونيشان وهي ياعيني مثلنا مع ان الزمان تبدل ، والاشياء قد ارتفع سعرها ، ومع هذا فالذي اراه ان تكون النقدية والنيشان مثل بنت فلان - وهي مثلها في الاصل والغنى .

وبعد جدال وقيل وقال ، تحدد النقدية والنيشان .
ثم يبدأ أهل الختن فيذكرون ما يدارهن من اثاث وحلي وجواهر ،
يخفن من هذا ان تكون (الحمالة) تناسب ما عندهم ، وهو ما يجب على

البنيت ان تضعه - تحمله - معها ، وبعد جلسة عيفة يستقر ذاتي
الطرحني على ، عصرية واليشان والحالة .

اما النقديّة : فكانت لا تتجاوز بضعة اكياس ، الا الفتيات المترفات
فان فقديتها قد تصل الى مئة ليرة ذهب ، وهذا يكون مضرب المثل ،
عيني فلانة كانت بقديتها عشرة اكياس ، قابل نحن مثلهم ؟ اما النيشان
فيكون قطعة ، واكثر من حلي ذهب ، تصاغ حسب رغبة أهل العروس .
مثل : حبل ، قاييش (٧٣) ، جرجير ، كرددانة ، منتشي ، سوار
حبل الجسر ، مكطع ، قامبي ، مفردات ... الخ - انظر الملحق
- أ - عن مطالب بعض الامهات .

اما الحجل : فهو اهم الحلي التي كان النساء يمتنّ به ، ويستحسن
ان يكون ثقيلًا - ثقيل الوزن - وتلبسه العروس بعد النيشان ، ولا
تنزعه ما دامت متزوجة ، ويتشائم من نزعه ، فان نزاع الحجل يؤدي
الى موت الزوج - وان بعضهن اذا ما اصبن ببصيبة تستدعي حزنها ،
فان الحجل لا تنزعه الا بموت زوجها .

الحمالة - الجهاز -

- ١٧ -

اما الحماله : وهي ماتحملة الزوجة الى دار زوجها - فتمقد
جلسات في تحديد مفرداتها فام الابن تطلب كل شيء حتى المستحيلات ،
كما ان أم البنيت تريد ايضا ان تظهر حمالة ابنتها بمظهر يناسبها ، كاملة
بل متفوقة على غيرها ، خاصة اذا كان لها اخوات اصغر منها ، فان حمالة
اختهن تحمل الناس على خطبة اخواتها ، ..

واكثر مفردات الحماله تكون البنيت قد اعدتها قبل هذا : فكانت
في فراغها تعاني عزل القطن والصوف ، وترسل الغزل الى الحائك ، ينسج
لها : مناديل ، سجادات ، احرامات ، خام شكلته ، ستائر ،
ريرا ... الخ

ثم تعاني نقش مفردات حمالتها وثيابها : مناديل حرير ،
والسجادات ، واطراف قمصان النوم ، وفتحات الثياب ، والتكك وغير
ذلك .

ثم اذا تقدمت في السن اخذت تعاني النقش بالتيل والسرمة ،
فتنقش غطاءات المنامات ، والمخاديد ، والحافات وغيرها .

وتحشي المنامات من الخام الذي نسجه الحائك وهي : مطارح ،
لحافات ، مخاديد ، جودليات ، وتكون هذه فوق الصندوق .

وتقتني اهما بعض قطع من الاقمشة الجميلة الحريرية التي كانت ترد الموصل من حلب ، ومناديل حرير ، وطاقات ابريسم مثل : الجبلية ، والبتة ، والبش رنك ، وكتان چيني ... الخ اما الثياب الداخلية والفلات ، فانها كانت تنسج من غزلها الدقيق الذي تفاخر به ، وكان النساج يعني بدقه وتنظيفه من كل شائبة ، وقصره ، لانه سيكون في جهاز بنت أخيه ، اذا ما كتب الله لها نصيباً . وهكذا كل هذه الاشياء تكون جاهزة ، بعضها في الصندوق ، وبعضها في الصندوقية مجموعة في «بقج» مختلفة الانواع وبعضها منقوش او مطرز ، وتوضع المناامات فوق الصندوقية ، وهكذا تكون البنت قدهيأت اكثر ما تحتاجه من مواد الحماله - وهو من انتاجها ، ويقولون عن مثل هذه البنت «محملي مكملي» اي كاملة من كل شيء .

ومعدل ما يكون في الحماله :

المناامات : اربعة لحافات واربعة مطارح ، وثمانى مخاديد - وقد تكون اثنتان منهما مشبوة بربش القطا ، ومطران صغيران للجلوس عليها خارج الغرفة ، ويتبع المناامات : جواجم واحرامات (٧٤) وجودليات (٧٥) وچرايف - وان كانت غنية حملت معها محفورة - طنفسة - او اكثر لفرقتها .

٢ - صندوق من خشب الجوز ، مزخرف بمسامير نافرة في ظاهره ، يوضع تحته تخته من خشب الجوز ، يكون في الصندوق ثياب العروس ، وان كانت غنية حملت معها صندوقية لفرقتها .

٣ - ميز - منفصلة - : يوضع في عتبة الغرفة ، وعاليه مرآة كبيرة ، وبضعة مشارب قاعدتها من فضة وفناجين قهوة ، ومرمر يشان وكلبدانان (٧٦) ومبخرة وقد تكون هذه الثلاثة الاخيرة من فضة .

٤ - ابريق جميل مع طشت وصافوي للوضوء .

٥ - ادوات المطبخ والاكل : قدور مختلفة ، صحنون مختلفة - عميقة ومسطحة - ويكون مع بعضها قيفات - اغطيتة - سكاكين ، صافوي ، لكن (٧٧) ، طشوت مختلفة الحجموم ، ملاعق ، شويك ، نشابه الخ

٦ - لوازم الحمام : مناشف ، قعّادى ، سلبجه ، طاسات مختلفة الحجموم ، معدسي ، كيس وقد يكون مذهباً ، قيقاب ، فوط ، بعضها من حرير مفرش مع بساط ، الخ

٧ - لوازم التجميل : مكحلة ، حكاكي ، ملقط ، عقدة صغيرة فيها : حمرة ، اخطاط ، اسبيداج ، ديرم الخ

٨ - حبل يعلق فوق العتبة توضع عليه الازر والمبايات ومناديل الوضوء ٠٠٠ الح ، وقد يكون هذا الحبل زنجيلا من فضة او حبلًا من قطن وحرير .

٩ - عدة سلال منسوجة من قصل ، مزخرفة بالوان متنوعة ، توضع فيها الثياب عند النسج ، واحدها يسمى «المشعلج» .

١٠- وكان بعضهم يعمل «نشرة» وهي عبارة عن شبكة مستطيلة عرضها يزيد على القدم قليلا ، تخاط فيها اشياء مختلفة مصغرة عن كل ما في الحماله مثل : ابريق ، سطله ، يابوج ، مثلث ، قبقاب ، سن الذيب ، ودع ، ثمانم مختلفة ، لعابات صغيرة لحيوانات مختلفة ، عصفه ، خضرم وودع ٠٠ الخ

تحف هذه النشرة باعلى الفرفة من ثلاث جهاتها تكون تحت «الشبهة» اي محل استناد السقف على الجدران .

١١ - ادوات النقش والتطريز والنسج : وهي الادوات التي كانت تستعملها في بيتها .

١٢ - وتحمل للزوج : قوطية للساكير - وقد تكون مذهبة - وسجادة للصلاة مع عدة مناديل ، ومراة صغيرة ، وفرشة للثياب ، - وقد تكون مذهبة - ابريق للحلاقة مع كأس من بلول ، - مشط للحية ، ان كان عنده لحية .

١٣ - الخلع : وهي الهدايا التي تقدمها لافراد اسرة زوجها ، وللخدم ، وللفسالة ، وللسقاء ٠٠٠٠ لخ ، كل واحد تحمل اليه ما يناسب سنه ومقامه .

هذا مجمل ما تحمله العروس من الحماله ، وقد يستغرق تحضير بعضها وقتاً طويلاً ، لان الاشياء لا تباع الا بعد ان يوصي عليها ، فتري اهل العروس في ذهاب واياب ، وتردد ولوم وعتاب ، هذه تذهب الى الصائغ ، واخرى الى الصفاغ - الصفار - ، وثالثة الى النجار وغيرها الى الحائك والنقاش والخياطة حتى تتم الحماله .

واهل الختن يترددون الى اهل العروس كل بضعة ايام ، ويفحصون ما قد اعدوه ، ويقترحون تعديلات وتبديل ، على ما يرغب به اهل الختن ، او ما يرغب به الختن نفسه ، او ما يناسب مقام العائلة ، وتكون مناقشات حادة بين الطرفين ، ويقول اهل العروس ، ليش ما خبرتونا قبل هذا . كل يوم حذل حذل واحد ايروح واحد يجي .

ويبحث اهل الختن اهل العروس في الاسراع بتكميل الجهاز ، لان

الختن وقد سَمَلْنَاهُ، كل يوم يتقاتل ، يدخل زعلان ويخرج زعلان، ونحن نعرف سبب هذا كله .

فتجيبها أم العروس : اختي ، اش دَعَوِي ، اش صار ؟
فتقول لها أم الختن : قالوا له عروسك مبارك ، قال الا الليله ،
ونحن نقول له : يا ولدي لا تستعجل طول الليل عشاء . ولكن ما ينفع
الحكي ، فهو مستعجل في كل اعماله .

حفلة النيشان ثم جهاز العروس والعقد

النيشان

- ١٨ -

وهو اليوم الذي يحمل فيه أهل الختن الحلبي الذهبية والسياب
التمينة ، التي يقدمونها لعروس ابنهم ، وقد يحمل معها النقديّة ايضاً ،
او ربما حملت فيما بعد .

ويعني الطرفان بيوم النيشان ، لانه اول يوم يجتمعون فيه ، على
خير قدره الله ، ويظهرون فيه الفخامة في المظهر ، والتسرف في الصرف
والانفاق ، خاصة اذا كان الشاب «ابن دلال» وكانت البنت اول بنت
يزوجونها ، ولها اخوات اصغر منها ، ومن المستحسن ان يظهروا بما
يستهوئ الغير ، ان يتقدم لخطبة بناتهم .

بعد ان تحضر «الحوائج» (٧٨) عند الاهل ، فانهم يعرضونها على
الاقارب والاصدقاء ، وكل من يشاهدها يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم ، ويدعو لهما بالخير والسعادة ، وراحة البال ، وطيب العيش .
وربما ارسل اهل الختن الحوائج الى اهل العروس ، ليطلعوها عليها ،
قبل يوم النيشان ، لعلهم يبدون ملاحظات عليها قبل تقديمها .
يتفق الطرفان على اليوم الذي يكون فيه النيشان ، ويقدم أهل -
الختن اسماً عدد المدعوّات من جانبهم ، لكي يستعد اهل العروس لما
يلزمهن .

وقبل ايام يذهب اهل العروس لتنظيف مرافق البيت ، وتنضيد
اثاثه ، وتجديد القديم منها ، وربما طلبوا من الجيران والاهل ما يكمل
مظهر دارهم ، ويعدون الواناً من الطليخات : دولة ، كباب ارز ، كسب
برغل ، علي بخارا ، قيسي ، محليّة ، كاهي ، سنوسك وغير

ذلك من المخضرات التي تكون في موسمها ، ومن الحلويات : بقلالوة ،
حجي باد ، شكرله ، حلاوة من السماء وغير ذلك .

يشترك في اعدادها الجيران والقريبات ، المعدلات المعروفة بالانافة
والترتيب ، ويستغلن عدة ايام في اعداد ما يرغبن به ، ويعهد الى كل مسا
تحسن او تقترح عمله ، من «الاكلات» التي تباعت بها اهل الختن ، حتى
يعرفوا عدالتنا وشطارتنا .

خالى أمثونه (٧٩) : انتِ تعملين الشكرله ، لانك مشهورة فيها، الله
يخليك كثرى فيها الهيئل ، وماء الورد ، حتى تصير طيبة .

عَمِّي عَشْرُو (٨٠) : تعمل الحَجِّي بادا ، بشرط تكون احسن من
التي عملتها يوم نيشان ابنتك ، اشققد اكلنا عند غيرك ، ما رأينا اطيب
منها .

اما الكبب فلا يدعبلها احد مثل أسومه ، كثرى فيها اللوز
والكشمش ، واجملها رقيقة .

اما فطومة (٨١) : فعلها تحضير القيسي ، وانعلي بخار ، ولا تنسي
اللوز المقشور فيه .

اما خديجة : فهي معدلة بعمل المحلبة ، بالله عليك كثرى فيها ماء
الورد .

وهكذا يتقاسمن عمل الاطعمة التي تحضر قبل يوم او اكثر .
اما البقلالوة ، فان هذا من شغل «شدادة البقلالوة» (٨٢) : وهي اكثر ما
تكون من اهل تلكيف ، وورسلون اليها امرأة تؤكد عنيتها ان تحضر قبل
ثلاثة ايام على الاقل ، حتى تتمكن «شدادة» البقلالوة من اعدادها قبل يوم
النيشان .

يتوجه اهل الختن الى بيت اهل العروس قبل انفساء ، ويكسون
المدعوات عند اهل العروس والصديقات قد اخذن مجالسهن. وفي كل بضعة
دقائق تخرج احداهن الى باب الدار ، وتنظر فيما اذا كان اهل الختن
قادمات ، فاذا ما بدا لها اول الحوكب ، ركضت الى اهل الدار ، واعلمتهن ان
ان يستعدن لاستقبالهن فتتقدم ام العروس، ومن هي في درجتها من الاهل
والصديقات الى الباب ، فيدخل اهل الختن في زُغردة وهلاهل ، ويجاوبهن
اهل العروس بمثلهن ، وياخذن ازد اهل الختن ، وتمشي الام امامهن الى
المكان المعدة لهن ، وبعد ان ياخذن مجالسهن ويتبادلن الترحاب ، ويقدم
لهن شراب الحرير ، يسألن عن العروس ، وهي في غرفتها مع مثيلاتها من
الصديقات ، فتدعوها امها ، فيأتي بها الصديقات في غناء وهلاهل ، وبعد
ان تقبل يد ام الختن ، ومن في سننها يجلسنها على كرسي بجانب ام الختن
، فتلبسها «حوائج النيشان» وسط هلاهل متتالية ، فتجلس العروس

مطبقة الرأس لا تلتفت يمينا ولا شمالا ، والعرق يتصبب من وجهها •
ثم يكون الفصل الاول - قبل الغداء - فيأتين بالنقاره والرقاصة -
ويقضين وقتا بالغناء والنقر والرقص •

وقد يأتي اهل الختن معهم بنقارة ومقنية معلومة ، هذا اذا لم يتمكن
اهل العروس من احضارها • وقد يشارك بعض صديقات العروس في
الرقص ، لانه يوم النيشان لصديقتهن • وبعد ان يستمر هذا مساعه او
بعض ساعه ، يكون اهل العروس قد هيان الطعام ، فتتقدم ام العروس الى
ام الختن وتعلمها ان الطعام حاضر •

فتأخذ العروسة معها ، وتجلسها بجانبها وتطعمها ، والعروس تظهر
الاستحياء ، وتاكل فيلا قليلا ، والنساء يمزحن معها : ان تكثر من
الاكل ، حتى تسمن ، لان الختن يحب السمينة ولا يريد امرأة ضميعة •

وبعد الانتهاء من الاكل يتناولن الحلويات ، وتعود ام الختن الى
مكانها ومعهما كنتها ، فاذا ما استقر المجلس بالمدعوات بدأ الفصل الثاني
في القصف والغناء والرقص ، ويكون مدة هذا اطول من الفصل الاول ،
ويرقص النساء بالتوالي ، وقد ترقص ام الختن ابتهاجا بزواج ابنتها ،
كذا عماتهن وخالاتهن واخواتهن ، حتى انهن يكلفن العاجزات ولو تقدم جدته
وتفنننها فننه (٨٣٢) واحدة ، فتقوم جدته وتهز جسمها ، وييدها كفيه
توميء بها الى العروس وتشهد الهلهل والراقصات حولها ، فتعود الى
مكانها وقد انهكها التعب وذكرها بيوم زواجها يوم رقصن لها •

واكثر من يضي ويرقص ويهلل هن : الغسالة ، والدلالة ،
والخادومات ، فكلما فتر الغناء فان احداهن تبدأ بالغناء والرقص وتهلّل
وتصيح بأعلى صوتها : سامع الصوت على من يهلل (٨٤) ، اليوم نيشان
الدلل والدلالة ، وهكذا يستمر الهرج والمرج الى قبيل المغرب ، فيتهاى اهل
الختن للعودة ويتقدم اهل العروس لتوديعهن ، وتقول ام الختن لام
العروس : اعطيناكم محمد ، واخذنا منكم حمدية ، والحمد لله على هذا •
وتتقدم ام العروس ومعهما ابنتها تودع المدعوات ، وتمتدح لهن فيما اذا بدر
منهن تقصير ، وام الختن تشني عليهن وتدعولهن بالخير والبركة •

وبعد العودة من حفلة النيشان ، يرجع اهل الختن باحاديث طريفة
عما شاهدن واكن في بيت العروس - وقد يكون الختن بانتظارهن -
فتبادر الام بوصف الحفلة وما سادها من مرح وطرب ، وكرم اهلها ،
وجودة طبخ طعامها الخ وتقص عليه ما عليه منيشنته من جمال ،
فانها كانت تضرري على كل البنات ، مثل الشمعة ، عقل وثقل ، وحسن
هندام ، وجمال قامه ، وكما سق اعضاء ، ما احلما اذا رفعت اللقمة بيدها •

ووضعها في فمها الصغير ، فاذا التفت رأيت جيد ريم ، وزندها قرع^{٨٥} اسلحي (٨٥) ، واذا نظرت سحرت الجالسين ، والنساء يعمن النظر فيها ، وكل منهن تدعو من الله ان يسهل لها كنة مثلها - الحمد لله على هذا ، عيني الله يعطي كل واحد على نيته - اي سلامة قلبه .

ثم يأخذن الى وصف المدعوات وما يرتدينه من ثياب وحلي ، ويتنقلن الى وصف الحفلة ، وما جرى فيها من دعابات ومساجلات ، وغناء ودق ورقص ، وفلانة كانت تغني من كل قلبها ، لانها «خوش» مَفَاء اي امرأة طيبة . وفلانة كانت تنظر شراً الى من ترقص ، لا يطيب لها هذا ، لاننا لم نأخذ ابنتها . وفلانة كانت «توشوش» - تتكلم بهدوء - فلانة ، لانها ام «دودي» (٨٦) ما تقعد راحة . شنبوت «دوديتها» خل تموت بملتها .

ويجتمع اهل العروس بعد انتهاء الحفل ، ويشين على عقل ام الختن ، وهدوء أهله ووقارهن ، لم يدوخوا بكثرة المعزومات - المدعوات - والحقيقة كانوا يمدحونها على ما قدمنا ، ويدارون المعزومات ، كأنهم من اهل العروس : الاوادم تعرف الاوادم ، نعم الجدود ونعم ما خلفوا .

اعداد الجهاز

- ١٩ -

تجهيز البنت : هو ان يعد اهلها ما تحمله معها الى بيت الختن ، من اثاث وفرش وادوات طبخ وادوات زينة ، ولوازم حمام ، وكل ما يكون في الدار ، وثياب مختلفة ، وخلع تقدم لاهل الختن ومن معهم .

كما ان اهلها يكرمونها بصياغة بعض «الحوائج» الذهبية - حلي - اضافة الى ما عندها ، حتى : لاتطلع مثل المكادي ، ما اكو باذنتها الا المتناود - الاقراط - ويقولون لمثل هذه : طلعتك اهلك بطرك^{٨٧} المتناود - تلتلق باذانك - وابوك الله يرحمه - ويكون هذا معياراً لها ولاهلها .

ويضيف اهلها اليها انواع الثياب المتنوعة ، والتي تحتاجها في اختلاف الفصول ، بحيث يمضي على زواجها بضعة سنين ، ولا يشترى لها زوجها شيئاً ، لانها جاءت «مكلمة» من بيت ابيها ، ويقولون لمن يقصر اهلها في تجهيزها : طلعت بطرك الفيسستان والايزار ، والبايج^{٨٨} يصفق برجليها . وعلى هذا فان اهل العروس كانوا ينفقون على ابنتهم اضعاف «النقدية» - الصداق او المهر - ويحرصون على ان تخرج من عندهم «مكلمة» لا ينقصها شيء ، ويجعل رأسها مرتفعاً عند اهل الختن . كانت الفسالة تتردد الى بيت اهل العروس ، تحمّل مقترحات واضافات وتعديلات ، مما يرغب به الختن واهله ، وربما استمر هذا

عدة اشهر ، كما ان بعض نساء اهل الختن كانت تتردد الى اهل العروس وتطلع على ما اعددهن ، وربما اعترضت على تبديل بعضه او تعديله ، وهكذا حتى تكمل الحماله والجهاز .

وان اهل العروس يعرضون على الصديقات الحماله لكي يبدن رأيهن في مفرداتها ، وما ينقصها وغير ذلك . فاذا تم الجهاز ارسلوا خبراً الى اهل الختن ان الحماله حاضره ، وعليهم ان يمينوا يوماً لنقلها . وقبل النقل بيوم واحد يحضر البنات والصديقات في بيت اهل العروس ، ويجرون المطارح واللحافات والمخاديد اي يشتبون عليها الاقمشة الجميله المنقوشة بالحريز ، او التيل ، او السرمة . وقد يكون لحاف العروس والختن منقوشاً وجهه - اعلاه - بقطع ذهبيه صغيره تثبت فيه ، واكثر ما تكون على شكل نجمة يحف باعلاها هلال . ويسمونها : نجمة وقمر

وبعد ان يكمل البنات ما ينقص الحماله من خياطة بسيطة ، يبدأن بتنفيذهما ، ويعرضنها في غرفة كبيره ، او في ايوان ، بحيث يسهل الاطلاع على كافة اقسامها ، فتأتي الصديقات والقريبات ويشاهدنها ويقدمن التبريكات والتهانى لهم .

أيام الجلّبات

وما يعقبا من أيام نقل الحماله

- ٢٠ -

يكون نقل الحماله الى بيت الختن في يوم الاثنين او الخميس ، ويحضر اهل الختن الحمالين ، والجمال المزينة اعناقها بقلاند حريز واجراس مختلفه في رقابها ، وفوق اقنابها جواجم ملونه ، وقطع قماش جميله ، ويكون مع القادمين : شباب المحله ، واهل الختن والصديقات ، والفساله والدلاله والجنّجانات (٨٧) والخدمات والمغنيه .

يرتدي الشباب أجمل ثيابهم ، ويحملون الرماح والسيوف ، وقد زينوا خيولهم بأجمل الرخوت - السروج - وعقدوا مناديل من حرير في رقاب خيولهم ، وهم يسرون امام الموكب وحوله . اما النساء فتتقدمهن المغنيه والفساله والدلاله ، فاذا اقتربن من بيت العروس اخذن في التصفيق والغناء والهلاهل ، ويهتفن الشباب برماحهم وسيوفهم ، فيستقبلهم اهل العروس بهلاهل ، ويدخل الشبان والنساء ، فتتقدم احدى النساء العاقلات مع الفسالة ، وتسلم الحماله الى اهل الختن . فيحملون المنامات على الجمال ويجللوها بقطع حريزيه ملونه ،

ويعقدون في عنقه كل جمل قطعة من قماش ، وفي عنق احدها طاقة ثمينة من حرير ، هدية للجمال الذي تبرع بنقل الحماله ، وتكون القطع الحريرية الاخرى هدية لاولاده او من يشتغل معه لان الجمال لا يتقاضى اجرة على نقلها - بل انه كان يتربح يوم زواج ابن اخيه لكي يقوم بهذه الخدمة الواجبة عليه ، ويضعون الثياب في «بقع» حرير جميلة تحمل كل بقعة امرأة ممن تدمن مع اهل الختن . اما القطع المحلاة بالذهب فتتخذ في صينية جميلة ، بحيث يسهل مشاهدتها، وتحملها الفسالة او الدلالة .

اما لوازم الحمام : فوطه ، قبقاب ، مشط ، حيكّاكي ، كريس* حمام ، فاكثر ما تكون هذه القطع مزينة بقطع ذهبية ، وتوضع في صينية خاصة .

وكذا ما يوضع فوق ميز غرفة العروس من اكواب ومشارب ماء وفناجين الشاي فانها تكون كل قطعة منها داخل قاعدة مفضضة وتوضع في تبة - صينية - من فضة او غالية النمن . وهكذا يحمل من قدم مع اهل الختن كافة مفردات الحماله ، بحيث يسهل رؤيتها على من يمرون عليه .

ويسير المركب بهدوء يتقدمه الشباب وهم يهزجون ويصفقون ، والنساء يلهلن ويفنن ، وكلية مروا بدار صديق او قريب فانهم يسكبون عليهم ماء الورد ، ويشاركونهم في الفناء والتصفيق ، يستمر السير بهدوء ، وتوقف عند كل معارف يخرج اليهم ويشاركونهم في الرقص بالسيف والخنجر ، الى ان يصلوا دار الختن ، فيدخلون بالحماله ويضعونها في فناء الدار ويأخذ الشبان بالرقص والفناء حول الحماله ، يشاركونهم بهذا النساء ، فيتقدم اهل الختن اليهم شاكرين لهم اخلاصهم لصديقيهم ويقولون لهم : يوم الذي نجيب حاملتكم ان شاء الله نجازيكم بالخير والسعادة . هذا ما كنا نتوقعه منكم ! هذا يوم اخوكم ، وان شاء الله نجازيكم بمثله .

وبعد هذا ينتهي الهرج والمرج ، ويخرج الاصدقاء ، فيتقدم اهل الختن بنقل الحماله وتوزيعها في اماكنها . وبعد يوم يأخذ اهل الختن بتفقد مفردات الحماله ، فاذا وجدوا فيها نقصا ، اعلموا اهل العروس بذلك ، فيتدارك اهل العروس النقص بسرعة .

على ان بعض الامور لا يمكن تداركها ، لان اهل الختن لم يفصحوا بكلام واضح في طلبها ، او ان الفسالة نسيت هذا ، او تكون التي قد اشرفت على الجهاز قد قصرت - لذا تقول المرأة التي يعهد اليها بتجهيز بنت : **امشي في جنازه ولا امشي في جهازه** . اي ان السير وراء

جنازة ، اسهل من السير في اعداد جهاز ، وما سيتبعه من لوم وعتاب
وتقريع .

المواسم - الهدايا -

- ٢١ -

بعد النيشان يقدم اهل الختن هدايا للعروس واهلها بمناسبة
في المواسم والاعیاد ، اما المواسم فيعمنون بها ما ينزل الى السوق من فواكه
وانمار او لبن وخش وغير ذلك مما يستجد في فصول السنة ، ويسمون
هذا «خشن» (٨٨) ، فاذا كان الربيع اهدوا في اوله زقا او زقين من اللبن ،
مع طبق كبير من القشقه - القشطة - واذا كان وقت الخش قدموا لاهل
العروس سربالا - سلة كبيرة - من الخس ، ويجعلون في مؤخر كل
رأس من الخس «جنبدة» ورده من الورد البلدي ذي الرائحة الزكية ،
ومعه باقة كبيرة من هذا الورد .

وعكذا يهدون من التفاح والخوخ والاجاص واللوز الاخضر والتين
والعناب . الخ كل في موسمه . وفي جمعة الخضر (٨٩) يهدون اليهم حلوة
تعرف «بحلوة الخضر» يحشونها بالجوز واللوز ، ويننون اقسامها
يقطع ملونة من السكر . الخ

اما في الاعیاد : عيد الاضحى ، وعيد المطر ، واول يوم من رمضان :
فكانوا يقدمون الى العروس حاجة ذهبية تلبسها اياها ام الختن .
واذا طالت مدة النيشان ، فان الهدايا تكثر على العروس واهلها ،
وكلها ليس لها علاقة بالنقدية - المهر - وعلى هذا كانوا يقولون : **الف
هديرته** ، ما تنوفي **نقديته** ، لان الهدية لا تدخل في حساب النقدية .

العقد

- ٢٢ -

قد يكون العقد بعد النيشان بعدة ايام ، وبعضهم يؤخره الى ما قبل
اخذ العروس بايام ، واكثر ما يكون العقد في يوم الخميس ، تيمناً بليلة
يوم الجمعة ، او يكون يوم الاثنين ، وجلب العروس يوم الخميس ، وهذان
اليومان من الايام التي يكثر فيها : جلب الحماله والعقد وجلب العروس .
يدعى اهل الاهل والاصدقاء الى دار الزوج ، بعد صلاة العصر ، والانتهاه
من الاعمال ، ويحضر اهل العروس «الوكيل» عن ابنتهم وشاعديسن .
ويرسلون معهم مندبل حرير منقوش - وربما كتبوا حوله اية الكرسي -
وبعد ان يستقر المجلس ، يقدم لهم شراب الحريس - ان كان الفصل
صيفاً - ثم تقدم القهوة .

ويحضر القاضي في غرفة قد جلس فيها وجهاء المحلة والاقرباء ،
ويتقدم وكيل الزوجة ويجلس امام القاضي ، يقابله وكيل الزوج ، وقلما

كان يحضر «الختن» بنفسه عند مسك العقد ، بل كان يجلس مع طائفة من اصدقائه في غرفة ، ويوكل عنه احد اصدقائه يقوم مقامه ، فيتصافح الوكيلان امام القاضي «او العالم الديني» ويضع على يديهما الكفية التي قدمها اهل العروس ، ويبدأ القاضي باستماع الشاهدين : ان فلانة بنت فلان ، قد اوكلت على عقدها فلان ابن فلان ، على صداق قدره كذا متقدم ، وقد قبض ، وكذا متاقيل ذهب نيشان وقد قدمت ، وعلى مهر مؤخر قدره كذا ، ويعترف الوكيل بذلك ، ثم يعترف وكيل الزوج بما قرراه ويشهد على ذلك شاهدهاء ويتلو القاضي دعاء العقد ، ويشهد الله والجماعة الحاضرين على ذلك . فاذا انتهى من هذا اعقبه النساء بالهلاهل ثلاث مرات ، ويعقب هذا تلاوة عشر من القرآن الكريم ، كما انهم يستفتحون العقد قبل حضور الوكيلين بتلاوة عشر من القرآن الكريم .

ويقدمون للقاضي الكفية التي كانت على يدي الوكيلين ، مع بضعة كفافي داخلها سكر ، ثم يوزعون على المدعويين ما حضروه للعقد ، فان كان غنياً قدم لكل شخص كفية حرير ، داخلها طرف مملوء بالسكر ، وان كان حاله دون هذا ، كانت الكفافي من غزل ، وربما اقتصروا على ظرف داخله سكر .

ويرسل اهل الختن بعد هذا عدداً من الكفافي التي وزعوها على المدعويين الى اهل العروس ، لكي يوزعها اهل العروس على اقربائهم ومحبيهم .

كما كانوا يرسلون عدة رؤوس من سكر الكلبة - سكر القند - ويكسرون احدها ، ويقدمون قطعة منها للختن فيأكل منها ، ويذهبون بما يتبقى من هذه القطعة الى العروس ، ويطلبون اليها ان تقضم باسناتها من المكان الذي أكل منه الختن - حتى تكون حلوة في عينه -

وان بعض العرائس كانت تستحي من قضم السكر ، فكانوا يتشاهمون من هذا ، ويقولون لها : فلانة امتنعت عن الاكل فكانت غير حلوة في عين زوجها . وفلانة طلقها زوجها ... الخ

الجبّات

- ٢٣ -

يعتون به يوم جلب العروس - نقلها - من بيت اهلها الى بيت الختن ، ويسمونه ايضاً « يوم الزفاف » . ويسميه اهل العروس «يوم النقشي - النقشة» اي انهم يميّزون العروس ويزينونها ، ويسمونه ايضاً «يوم النقلي» اي انها تنقل من دارها الى دار زوجها . ويسبق هذا اليوم عدة مناسبات :

فقبل أيام تتسابق صديقاتها بدعوتها الى الحمام ، ولكل صديقة يوم ، تدعو اهل العروس وصديقاتها الى الاستحمام في حمام المحلة ، ويكون هذا في الضحى ويستمر الى ما بعد الظهر ، ويقولون عن الحمام : ان بيت فلان قد ضمتوا الحمام هذا اليوم ، فلا ترتادها الا من دعيت . وعند الاستحمام يغسلن العروس بصابون مطيب ، اي فيه طيب - كان يؤتى به من حلب - وربما خلطوا معه ماء الورد ، وقليلاً من ورد الجنب (٩٠) المجفف ، لكي تكون رائحتها طيبة . يتخلل هذا نقر ورقص وهلاهل ، وتبلى العروس باغاني مناسبة .

وبعد الاستراحة من الاستحمام ، يقدم لهن الطعام ، فيتناولن غداءهن في الحمام ، ثم يوزع البخشيش . ويسمونه (٩١) ايضاً بالبخيش - نقود توزع على من في الحمام - : الحمامية ، والقائمة ، وطواية الأزر ، والفسالة ، وخدم الحمام ، حتى الوقاء ، والزبال (٩٢) ، وعطاي المائي - اي الذي يدير الماء على الاحواض ، والسقاء (٩٣) وغيرهم ممن يعمل في الحمام .

ويعقب هذا دعوة اخرى من احدى صديقاتها ، وربما توالى الدورات .

ليلة الحنة

- ٢٤ -

هي الليلة التي تسبق يوم الجلبات ، وتكون الحنّي - الحنة - في بيت اهل العروس للنساء ، وفي بيت اهل الختن للرجال .

ففي بيت اهل العروس تجتمع الصديقات والقريبات ويأخذن في النقر والغناء والرقص ، وربما سبق هذا «مولديّة» اي تلاوة المنقبة النبوية . يعقبها الغناء والرقص .

وفي بيت اهل الختن تلى المنقبة النبوية ايضاً ، وبعد انتهائها يكون «الفصل» اي الغناء والرقص ، وبعد ساعة او اكثر ، تتقدم الفسالة ، تحمل اناة جميلة فيه حنة مجبولة ، وطاسة ماء قد نثروا فيه زهر الجنب - الورد البلدي - وصينية فيها عدة شموع ، وتحني كسف الختن اليمنى ، تسود هذا هلاهل متصلة ، واغاني ودبكات واصوات مرتفعة متتالية «بالورد حقا» (٩٤) ثم تتقدم الفسالة الى الشبان فتحني اكفهم اليمنى ، وكلما حنت واحداً رمى كمية من النقود في الطاسة ، والفسالة تقول له : ان شاء الله احنيك ليلة حنتك ، مبارك عليك .

وبعد انتهاء هذا الفصل ، تذهب نساء من اهل الختن مع عدد من الصديقات الى بيت اهل العروس ، تتقدمهن الفسالة ، وهي تحمل صينية

فيها عدة شعوع ، ومقداراً من الحنة المخبولة ، وعدة اكياس من الحنة ، ومن يصفقن ويفننن، فاذا قرين من دار اهل العروس ، هليلن فيستقبلن اهل العروس بهلاهل .

وبعد ان يجلسن سوياً يشاركن في الغناء والرقص ، يكلفن «مَسْمُودِي» احدى المسعودات ، ان تتقدم وتحني كف العروس تيمناً بمساعدتها ، لعل الله يجعل العروس مثلها . واما الاكياس التي اتين بها فان ام العروس ، توزع ما فيها من حنة على الصديقات والمحبات ، لاجل «المُرَاد» حتى يكون بركة لمن تتحنى ولم تكن متزوجة - بَلْكَيسِي الله يعطيها مرادها وتزوج -

وبعضهم يُبَدِّلون للعروس في هذه الليلة ، ويلبسونها ثياب الزفاف ، ويكون التبديل على يد احدى المسعودات ايضاً ، وكلما غرت قطعة دعت لها بالبركة والسعادة وراحة البال ، يعلو هذا غناء وهلاهل .

ويأتون مع الحنة «بالتنقوط» وهو مبلغ يناسب مقام اهل العروس ، يعطي منه : للخياطة التي خاطت ثياب العرس ، وللنقاشنة ، ولحشاية المنامات - المنجدة - وربما قدم بعضهم حلي ذهبية مع المبلغ . ويرسل اهل العروس عدة صواني من : الشكرله ، والحجي باده، والبقلاوة ، وَمَنَ السماء ، وذلك قبل ليلة الحنة بيوم واحد ، لكي يقدم منها الى المدعوين في ليلة الحنة ، والى الحفلات التي ستقام في بيت الختن .

الزفاف

- ٢٥ -

قبل يوم نقل العروس يهب اهلها في الصباح الباكر ، ويمنون كثيراً في تنظيف كافة مرافق الدار ، وتنضيد محلات الجلوس بأجمل قطع الاثاث ، ويضعون كرسيّاً كبيراً في صدر الايوان ، ويعد الظهر تأتي «الحفّافي» - الحفافة - وهي التي تحف الشعر ، ثم تتقدم الماشطة ، فتمشط شعرها ، وتتخذ «جَنَدِيل» في نهاية كل جذلة «جَنَدَلات» من ذهب ، ويجعلن في مقدم شعرها معقوفاً ويسمونه «الِكَصَّة» ويثبتون طيات الشعر بمشط مذهب .

ويأتي اهل الختن قبيل العصر ومعهم فرس مجللة بالحريسر ، منقوش لجامها ، يقودها عبد من عبيد اهلها ، يحف به عدة رجال مدججون بالسلاح - هذا ان كان مترفاً - وان كانت من متوسطي الحال اركبوها على حَسَّاسورية (٩٦) مزينة ، والا نقلت الى دار زوجها مشياً على الارجل .

يدخل اهل الختن دار اهل العروس بجلبة وهلاهل ، ويقضين

وقته في الغناء والرقص ، ثم تتقدم اخت الختن الكبيرة وتصطحب معها العروس ، يحف بها النساء يفتنن ويصفقن ، وإذا ما خرجت من دارها ، تسلمها محارم الختن ، فيحملونها على الفرس ، ويحفون بها عند سيرها ، يكون امامها كوكبة من النساء يفتنن ويصفقن ، وكلما مروا على حسي ، استقبلوهم بالغناء والهلاهل وسكبوا عليهم ماء الورد ، وهكذا يستمر الموكب حتى تصل باب الدار ، وقد حف بها عدد كبير من الناس .

ويكون في سطح الدار امرأة تحمل في يدها اناءً ، فيه عدة قطع من النقود ، والسكر والنقل ، فترمي هذا وراء العروس ، فيتهافت الاطفال والاولاد على التقاطه ، وينفضوا من حول العروس ، فتدخل الدار بهدوء .

فستقبلها أم الختن ومن في سننها على عتبة الدار ، ومعهن صينية فيها قرآن كريم ، وخضرة - وكثيراً ما تكون الكرفاس - فتقبل العروس القرآن الكريم ، ثم تنثنى فتقبل يد أم الختن يبادر الامل الى تقبيلها . اما اذا نقلت العروس ماشية ، فإن كان دارهم قريباً - فإن امرأتين يلتزمانها واحدة من اليمين ، والاخرى من الشمال ، وهي تسير بهدوء ومشيئة العروس وإذا اسرعت جذبتها لكي تبطيء في مشيتها .

تجلس العروس على الكرسي الممد لها ، وبعد ان تأخذ راحنها وتستريح ، تتقدم احدى النساء اليها ، وتغني بتخطيطها وتحميرها ، (٩٧) ووضع بونة على خدما ، وتصفف شعرها ، وترتب ثيابها ، وتوصيها ان تفعد منتصبه ، غير حييابة ولا خجلة - كل هذا والدواخ (٩٨) فوق رأسها ، لا تتحرك ولا تلتفت - وعلى هذا اذا عبروا امرأة بقلة الحركة قالوا لها : كأنك عروس مدوّخة . ويستمر الغناء والرقص الى قبيل المغرب ، ثم يصرف كل المدعوات ، ولا يبقى في الدار الا بعض الاقرباء . وبعد المغرب تأخذ أم الختن العروس الى الطعام - وقد يكون مع العروس عمتها او خالتها ، ويؤكدن عليها ان تأكل بلا استحياء ، لأن هذا الدار هو دارها ، وانها مقبلة على حياة جديدة سعيدة ، مع شخص يناسبها وتناسبه .

وبعد صلاة العشاء ينقلون العروس الى غرفتها ، وتلازمها الفسالة فتجلس قرب كرسي العروس ، ولا تترك الغرفة الا اذا دخل الختن ، وقدم للفسالة مبلغاً من المال .

ليلة الدخلة

- ٢٦ -

اما الختن ، فيلازمه رفاقه قبل يوم او يومين ، يقضي معهم الوقت ، ويتناول الغداء عند احدهم ، وبعد تناول العشاء - هذا اليوم - يذهبون

معه الى الجامع ، ويؤدون صلاة العشاء ، ثم يرجعون به الى داره ، يحف به الاصدقاء والاقرباء الذين دعوا الى حفلة العشاء معه ، وهم يصفقون ويفنون ، وكلما مروا على دار صديق ، استقبله النساء بالهلاهل ، ويخرج الرجال ، ويهوسون مع الجماعة ، وينادون «بالورد حاق» ثلاث مرات ، وبعد ان يرشوا عليهم ماء الورد ، يواصلون سيرهم وهكذا ، حتى اذا وصلوا داره ، كان على باب الدار والده واعمامه واخواله ، فيدخل الدار وسط الهلاهل والوردحاق ، ورفاقه يستنفضون همتهم .

على ان بعضهم كان يخلي الدار من الزوار ، ويدخل اهل الدار كل الى غرفته ، ويسود الدار الهدوء والسكينة عند دخول الختن ، ولا يبقى في فناء الدار الا امه وابوه ، وبعد ان يقبل يمدى يده ، يتوجه الى غرفته بهدوء وسكينة ، فتنتقطع الحركة في الدار ، فلا يتكلمون الا همساً ، خشية «ان يسيب» - يفز - الختن - «ولا ينفع شيء»

وكانت بعض الامهات توصي ولدها - عند دخوله على العروس - ان يبطأ بقدمه اليمنى قدم العروس بخفة ، فان هذا يجعله مسلطاً عليها طول الحياة - وبعضهن توصيه ان يضربها برفق على رأسها قبل ان يكشف الدواخ ، لكي يبقى مسلطاً عليها .

اول ما يتقدم بعمله ، هو ان يصلي ركعتين شكرًا لله تعالى على ما انعم عليه ، ويسأله ان يجعل الزواج مباركاً مقروناً بالسعادة والهناء - وربما صلت هي خلفه -

ثم يتقدم الى العروس ويكشف الدواخ اي الطاقة التي فوق رأسها ، ويضعه فوق الصندلية ، ويجلسان جنباً الى جنب ، ويبدأن بالسمر الى وقت السحر ، ويتناولان ماقد اعد لهما من ثقل وحلويات - وهي ليلة العمر - يتغني بها المرأة والرجل ، ويذكرونها في كل حفل ذواخ يحضره منها بلقا من العمر ، ولذا قالوا : «ان ضاقت اخلاقكم اذكروا ليلة دخلكم» اي ان ساء خلقكم اذكروا ليلة دخلتكم .

على ان بعض العرائس كن يستقبلن الختن بخوف وحذر ، ويحرق لبا هذا ، فانها تخلو بشخص لا تعرفه ولا يعرفها ، حتى انها لم تسمع صوته - ويقال : ان عروساً شرطت عندما دخل الختن ، ولكنها تداركت الامر فضربت الفسالة على رأسها ، كانها هي التي شرطت ، فقال اهل الموصل : «ضربت العروس» كفتحت الينكة» (٩٠) فصار مثلاً لمن يأتي بقبيح ويتهم به بريئاً .

الصبيحية

- ٢٧ -

تستيقظ العروس في الصباح ، فيقدم اليها الختن «الصبيحية» وهو مبلغ من النقود ، او حلي ذهبية ، وبعد ان تتناول فطورها ، وتلبس ثيابها - بدلة اول يوم - (١٠٠) ويرجلون شعرها ، تأتي اليها ام الختن ، وتأخذها الى والد الختن - الذي صار عمها - فتقبل يده ، ويقبل هو رأسها ، ويدعو لهما بالخير والبركة «ويقدم لها» صبيحية ، تناسبها . ثم تنقلها امه الى غرفة مضددة ، وقد اجتمع بها اهل الدار فيتقدمون اليها ، ويقبلونها وتقبلهم ، ثم تأخذ مكانها بينهم . وقبل الظهر يتوافد على زيارتها بعض اهلها : كعماتيا وخالاتها ، وبعض الحبايب من قريبات الختن ، يقدمن لها الصبيحية : مبلغاً من النقود ، او حلي ذهبية ، او قطعة قماش ثمينة ، او طاقة حرير ، او غير ذلك . ويبقى عندها الى الظهر فيتناولن الغداء ، وبعد الظهر يغتنين وينقرن في «التمادة» ويتناولن النقل الى قبيل العصر ، ثم ينفض الجمع . اما الختن : فان رفاقه «شباب الختن» يحضرون الى داره صباحاً ، وربما تناولوا انظور معه ، ثم يصطحبونه الى المنتزهات والمقاهي ، ويتناول الغداء عند احدهم ، اما في البيت ، او في ظاهر المدينة - ان كان الفصل ربيعاً - ويبقى معهم الى قبيل المغرب ، فيعودون به الى داره وهكذا يكون معه - «شباب الختن» - الى اليوم الثالث ، وبعضهم الى اليوم السابع ، وفي كل يوم يدعى عند احدهم .

وفي «ثاني يوم» يحضر عندها صديقاتها وقريباتها من البنات ويبقىن معها الى الظهر ، وبعد تناول الغداء يجلسن في غرفة خاصة يغتنين ويصفقن ، ويقضين النهار مع العروس ، لكي تستأنس ، وتزول وحشتها وفي ثالث يوم تحضر البنات ايضاً ، ويكون اكثر ازدحاماً من «ثاني» يوم ، ويقدمن فيه «الصبيحية» ويغتنين ويمرحن الى قبيل العصر .

الأربعة أيام

- ٢٨ -

يدعى لاهل العروس والصديقات في هذا اليوم ، ويكون من اكثر الايام ازدحاماً بالمدعوات ، وقد أعد اهل الختن انواع الطعام والحلويات والفواكه ، يسود هذا اليوم الوقار والهدوء ، وتجري احاديث طريفة عن الزواج .

واول المدعوات هي ام العروس وقريباتها ، ولها الصدارة في هذا ، ومما يدور الكلام عنه رأي اهل الختن في العروس عن : طاعتها ، عدالتها ، سلوكها ، فان كانت ممن وقع اختيارهن عليها ، جعلن منها عروساً

مثالية في العقل والنقل والعدالة والنظافة والخفة وحسن الادب مع الكبير والصغير . وان كان الولد قد اختارها من غير رضى اهله . كان الجواب : بعد ما يَسْتَنَ - بأن - خيرا من شرها ، الزواج نصيب ، سئرى ماذا كتب الله ، ان شاء الله ستكون على ما نامل .

والاكثر ما يقام في هذا اليوم تلاوة المنقبة النبوية ، ويستمر هذا الى قبيل الظهر . ثم يوزع عليهن النقل ، وبعد استراحة قليلة ، يتقدمن الى تناول الغداء .

وبعد تناول الغداء ، يعود الفصل الثاني من غناء ورقص وقصص ويكون شديداً يشارك فيه كل الحاضرين ، وتتقدم المغنية «وتَجَلَّيْ العروس» اي تجلوا ، كما انها تجلو من معها من «اترايها ، وتنال الخلع والهدايا على «المغنية الجلاية» فتكون : بدر نقود ، او طاقات ثمينة ، او قطع حرير او غير ذلك ، كل ذلك اكراماً للختن والعروس ، فاذا انتهت الجلوة ، عاد النساء الى مجالسهن . وتتقدم ام العروس ، وتامر احدى قريباتها باحضار «الخلع» - الهدايا - التي تقدم لاهل الختن ، وكل خلة في «بقجة» ، فتأخذ اولاً هدية والد الختن ، وتفتح البقجة ، وتعرض ما فيها على الحاضرات ، واكثر ما تكون هذه الهدية : سجادة للصلاة مطرزة ، او منقوشة ، ومنديل للوضوء ، وبعض قطع الثياب .

ثم تفتح هدية الام ، واكثر ما تكون كهدية الاب ، وتقدمها الى ام الختن . وكلما قدمت هدية اعتذرت فيما اذا كانت قليلة لا تناسب المقام ، وان ام الختن ترد عليها : هذا كثير ، والبركة من الله ، ونحن نشكركم على هذا . وهكذا تقدم الهدايا «الخلع» الى افراد العائلة فرداً فرداً ، حتى الخدم ومن له علاقة بهم : كالفسالة ، والسقاء ، وسائس الخيل ، والقهوجي - مقدم القهوة - ... الخ .

وقبل ان تنتفض المدعوات ، يقدمن «الصباحية» التي جاءوا بها الى ام الختن ، فنمطيها الى العروس ، وربما اجتمع عندها مبلغ كبير مسن (ليرات الذهب) ، وقطع قماش. ثمينة ، وطاقات ثقيلة ، وحلي ذهبية ، وكلها تكون للعروس .

وان بعضهم كان يهدي للختن هدايا ذات قيمة : كان يهديه فرساً او حصاناً ، او بندقية ، او غير ذلك كل ذلك اكراماً لاهل الختن .

- ٢٩ -

ثم تتوالى الزيارات على العروس بعد هذه الايام حتى اليوم السابع ، وفي هذا اليوم ، تدعو ام العروس بنتها واهل الختن والصديقات ، الى حمام المحلة للاستحمام بها ، وفي اثناء الاستحمام تجلو المغنية او الفسالة العروس وسط هلاهل وغناء ، ثم تجلو صديقاتها اللاتي بجانبها .

وبعد الظهر يتناولون الفداء في الحمام ، ثم توزع أم العروس الهدايا على أهل الحمام ، ومن يعمل فيها ، وينتهي هذا السماع فتعود كل دارها .

وبعض أهل العروس يدعون العروس وأهل الختن وأهل العروس إلى الاستحمام في حمام محلتهم ، وذلك في اليوم الخامس عشر وتسمى الدعوة (حمام الخمسة عشر)

أما العروس فلا تزور أهلها قبل مضي شهر أو أكثر على زواجها ، وبعد هذا يأتي أحد أهلها ويصطحبها إلى دارهم ، وتسمى هذه «زيارة العروس» أي أنها تزور أهلها أول زيارة بعد زواجها ، وتمكث عندهم يومين أو أكثر ، ويقدم لها أبوها وأما وأخوتها هدية مناسبة ، مبلغاً من النقود، أو حللي ذهبية وتسمى هذه هدية «الزيارة» وخلال مكوثها عند أهلها ، يحتفي بها أقاربها ، فيدعونها لزيارتهم في دارهم . فتجيب دعوتهم بالمناوبة ، وقد تتناول عندهم الفداء أو العشاء ، ويدعون معها صديقاتها ، وعند انصرافها يقدمون لها هدية «الزيارة» .

وبعد انتهاء الزيارات يأتي الختن إلى بيت أهلها ، ويتناول عندهم العشاء ، ويمكث عندهم مدة ، ثم يصطحبها معه إلى بيت أهله .

وهكذا ينتهي فصل الزواج «فصل السماع» يابيت
(١٠١)

وبعد مضي أيام على حركة الزواج ، واستقرار أهل الدار ، فإن والد الختن يدعو الرجال من أهل العروس إلى حفلة عشاء، فيأتي أبوها وأخوتها وأعمامها وأبناء عمها ، ويتناولون العشاء مع أهل الختن .

فاذا حضر والدها فأنها تقبل يده ، ويد من هو أكبر منها سناً من أقاربها ، كما أن زوجها يقبل يد والدها ، الذي صار «عمّه» .

فيتعارف الطرفان وتسود بينهما المحبة ، وترفع التكاليف .

وبعد عدة أيام قد يدعو والد العروس أهل الختن إلى حفلة عشاء ، لتوثيق أواصر الصداقة والتعارف بينهم - وهكذا تستمر الدعوات والزيارات فيما بعد .

- (١) هم المهنون .
- (٢) النحال : أولاد كثيرون بعدد التمل .
- (٣) الكفا : القضا ، الطائر المعروف « لقا » يلطى : أي لازم التردد .
- (٤) بلبطه : يقول الموصلة أن ينظر بشر استحياء : عينه بلبطه .
- (٥) تكفى الام عن سوء ابنها بلفظ « طير » .
- (٦) الجنجل : الجبلجل ، تهتكل : تهيجل ، من الهمجلة .
- (٧) أي خطيبته .
- (٨) لفظ تركي بمعنى ينظري . ناره = أي يكون بلا خلف .
- (٩) الكذابل : جمع كاذله . جدله .
- (١٠) أي كسبه حلال . وهو تعبير تركي .
- (١١) شطف : غسل المرمر بالماء .
- (١٢) يقول الموصلة (أصبل مصتمل) أي طيب الأصل ، خاليا من كل ما يشينه .
- (١٣) الكصه : عظم الرأس فوق الجبين .
- (١٤) أي تحسن ادارة الدار ، والا فهي « بنت زلفات » أي كثيرة الدوران في الشوارع ولا تستقر في دارها = فهي « طارده أم أجواب » .
- (١٥) هل : بمعنى هذا . وقد تكون بمعنى « ال » للتعريف .
- (١٦) البفت : حف ، نصيب .
- (١٧) كليب : جمع كلب .
- (١٨) الرشيق .
- (١٩) انعكر : أي انقلدها عكازا لك ، ولا تنظر إليها = الاملاح : جمع مليح ، ومليحة .
- (٢٠) من لم يتزوج من اهله والوجه ، يموت من غير دار .
- (٢١) الهوسه : هرج ومرج = الهوشه .
- (٢٢) جمالة : كثيرة الدوران في الشوارع .
- (٢٣) فرقت .
- (٢٤) الفصل : حفلة موسيقية (جائني) ويكون بها عن القتال والازعاج .
- (٢٥) المصيدة التي يصاد بها اللبران .
- (٢٦) حملت .
- (٢٧) انظر الى عبا-تها ، هل هي ثابتة في محلها ؟ كناية عن عدم رغبة صاحبيتها في ترك الدار .
- (٢٨) تدخل .
- (٢٩) أي تجعل نفسها مثلنا .
- (٣٠) أي يهدو .
- (٣١) يكنى بهذا عن أن يضي الناس يكتمون أعمالهم ، وبعضهم يصرحون بها .
- (٣٢) بنت اسرة مرولة .
- (٣٣) مصل : تنقن أعمال البيت ، وعكسها : جلي ، والاشافرة : خليفة الحركة - نشيط .
- (٣٤) أي هوشة .
- (٣٥) القوله : القتال ، تنطش : تنفرج ، بيت شقون : عائلة عرفت بكثرة القتال .
- (٣٦) أي جميلة كالتي يؤتى بها من بلاد كوجستان .

(٢٨) حكاكي : حجر يركاني أسود ، تحك به المرأة اسفل رجلها عند الاستحمام ، والتكاكي : خشبة طولها نصف قدم منقوب أحد طرفيها ، يدخلون به تكة السروال اذا ما أرادوا ادخالها في بيت تكة السروال .
(٢٩) الدبريم : القشر التي تكون فوق الجوزة قبل جلفها ، وهي اذا وضعت فوق الشفة اكسبتها حمرة .

(٤٠) غدا : دهنيا .

(٤١) أي تكيل جزالا .

(٤٢) قضيب .

(٤٣) السبس : آلة من قصب يلف عليها الحائك غزله ، ويشبهون به المرأة الضعيفة .

(٤٤) البرمة : برية صغيرة منتطفة . لقوله : أي بطيخة غير سالحة للاكل ، طرفش : كثيرة السمن . تفش : نفس .

(٤٥) جمالة : كثيرة الدوران في الارله ، ياباب : يضرب هذا للتي تكثر الخروج من دارها .

(٤٥) فضحت ولرقت .

(٤٦) عوع : كلمة استهجان ، وهي كالقرود .

(٤٧) أي ارتفعت .

(٤٨) بعد فقرها دهشت .

(٤٩) قول تركي يواد به : لمن تعدى طوره فاصبح غنيا بعد فقر .

(٥٠) مطرقة .

(٥١) أي جندى .

(٥٢) النيشن والنيشيه : تسمى الميت بقش ، فتكون نيشنته ، فلبسها حلة ذهبية وهي النيشان أي العلامة .

(٥٣) شراب يتخذ من السكر ويضاف اليه ماء الورد ، يكون لونه احمر .

(٥٤) تيسة الشريت : صينية توضع فيها اكواب الشراب .

(٥٥) تتللي : تمثلي .

(٥٦) ضعيفة كنبات السوس .

(٥٧) غفشي : نوع سمين من السمك يسمى (دشي) .

(٥٨) عدة سنين .

(٥٩) عدة بنات .

(٦٠) شتان ما بيننا من فوارق .

(٦١) كل جماعة تناسب من تعطيها وتأخذ منها .

(٦٢) حلت عندنا البركة بقدمكم .

(٦٣) تمزقت ازونا .

(٦٤) يما : اماء ، احنيش : طعام يتخذ من تمر يقل بالدهن ، ثم يضاف اليه بعض يقل أيضا بالدهن وتسمى هي الوصل « حنيشة » .

(٦٥) كان التجار ووجهاء البلد يرتدون الجبة ، واكثر السوق والعمال يرتدون العباة .

(٦٦) ذت : دمي . ولما سليمان بك فهو ابن عبدالله بك الجليل (١٢٨٠-١٢٣٦هـ) .

كان احد علماء الموصل وادبائها يتقن العربية والتركية والفارسية ، ودرس في المدرسة الغيلية في جامع الانوات ، وله شعر رائق في الفصح والعامية ، وله عدة تنزيلات تتل في حفلات المولد النبوي .

- (٦٧) الأرض الممتدة من قره سراي الى باب ستيجار وفي الجانب الغربي منها قبر الفتح الموصلي . انظر عنه : الموصل في العهد الاتيكي : ١١٦ ، ١٦٠ .
- (٦٨) الشيخ ابو عبد الله الحسين بن عيسى (٤٧١-٥٧٣هـ) منهل الاوليا : (١١٦:٢-١٢٩)
- (٦٩) الشيخ محمد بن علي الموصلي المتوفي سنة ٦٠٥هـ منهل الاوليا : (١١٠:٢-١١١)
- (٧٠) يقع مقابل معمل النسيج لتجيب الجادر على يمين الداهب الى نينوى .
- (٧١) وتسمى بنجة الامام علي ، ويسمى مشهد الطرح - يقابل مقر رئاسة جامعة الموصل > منهل الاوليا : ٢ : ٢٢٥-٢٢٦) .
- (٧٢) اي دير مار ايليا ويعرف بوادي الدير ، والدير الغربيان (الموصل في العهد الاتيكي : ٧٢) .
- (٧٣) حزام على شكل سح من ذهب ، تحزم به المرأة ، والجرى : عدد من ليرات ذهب انجليز (ا تروزي) او عثمانية تنفذ في زنجيل ، يكون في عنق المرأة ويتدل على صدرها . والكردانه : زنجيل ذهب ، يثبت به عدة دلايات من ذهب يكون في عنق المرأة - الكرد - الفتى - . والننشي : عدة سلاسل ذهب تثبت في لففتين من ذهب وتكون على صدر المرأة بعد أن يثبت طرفاها بكلايين من ذهب يكونا في كتف المرأة ، والمكطع عدة قطع ذهب تثبت في زنجيل ويلبس تحت ابط المرأة - والقاعة : عدة قطع اسطوانية الشكل ، تحشى بالنشع ، وتنفذ في زنجيل ذهب ، وتكون تحت ابط المرأة - كما تعمل القاعة (سكين يعمل في الحرب) والمفردات : جمع مفرد سوار دليق جميل الصنع ، يلبس عند منه في زند واحد .
- (٧٤) الجاجيم : كساء من صوف يستتر به ، وتشتر الموصل بجواجمها ، والحرام : يكون كالجاجيم الا انه ينسج من غزل القطن .
- (٧٥) الجودليه : تشبه الطرح الا انها تحشى قليلا ، وهي سهلة النقل ، يجلسون عليها حبيلا ، وفي المنزهات .
- (٧٦) اناء يحفظ به ماء الورد .
- (٧٧) اللكن : طشت صغير ، وبهفه يستعمل كإناء ، يجمع به ماء الوضوء بعد الغسل .
- ليسسمى « لكن تقصيل » .
- (٧٨) يطلق أهل الموصل على قطعة « الحل » اسم حانج ويجمعونها على « حوانج » .
- (٧٩) أمونه ، أمو ، مصفر أمته . والشكرله : حلوى تصنع من الطحين والدهن والسكر
- (٨٠) مصفر عائشة : حلوى تصنع من الطحين واللوز المطحون والدهن ، وتنخذ أقراصا تشوى بالفرن .
- (٨١) مصفر فاطمة : والقيسي محشى مجلف يطبخ بالسكر - والحل يغازا : اجاص مجلف يطبخ بالسكر .
- (٨٢) لا يخلو فرج من تقديم البقلاوة ، وهي تنخذ من عدة أرغفة رقيقة تشبك بالنشابه، وتوضع في صينية قد دعت يدهن الفقم ، ثم يضعون جوزا مطحونا مع السكر فوق الارغفة المسبوكة ، ثم يضعون فوق هذا أرغفة اخرى . وقد تبلغ أرغفة الصينية الواحدة بين ٥٠-١٠٠ رليف ، وهذا يدل على مهارة شدة البقلاوة ، ثم يضاف اليها الدهن وترسل الى الفرن ، وبعد أن تشوى وتبرد ، يضاف اليها « شيرة » اي سكر مذاب بالآء ومغلي فوق النار .
- (٨٣) اي تهز جسمها هزة واحدة .
- (٨٤) كل من تسمع الصوت تهلهل .
- (٨٥) نوع من الفرع - البقتان - يكون رقيقا ابيض اللون ، تشبه به الزنود الجميلة .
- (٨٦) يكنى الموصلة عن يغاز انه : أبو دودي ، وهي أم دودي . شنبربت : اي ظهرت عودتها وامدت .

(٨٧) الجنجانه : وجمعها جنجانات : بعض النساء يشاركن في الافراح والافشاء ، او التنازي والنوح ، ويقسم لهن بعض الشيء - فهن يقفن لكل واحد ، ويتحنن على كل ميت -

(٨٨) البديده : ويقول المواصله لمن لبس ثوبا جديدا : دشته .

(٨٩) جمعة الغفر : اول جمعة تكون في الربيع ، يخرج فيها الناس للنزفة ، ويصنعون قبل يوم خلوة تسمى « خلوة جمعة الغفر » يبيتونها عند رأس الدلل من اولادهم وفي الصباح يوزعونها على الاقارب والجيران . ويتخذون سويفا فيفلون الحبوب : حنطة ، شعير ، ذرة ، حمص ، الخ . . . ويطحونها (بالدار) ويفيلون اليه « سمدا » يابسا ، او قشور البرتقال ، ويضعونه في اكياس صغيرة تغاط له ، وفي الكيس قصبة يمتص منها الطفل السويق ، ويكون في داخله قطعة من الطلوة ، ويفرح الاولاد به ، ويثبتونه بغيت في اعناقهم .

(٩٠) في الموصل نوع من الورد تكون رائحته زكية يسمونه « جنيد بلدي » - ورد جوردي - يتخذون منه ماء الورد ، ويستعملونه في اغراض كثيرة .

(٩١) لفظ فارسي من « بشيين » وهو آلهة والاحسان : دربهات تعطي كهدية . وهو لفظ شائع الاستعمال في العراق - (كلمات فارسية - ١٥) .

(٩٢) الوقاد : الذي يوقد آتون الحمام . والزبال : الذي يجمع الزبل الذي يوقد في آتون الحمام ويسمونه الكرخانجي .

(٩٣) وهو الذي يستقي ماء الحمام من البئر .

(٩٤) اصطلاح تركي معناه : حصلنا مرادنا ، يعيش الجميع .

(٩٥) بدل الثياب : أي لبس ثيابا غي التي كانت عليه . فيلبسون العروس اجمل بدلاتها التي جهزها به أهلها .

(٩٦) الحساوي ومؤنثه الحساوية : جمار أبيض اللون يستعمله الناس للركوب عليه في تنقلهم داخل المدينة ، يكون غالي الثمن ، ويضعون على ظهره سرجا جميلا . . .

(٩٧) الضطاط : يغططون وجهها وعينها ويتخذون نوتة سوداء بين عينها ، وشامة على خدها اليمنى ، والعمرة : قلعة من قطن أحمر ، يعمرن بها خدودها وشفتيها .

(٩٨) طاقة حريز ثمينة يقدمها أهل الفتن ، توضع على رأس العروس .

(٩٩) البتكة : زوجة صاحب العمل ، فإن الصناع يتخذونها : بتكة ، احتراماً لها - أي يا بنت العم .

(١٠٠) من ثياب العروس التي تعد لزواجها : بدلة ليلة الدخلى ، بدلة اول يوم ، بدلة ثاني يوم ، وبدلة يوم « الاربعة أيام » وكلها ثمينة .

(١٠١) انتهى الزواج يا أهل العروس .

مراسيم دورة الحياة في كربلاء

سلمان هادي الطعنة

الولادة

تستعد عائلة المرأة الحامل خلال الشهر السابع من الحمل بتجهيز ملابس الطفل واللوازم المعدة له ، وتشمل : المهد^(١) (الكانزوي) والفراش وغطاء قماش ململ والدولاب (الكنطور) حسب امكانية العائلة . وقد تعتمد هذه الوسائل لدى بعض العوائل الفقيرة .

وحين تشعر المرأة بالحامل بالآلام الولادة يرسل عن القابلة في المحلة، ويطلق عليها الجدة أو المولدة ، لكي تنضم الى افراد العائلة ساعة الولادة ، فتأخذ موضعاً منفرداً عنهن .

تشتد الأم لدى المرأة الحامل في منطقتي البطن والظهر بين لحظات وأخرى ، ويعبر عنها انها «تطلق» اي انها تتحسس بخروج الجنين حتى تحين الولادة . وفي خلال هذه الفترة تهيأ بعض الادوية والمقايير الطبية كورد لسان الثور والزعفران والهيل ، فيكون خليطاً تشربه المرأة الحامل ، فتسرع في اسقاط الجنين . وفي الوقت الحاضر تحبذ بعض العوائل ارسال المرأة الحامل الى مستشفى المدينة وذلك دئماً للخطورة التي تصاب بها .

وعند قرب موعد الولادة تجتمع النساء من اقارب وجيران في الغرفة المعدة لهن ، وفي خلال تلك الساعات يقور للمرأة الحامل ورق البطنج حيث تشرب ماء لدفع الغازات ، ثم تشرب ماء الزعفران ، وبعدهما تتناول بيضاً ليثاً مزوجاً صفاره ببياضه اي انها «تصرف البيضة» .

وبعد ذلك بفترة وجيزة تشرب سبع عرقات تخلط بحب أسود يعرف عندما (بالانكو) يوضع كله في كأس فتشربه كمقوي . ثم تجلس على طاووق حازر لتسهيل عملية الولادة، ويؤتى بمنقلة صغيرة توضع فيها جمرات النار ، ثم يُبخّر الحمل .

بعد خروج الجنين تقوم المولدة بقص سرتة اي الحبل السري (الميسر) وتفصل المولود وتصلي على النبي محمد (ص) ويبقى قسم من المسر معلقا بالسرّة قدسره نصف اصبع ، ويلف هذا بقماش حتى يستقر تدريجياً بمرور الزمن . ومن الطريف ان الامهات يرمين القطعة الساقطة هذه بعض الحوانيت لكي يصبح موطفاً في المولدة اعتقاداً في المستقبل ، او في ساحة مدرسة لكي يصبح موطفاً في المولدة اعتقاداً منهن . ثم ترمي المبالغ المتعارف عليها على المسر ، فمنهن من ترمي دينارا واحداً واخرى نصف دينار كل حسب استطاعتها ان كان المولود ذكراً ، وان النقود احياناً قد تبلغ العشرة دنانير عدا الاكرامية (البخشيش) . ثم تقوم المولدة بفصل الطفل بالماء الفاتر والصابون الرقي ، وتدهن مفاصله وتقمطه بقطعة قماش وتسلمه الى امه . وتعم الفرحة في ارجاء الدار ، وتزغرد النسوة (تهليل) وينادين : صلوات .. صلوا على محمد وآل محمد .. ويقدم للمولدة المنشفة (الخاولي) والصابون كهدية نقدية .

وبعدما تطبخ العائلة العصيدة (وهي خليط من الطحين والسكر والسمن) لمدة ثلاثة ايام متتالية تقدم للمرأة النفساء (النفسه) كما وتذبح لها دجاجة صغيرة (فروجة)، وتعطى للمولدة دجاجة . وفي حالة صراخ الطفل يقور له (زعتر الهوه) (٢) مع الكمون والسورد وأصافير الجن ، فيشربه ويهدأ روعه . أما اذا كان المولود انثى ، فان النساء تقع عليهن (خمادة) اي تخمد انفاسهن ، وبعد ان يصلين على النبي محمد ، يخاطبن النفسه : الحمد لله على السلامة . ثم يرمين على المسر المبالغ حسب الامكانية ان كانت المولودة الاولى (البجر) اضافة الى المبلغ المتعارف عليه (البخشيش) وهو دينار واحد أو يزيد عنه . وقد يحصل تعسر شديد أو نزيف قوي لدى الولادة أو عدم عناية الموليدات مما يسبب موت النساء . ثم تقوم المولدة بثقب اذنيها لكي يلبسها أهلها الاقراط (التراجي) في المستقبل . وكذلك المولود (الذكر) فقد كانت تثقب اذناه وأنفـه

ويلبس الذهب للتجميل وذهاب الحسد عن الاعين ٠٠ ثم تضع المولدة اصبعها في سقف فم الطفل (ذكراً كان أو أنثى) وتلوته بتربة الشفاء (٣)، حيث تثبت لباته خوفاً من نزولها على اللسان اي (تلهد) ثم تؤذن في أذنيه لألقاء شهادة التوحيد والاسلام - ويعصب الطفل بعصابة بيضاء أو تلبسه أمه (الكاوريه) في رأسه خوفاً من اصابته بمرض - ومن الطريف ان كل من لدينا طفل رضيع تأتي به ساعة الولادة لكي يشم رائحة كريمة (زفر) حال خروج المولود الجديد - فان لم تجليه فهي لا تستطيع التردد على المرأة النفس - ويعددها تقوم المولدة بدور آخر ، حيث تأخذ الطفل الى الاسواق للتجوال به في الاسواق كسوق القصاين وسوق البزازيس وسوق المطارين وينتهي بها المطاف في دكان صباغ الملايس ، حيث يلون قطعة قماش ينقطعها بالوان مختلفة ويضعها على وجه الطفل (بيرغمه) ثم تدفع له مبلغاً قدره مائة فلس ، فتعود به الى أهله - كل ذلك لكي لا تؤثر الالوان على المولود فيقال حينذاك (ينجيس) اي ان لونه يتخذ لون القماش الذي ينظره فيصاب بنتيجة ذلك بالمرض - وتوضع تحت وسادة ام الطفل سكينه ومقص لمدة ٧ ايام دفناً للشر - كما يجب ان لا تبقى الام وحدها في الغرفة دون ان يشاكرها شخص آخر من افراد العائلة ، وذلك لكي لا يمسها الجن بأذى كما يعتقدن .

تبقى الام في حالة استراحة ثلاثة ايام حيث تأتي المولدة فتغسل الطفل (تشطفه) وتتناول وجبة طعام ، ويعطى لها الصابون ورأس قند والمنشفة (الخاولي) ومبلغاً من المال يتراوح بين النصف دينار والدينار - وان كان يرغب اهل الطفل (الذكر) بختانه في اليوم المذكور فيأتون به (المطهرجي) فيتم الختان

أما في اليوم السابع فان النسوة يأخذن ام الطفل الى الحمام ويكون معهن الطفل والمولدة - ففي وقت الشتاء يأخذن مقداراً من الخس والبرتقال والنومي والبيض لنفسه حيث (تصرفه) بعد وضعه بالماء الحار - وهناك يتخير لها مقدار من الحرمل بعد وضعه في منقلة صغيرة طراداً للشر - أما في الصيف فانهن يجلبن (دولكة) مملوءة بالشربت ، والرقي والبطيخ والخيار والعنب والرمان والفواكه الصيفية الاخرى ليأكلن داخل الحمام - تغسل الدلاكة للمرأة النفسه ، والمولدة تلتطخ جسمها بالدواء والعسل والبيض والعقاقير الطبية لتقوية عظام المرأة اثناء التدليك - ثم تمنح العائلة الاكرامية (البخشيش) للدلاكة وصاحبة الحمام مع صينية غذاء - وفي مساء ذلك اليوم ترسل الى المولدة صينية

عشاء مع مبلغ لا يقل عن ثلاثة دنانير يوضع داخل ظرف خاص في الصينية . ومن الموائل من تقوم بختان الطفل في هذا اليوم نفسه . وتقام الوليمة أيضاً من قبل الاهل وذلك بذبح خروف أو ما يعادله بالدجاج ويطبخ ارز والرق ، بحضور عدد من المدعوين . وعندما يبلغ الطفل ٤٠ يوماً من عمره يطلع جسمه واثفه واذناه ويده ورجلاه بسبعة انواع من المطور لكي لا تؤثر عليه الروائح الكريهة في الصيف . ثم يخرج به الى السوق في موسم الورد ويوضع في سلة ورد (محمدي) مقداراً من الزمن لكى لا يصبية المرضي ، ثم يهاد الى اهله .

أما غذاء الطفل فهو الماء الحار والسكر المذاب فيه (قنداغ) ، وبعد أن تنتهي ثلاثة اوقات من الاذان ، (الظهر . المغرب والعشاء . الفجر) تبدأ الأم برضعه عدة مرات يوميا ، وإذا لم يكن لديها الحليب جاهزاً ، فتشترى له العائلة حليب بقر أو جمل .

وهكذا يستمر الطفل بالحياة والنمو حتى فطامه بعد عامين . قال عز شانه في كتابه الكريم (وفطامه في عامين ان اشكر لي ولوالدي واني المصير) . أما اسم المولود فيختاره الجد أو الأب أو رب البيت وذلك بواسطة القرآن الكريم أو تكون تسميته تيمناً باسم جد الولد (ون كان المولود ذكراً) أو باسم احد اسماء الائمة الاطهار اولياء الله الصالحين أو باسم احد الزعماء والقادة ، أو ان يكتب رب البيت مجموعة من الاسماء فيرميها في كيس فارغة ويختار من بينها اسماً على شكل قرعة فيطلقه على ولده . وان كان المولود انثى فيكون اسمها تيمناً باسم نساء آل بيت محمد (ص) . ولا بد لنا ان نذكر ونحن في معرض الحديث عن الولادة ان نساء العائلات تتزاور بين حين وآخر ، وتبادل الضيفة بعض جمل الدعاء والتمنيات منها : (ان شاء الله نفرح وبإب بظهور فلان) و (ان شاء الله نعلمج يوم نفاسج) و (ان شاء الله سنة اللسخ جاهل) وبعضج) الى غير ذلك من الاقوال الدعائية المتعارفة .

الختان

ومن التقاليد الشعبية الشائعة (الختان) أو ما يعرف (بالطهور) والاحتفال به . فهو من الواجبات الاسلامية التي تفرض على كل مسلم . قد تسبق الختان ليلة فرح سارة مبهجة يجتمع فيها الاقارب والجيران فتطلع ايدي الطفل الذي سوف يختن بالحناء وتلف بقطعة قماش (ستن) مثلثة الشكل وتغطا خصيصاً لتلك الليلة . كما تحضر (الملة) فتنقر بالذهبك وتنشد الاغاني ، وتعلن المسرات حتى ساعة متأخرة من

الليل . وفي صباح اليوم التالي يؤخذ الطفل الى الحلاق ومنه الى الحمام . ثم يرسل صاحب الدار على الزعترتي^(٤) (المطهرجي) وهو الشخص المجاز رسمياً بختان الاطفال بأمر من وزارة الصحة اليوم . بعد أن تكون العائلة مستعدة لإعلان الانفراج في ذلك اليوم . ويبقى المطهرجي ينتظر دوره حتى عودة الطفل من جولته مع الفرقة الموسيقية التي تمرّ بالزفة ، فتجري عملية الختان .

والزفة تراث شعبي أصيل يأخذ مظهرًا من مظاهر وجدان الشعب وأحاسيسه . يجب أن يكون عدد الاطفال المشاركين بالزفة والختان فردية ، ولا يجوز العدد زوجياً ، وهناك بعض الموسرين من يصحب طفلاً واحداً لـاحد الفقراء يشارك اولاده في الختان طلباً للتوابع والأجر . وفي حالة عدم وجود شخص ثالث يعوض عنه بديك يتقص من عرفه ويعطى للمطهرجي . يتميز موكب الزفة بأن يتقدم الاطفال وهم يلبسون الذهب والنياب البيض ويتصهم صبيان المحلة وترفع صينية فيها الحناء والشعور والياس يحملها اطفال العائلة ، ينثر (يعطش) الملابس والجلية وينثر ماء الورود على رؤوس المشاهدين والمشاركين ، والفرقة تهنج بأهازيج عذبة في مسيرة طويلة تتبدى من بيت الطفل مارة بالشوارع والازقة ومتنتية بالبيت ايضاً . وكانت الشيمة العربية تستدعي قديماً ركوب الخيل والتجوال في طرقات المدينة . وتستغرق الزفة ساعة او اكثر بموعده يتفق عليه . ويتقاضى الطبالون مبلغاً كهدية .

عملية الختان

تتطلب عملية الختان جلب المطهرجي للمواد التالية : النيشان ، الميل ، القراصة ، الموس ، المقص ، المرهم . اللفاف التقيت بالحاج عبد العباس بن خضر الخفاجي المولود سنة ١٨٨٦ ميلادية وهو من اقدم حلاقى كربلاء اليوم ، يقوم بمهمة ختان الاطفال منذ اكثر من نصف قرن . حدثني فقال : عندما يطلب مني ختان طفل اقوم بعملية قص المضر (ذكر الطفل) بعد أن الهية ، وإخاطبه (انظر الطير في السماء كيف يطير) وما اشبه ذلك ، وبمدها يصرخ الطفل صراخاً عميقاً فأقوم بتضميد الجرح في الحال ، ثم انصرف . وبمعد استراحة تستغرق ساعتين تبدأ عملية فتح الخيط لكي يجمد الجرح ويضم . ويصادف احياناً أن بعض الاطفال المختونين قد يتعرضون الى اختلاطات أو مضاعفات تؤدي الى الوتر نتيجة اهمال ذويهم للمعالجة، فأضطر الى المجيء يومياً لـداواة مثل هؤلاء الاطفال . أما اللغاف فافتحه بعد الظهر وأبدله بلفاف آخر بعد وضع الدهان (المرهم) والسلفات . ثم

يشفي بعد مضي ثلاثة ايام أو اكثر وقد يصل الى عشرة ايام .. وقد أفاد في ختام كلامه : ان الاجرة التي يتقاضاها لا تحدد بشئ بل هي اكرامية حسب استطاعة الاسرة ، وأما الفقراء فمجانا .

ويصاحب عملية الختان (الواهلية) وهي خليط من الملبس والحامض حلو ، ونثرها على رؤوس الحاضرين . وبعد مضي فترة من الزمن يأتي قارعو الطبول ، بعد أن اخبرهم رب البيت ، فيدقون بالطبول بينهم من ينفخ بالبوق (المزينة) فتضفي على النفس مسحة من النشوة والمتعة تتخللها اغان شيقة وبستات مسلية ودبكات شعبية ، حيث يقفون في البداية على عتبة باب الدار ، ومن ثم يدخلونها، وتعالى صيحاتهم المرحية . وبعد فترة وجيزة تستغرق الريح ساعة يتركون الدار ، بعد أن يتقاضوا المبلغ المعتاد عليه وهو دينار أو اكثر ، ثم تأتي الفرقة الاخرى وهي تنتظر دورها على بُعد ، ثم تتقدم الفرقة الثالثة . وهي تنتظر دورها على بُعد ، ثم تتقدم الفرقة الثالثة .

ومن العادات المألوفة لدينا أن تهيأ دعوة للمدعوين من الجار والاقارب والاصدقاء نساء ورجالاً وحتى اهل الطبول ، حيث تصف القدور الكبيرة على النار امام باب صاحب الدعوة فيحضر المدعوون لتناول طعام الغداء على مائدته .

الزواج

الزواج ظاهرة اجتماعية وسيكولوجية تتم بموافقة الزوجين واهليهما وفق شروط وقواعد معينة .

الخطبة

عندما لا تكون للفتى ابنة عم يتزوجها ، يفتش له أهله عن فتاة تتمتع بالسمعة الطيبة . وكانت الاجراءات التمهيدية للخطبة تتميز بالسؤال عن الفتاة ومستواها الطبقي بحيث تكون ملائمة لاطاعهم . وبعد الوصول الى النتائج الايجابية واعطاء الموافقة تتفق النساء فتقرر خطبة المرأة المعينة ، وفي الغالب تكون أم الفتى أو اخواته قد شاهدن الفتاة وفكرن بأمرها منذ زمن . ويبدل الرجال كل ما في وسعهم للحصول على الموافقة حتى يحل التراضي ، ويتفق على مبلغ الصداق (المهر) خلال جلستهم . وكانت التقاليد الشائعة في كربلاء ان الرجل لا يرى الفتاة التي سيتزوجها الا في ليلة زفافه . يرسل اهل الفتى خبراً الى اهل الفتاة بتعيين موعد لجلب نيشان الخطوبة وهو خاتم ذهبي تلبسه الفتاة .

اصبح الشاب في الوقت الحاضر هو الذي يختار عروسة احلامه ، ويتم التوافق والانسجام بعد الاختلاء ، بينا ومصاحبتهما فترة من الزمن حلال فترة الخطوبة لتكوين العيش الزوجي . وقد يميل الفتى الى اختيار الفتاة من داخل المدينة اثر ما سمعه عنها وعن عائلتها او شاهدها في شوارع المدينة واسواقها . وربما يطلب من الفتى الجلوس في مقهى معينة خلال موعد محدد ، وتمز الفتاة فتره ويراهها .

اما النيشان في الوقت الحاضر فيشكل من عقد أو سوار من الالماس أو طقم ذهب كامل مع قطع من القماش وعلب حلوى . وخلال تلك الايام ترسل الفتاة حانما فضياً وهدية بسيطة مع علبة حلوى .

المهر

يرسل اهل العروس خيراً لاهل العريس بأنهم سيتوجهون اليهم . تذهب النساء الى دار العروس وهن يحملن (بقجة) تحوي بدلات العروس والعباءة والحناء والصابون والحلويات مع المبلغ المتفق عليه يوضع في ظرف خاص داخل البقجة . المهر يتألف من المؤجل (الفانج) والمجمل (الحضر) ، وقد كانت الحقوق التي يطلبها أسلافنا ٢٠ ليرة الحاضر و٢٥ ليرة الفانج . اما اليوم فن مبلغ الصداق يتراوح من ٣٠٠ الى الف دينار عراقي او أكثر الحاضر ، يتراوح الفانج بين ٥٠٠ دينار عراقي الى الف دينار او أكثر .

عقد القران

يتم عقد القران في حفل بهيج يضم جمعاً من المدعوين في دار العروس ، حيث توجه اليهم بطاقات الدعوة الخاصة ، ويكون الوقت عدة عصر ، فنوزع المربطات والحلويات وكاسات تحوي على الملبس والجكليل والسيكاير .

ماذا يجري عند النساء ساعة العقد ؟

تجلس العروس في غرفة مغلقة تضم قريباتها وقريبات العريس على وسادتين قديماً أو على كرسي في الوقت الحاضر ، وامامها سجادة الصلاة باتجاه القبلة . وترتدي ملابس بيضاء ، وعلى رأسها غطاء ابيض (البرقع) وتحف بها النساء . وهناك قدح فيه ياس وماء ، تضع العروس كعبها في الماء ، ويتخلل اصابع يديها ورجليها الهيل . وتوجد في الغرفة صينية تحتوي على سبعة اشكال هي : هيل ، ونبات ، وزرقسون ، وجويت ، وكمون ، واضافر الجن ، وحبة سودة وصينية اخرى تحوي على اللبن والخفروا والخبز . ويوجد صحن يوضع فيه الملبس لينثر على الرؤوس . وتمسك العروس بيديها القرآن الكريم لتقرأ سورة ياسين ، وان لم

تمعرف القراءة فانها تنظر السورة المذكورة • وهناك شعبة مضادة و (طاسة) فيها الحناء تمجن بالماء • وتحضر (الملة) فتقرأ لها دعاء قلعة ياسين • وبعد ذلك يطلب حضور رجل الدين لاجراء مراسيم العقد الشرعي يحضر الرجل ويجلس امام باب الغرفة المغلقة، ويبدأ موجهاً خطابه الى النساء (حاضرون) فينقطع كلام النساء ، ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم • ثم يقرأ آية من القرآن الكريم خاصة بالزواج ، ومن ثم يخاطب المروس بقوله :

زواجك يا فلانة بنت فلان على فلان بن فلان بمهر معجل قدره (كذا) دينار عملة عراقية وموَّجل قدره (كذا) دينار عملة عراقية ، فان قبلت بذلك فقولي نعم انت وكيلي .»

ثم يعيد العاقد الصيغة اللفظية اثنتي عشرة مرة او اربعة عشر مرة تبعاً بالمصومين • وهنا تطلب المروس حضور ولي امرها ، فتبدي استجابتها بقولها (نعم انت وكيلي) وهنا تتعالى زغردة النسوة • وكانت المروس تلبس القلادة الذهبية من قبل احدي قريبات العريس • اما في الوقت الحاضر فان العريس هو الذي يقوم بالباس القلادة للمروس ويطبع قبلة على وجهاً وسط زغردة النسوة وفرحة الاهل والاصدقاء ويجلس معها فترة زمنية قصيرة في غرفة خاصة للتحدث معها •

وبعد ذلك تقدم ورقة زواج شرعية من قبل العاقد ، وبموجبها يثبت الزواج بصورة رسمية • ثم يجلب القاضي الى الدار لتسجيل العقد في السجل الرسمي للمحكمة ، او ان يذهب الزوجان الى المحكمة الشرعية وتمنح له عدة نسخ من الوثيقة لتأشير ذلك في دفتر النفوس • وفي دفتر النفوس • وفي حالة عدم تسجيل ذلك لم يستطع رب البيت الحصول على دفاتر النفوس لأولاده في المستقبل •

المش الزوجي

بعد ان تستلم والدة المروس مبلغ الصداق ، يباشر اهل العريس بشراء الجهاز • وكان قديماً يشمل صندوقاً للملابس وسلية وكرسيًا ومنضدة (ميز). توضع عليه المرأة والبلور ، كما يشمل ايضا (البردت) والطنافس (الزواحي) وفراشة (دوشك) ولحافاً ووسادتين ، والصفر الذي يشمل الطشت والصينية ولأبريق واللكن • اما اليوم فيتكون الجهاز من السرير (الجرباية) والدولاب (الكنكتور) وطقم قنفات وتجهز غرفة الطعام والبوية وميز التواليت وطاقم افرشة وسلع متفرقة •

ليلة الحنة

يقوم العريس بدعوة عدد من اصدقائه وذويه في داره (استعداداً)

للزواج ، وفي تلك الامسية تحنى يده ورجلاه ، وقد انعدمت اليوم هذه العادة ، فتقدم الحلويات والمربطات ، وتعم الافراح حتى ساعة متأخرة من الليل ، وتعرف تلك السهرة ؛ (الكيف) يتخللها نقر الدنابك والرقص الشعبي والاغاني المتنوعة .

اما رجال الدين فلا يقيمون الكيف ، بل يعدون لزميلهم المتزوج حفلاً يقدم فيه المربطات والحلويات والشاي ويقدمون التبريكات له .

اما النساء فيجتمعن في دار العروس ، وتحضر الملة وتنقر بالنتكة الفازغة وتغني مجموعة من الاغاني المشهورة ومنها ما تخص الرسول الاعظم . وبعض الاسر تجلب شخصاً ضريراً يعسرف (ابراهيم دوويش) ويلقب (علي الشرجي) فيغني الاغاني الحالية وينقر بالدينك . وتوزع الكليجه وخبز اللحم ولحم الدجاج والكباب والشاي والحب والفسق (الكزات)، والمربطات على الحاضرات . وتطول هذه السهرة حتى ساعة متأخرة من الليل .

ليلة الزفاف

١ - زفاف العروس

قبل اكثر من نصف قرن جرت العادة ان تزف العروس الى بيت العريس مشياً على الاقدام . اما اذا كانت الطريق طويلة بين بيت العروس وبيت العريس فيصطحب حينذاك كرسي تستريح عليه العروس في الاقة بين مظاهر الفرح والابتهاج . غير ان الزفاف اليوم يتم بواسطة السيارات . ويكون موكب الزفاف مؤلفاً من نسوة تحمل احداهن المرأة أمام العروس ، واثنان تحملان الشموع والاخرى يهجن ويغرندن وينشدن : يا فلان جيتالك موه - من غير حمرة محمرة) و (يا فلان جينه اعروسك - موبلاش بفلوسك) و (جبتاه واجت ويانه - من شيل الزلف تعبانه) و (جبتسه اعروسك يستباح الكلب - صلكه وعلاهل عل طول الدوب) و (شايشف خير ومستهلهه) و (ما ترشه تجي الا بسيارة) . وهكذا تنتهي المسيرة ببيت العريس ، وعند وصولها لدى الرب ، تتخطى العروس فترفسس بقدمها ال (نكر) المملوء بالماء عند مدخل الدار فتسكبه في صحن الدار وتعبهه ، ثم تضع يدها اليمنى في طبق الرز (لتمن) غير المطبوخ ، حيث تحمله احدى قريبات العريس وتضيفه الى كيس الرز الموجود في الدار ، فيجلسب الى العائلة البركة . ويذبح عند قدميها وهي مشية في فناء الدار خروف فيطبخ مع الرز لليوم الثاني ويوزع على الفقراء . وطبيعي ان قريبات العروس يجب ان يرتدين اجمل الملابس ويتعطرن بالمطور ويلبسن ما يحلو لهن من المجوهرات والحلي ، وكذلك قريبات العريس .

يكون العريس قد ذهب الى الحمام ليستحم مع اصدقائه وذويه على حسابه الخاص، وقد يستقل الحمام لفترة زمنية معينة حكراً له ولاصداقائه . وهناك يرتدي ملابس العرس الجديدة ويتمطر بالطور ويخرج قاصداً زيارة ضريحي الامام الحسين واخيه المباس عليهما السلام ، وهم يصفقون ويهزجون ابتهاجاً بزواج الصديق المحتفى به . وبعد ذلك يتجهون نحو دار العريس حتى اذا ما وصلوا باب الدار نادوا : **هالک الصلاة والسلام عليك يا رسول الله محمد** . يجلس الجميع لتناول طعام العشاء ، ويجلس العريس بينهم ، ويوصى أن لا يأكل كثيراً لأن وراءه اكلة دسمة تحوي دجاجة وخبزاً تسمى (التحفة) تجلبها أم العروس مع ابنتها . ومن ثم يقصد الجميع التهيئ لقضاء فترة زمنية يعودون بعدها الى الدار في زفة شجية . وهنا تستقبلهم النسوة بالزغاريد ، وتنتشر (تطش) أم العريس أو إحدى قريباته اللبس والنكود (خرده) قد يبلغ مجموعها ديناراً عراقياً اليوم على رأس العريس ، فتجملها النساء والاطفال . يقف العائلة متخطية بالباب قليلاً ، فيزف من قبل والده أو اقرب شخص في العائلة متخطية فناء الدار الى غرفة عروسه فيصافحها ويرفع (البرقع) من على وجهها ويطلع قبلة في وجهها ، ثم يأخذ الشمعة من يدىها ويسلمها الى إحدى قريباته وبعد انتهاء هذه المراسيم يخرج العريس ليصافح اصدقاءه وهم يصادرون مكان بعد أن يقدموا له الطيب التهنئي بهذه المناسبة السارة ويستأذنهم بالعودة الى زوجته . يدخل الغرفة فيصلي قرية الى الله ركعتين . وعندما يبدأ بأداء الفريضة تتعالى زغاريد النسوة ، ويهزجن : **يلان ظلي الكلوب - خدها يشع ويا الروب** . وبعد أن ينهض من صلاته ينفرد بعروسه حتى انصباح . وتحضر العروس منديلاً ابيض توضع فيه علامة دخول الزوج بزوجه (**دم البكارة**) ثم يعرض هذا المنديل على اقرب امرأة من العائلة اطماناً على عفة الزوجة وصونها لشرقا .

وفي صباح اليوم الثاني تتناول العائلة وجبة الافطار القادمة من دار العروس . ويبارك الناس والاصدقاء العروسين بهذا الزواج الميمون ، فتحصل العروس على هدايا كثيرة تدعى : (**الصبيحة**) تشمل نقوداً وحلي ذهبية وسلماً أخرى . وهنا تستعد عائلة العريس باعداد طعام الفداء للعريس وجداعته . وفي هذه الفترة يأتي قارعو الطبول فينفقون على الدربك وينشدون الاغاني الشائعة ، وتقدم لهم الاكرامية . وعند حلول وقت العصر تأتي نساؤهم (العبيد) ويعرفن : (**الوصايف**) جمع وصيفة ، وهن اللاتي يغلب على وجوههن السواد ، حيث ينشدن الاغاني الشعبية ، وتبدأ

كبيرتهن (الشيخة) بالفناء والرقص وتجميعها (خلفتها) لتنتشر بالدف ويلتحم الفناء ، ومن يشكّل نصف دائرة في فناء الدار وتفرش العيادة في الوسط ، تنتشر عليها الدرام ، فتجميعها الشيخة وتقسّمها عليهن .

ويختار بالبال ونحن اطفال صفار كنا نشاهد ان الوصيفة (سعيدة) وهي من سكنة محلة باب الخان ، كانت عندما تحضر حفلة زواج ، وترقص تنتشر على (الدنيك) وهو موضوع على ظهرها ، حيث ان عظم الحوض عندها واسع جداً بحيث يسع لجلوس طفلين على الظهر وهي تهزها هزاً .

ومن بين الپستات التي كانت تهزها (سعيدة) بلهجتها الخاصة آنذاك قولها :

بيت آكاتي (٥) اشتروا هوش (١)

هيطو (٧) واحد بالآخر

هي يراتكو (٨) هيايون (٩)

لا اله الا الله

هي على خير العمل

ولدى وصولها المكّح الاخير تقبض يديها بفتحة مناسبة واحدة فوق الاخرى وتنفع كالزمار على ايقاع اللحن (لا اله الا الله) فتجيبها الفرقة (هي على خير العمل) .

وبعد ذلك تمضي ثلاثة ايام كلها افراح ومسرّات .

وفي اليوم الثالث يدعى المروسان وذووها الى دار المروس لتناول طعام الفداء ، فيعرف ذلك ؛ (القصي بوسي) وهي كلمة فارسية تعريبها (تقبيل اليد) أي ان المروسين يقبلان يد والد المروس ووالدتها ، حيث يقدمان لها هدية وقد تكون ساعة أو خاتماً ذهبياً أو نقوداً .

وفي عصر اليوم السابع يعقد حفل كبير تدعى اليه النساء من الجيران والاصدقاء والاقارب ، وفيه تحمل المروس وتجلس على دكة عالية او كرسي ، وهي ترتدي ازهى الملابس بين فترة وأخرى . ومن حولها تغرد النسوة وتنشد اروع الاغانى الشعبية ، ويعرف ذلك اليوم ؛ (السبعة) .

وبالنظر لتطور الزمن ، استحدثت مودة جديدة في عصرنا هذا تعرف بـ (شهر المسل) فقد لا تتيسر النفقات او هرباً من التكاليف الباهضة لأعداد ولائم الرز واللحم يذهب المروسان ليقتضيا فترة ايام الزواج وهي بضعة ايام قد تمتد الى شهر في الحلة والبصرة وبغداد أو في الشمال الحبيب أو خارج العراق ، وتعرف هذه الايام المبهجة التي يقضيها المروسان بشهر المسل .

عندما يشعر الإنسان يدنو أجله ، فهناك نسبة ضئيلة من الافراد من يقوم باستملاك مقبرة له وللعائلة مستقلاً تكون خاصة بهم . ومنهم من يوصي بدفع الحقوق والطلبات ، ويطلب من الحاضرين براءة الذمة

وعندما يحتضر الشخص (رجلاً كان او امرأة) يدار جسمه باتجاه القبلة (١٠) ، ويقطر شيء من الماء في فمه وتمدل رجلاه ، ويحضر اقرباؤه وجيرانه ، حيث يقوم أحد الجالسين بتلاوة دعاء (العديلة) (١١) ، بعد ذلك تفلق عيناه ، ويتعالى صياح افراد العائلة ، فان كانت الوفاة ليلاً ، يتلو القرء قراءة القرآن الكريم والسهر حول النجدة لكي لا يعطسها الشيطان ويجتمع القريب والجار قرب دار الميت ، ويجلسون على "الطنافس" - ان وجدت - او على البساط أو الحصان ، ويتولى افراد من يتعلق بالميت بمهمات ، منها ارسال احدهم لجلب (لتابوت) أي الجنازة استئجاراً من المختل ، ليحبل بها الميت، ومنهم من يرسل الى مديرية الاوقاف (الدنية) حاملاً معه عثمانية الميت او جنسيته لتدوين اسمه وهويته ومحل سكناه لدى الموظف المختص وجلب (تسكرة) تمنون الى حفار القبور ، يجوز بدفنه في المقبرة ، علماً بأن موظفاً مختصاً يبقى في خفارة الدائرة . ومنهم من يرسل الى المؤذن لأعلان الخبر المشؤوم على مسامع الناس من على مآذن الروضة الحسينية . وقديماً لم تكن تستعمل مكبرات الصوت بسبب عدم وجود التيار الكهربائي ، فيضطر المؤذن ان يصعد سلالم المئذنة ويعلم بأعلى صوته . وعند جلب مكبرات الصوت قبل عشرين عاماً ونيف كان التشيع خاصاً بالسادة والعلماء . ولكن في السنوات الاخيرة اصبح التشيع مشاعاً لكل الفئات من ابناء الاسر المعروفة في المدينة ووجوه واعيان المدن الاخرى التي تقصد كربلاء لفسل الميت بماء القرات وزيارته اضرحة الائمة الاطهار . يخبر المؤذن داعياً الناس الحضور الى دار الفقيد أو في احد المختلات . وان كان الفقيد عالماً جهيداً تكون صيغة التشيع على الوجه التالي :

«أخواني المؤمنين : انقلوا اقدامكم الى مفصل (المخيم) او (العقمة) لتشيع جثمان المرحوم المفلود له حجة الاسلام والمسلمين آية الله في العالمين المرجع الديني السيد فلان بن فلان الحكم لله الواحد القهود . لا إله الا الله (ثلاث مرات) »

اما اذا كان الفقيد من الفئات والسادة فتشيعه يختلف عن سابقه ، ويكون على النحو الآتي :

اخواني المؤمنين : انقلوا اقدمكم الى مقبسل المغيم لتشيع جثمان
المرحوم المفطور له السيد فلان بن فلان من آل فلان ، الحكم لله الواحد
القهر (مرتان) .

وحال سماع الناس هذا النبا المحزن ، يهرعون الى احد المقبسلات ،
لمشاركة ذري الفقيد في السير مشيا على الاقدام من المقبسل حتى زيارته في
الروصتين ، ومن ثم دفنه في احد اواوين الروضة او في المقبرة الكريمة
(الودي) او في أي مكان يقرر دفنه كالنجم مثلاً . وجما يتفق على مكان
الدفن يخرج الصحن لا يكلف للخروج مع الجثمان الا ارحامه . وطبعي
ان المشارك لهذه المسيرة الطويلة يحصل على الاجر والثواب .

المقبسل

كيف يتم غسل الميت ؟

كان الاحالي قديماً يفسلون موتاهم في صحن دورهم ، وكان ولي
امر الميت هو الذي يتولى عملية الفسل ، وكانت توجد في زوية الدار
(دكة) بقدر طول الانسان ترتفع عن ارضية الدار بمقدار نصف متر ،
وتطلى الدكة بالقيز ، والى جانبها حوض ماء يطل داخله بالقيز ايضا يستعمل
لغسل الموتى من افراد العائلة ، ويسحب اليه الماء من البئر التي لا تخلو
منها الدور القديمة . اما اليوم فان ولي امر الميت يوكل المقبسل ليتولى
غسل الميت في المقبسل . ويشترط حضور الاب أو العم أو الخال أو أحد
اقربائه لتجهيزه ودفنه . بعد ان تخلع ملابس الميت يغتسل بالماء البارد
والصابون ، ومن المعتقدات بلاشياء أن الميت يغسل عندنا بماء الفرات أو
يفسل بماء من بئر زمزم يجلبه الحجاج من مكة ، ثم تحجر رجلاه وتنظف
اظافره (السلاية) ، وبعد ذلك يدخل القطن في دبره . بعد اجراء
نية الفسل ، يفسل الميت مبتدأ برأسه ورقبته وكتفه الايمن والايسر
وتضاف اليه المواد العطرية كالاسدر والكافور ، يمد الفسل ثانية وتجري
نية (ماء القراح) الذي يوضع عن غسل الجنابة لكل جسمه ، وهذا يعتبر
غسلا ترتيبيا . ويؤتي بزواج من جريد النخل ويربطان تحت ابطيه من
الزبد حتى المرفق ، ثم يوضع على صدره كمية من الكافور بمقدار (٧٥٠)
مشتال ، ويؤخذ من هذا المقدار شيء يرش على جبينه وراحتي يديه
وهراق رجليه ومحل مسح رجليه . ثم يكفن بقماش أبيض يعرف
بالكفن طوله ١٢ متراً يتم تفصيله وقصته في المقبسل ، ثم يغيط ويلف
بالبردة ، وهذا الفسل يكلف ديناراً واحداً أو اقل يعتبر (اكرامية) (١٧) .
ويطلى التابوت بقماش (بردة) ثم يحمل ويشيع الى مثواه الاخير . ومن
المعلوم ان المنظر مؤلم جداً ومن الناس من يتألم وينصح بالرفق ، لان
فراق الميت صعب ، ويسود الاعتقاد ان الميت يشعر بذلك .

أما بالنسبة للمرأة فإن الغسل يكون كالرجل لا يختلف في شيء ، تحضر النساء في الغسل الخاص بالمرأة ويكون عادة مجاوراً لغسل الرجال ، وفي أثناء الغسل تتلو واحدة منهن سورة تبارك بأعلى صوتها ، وتجتمع حولها عشرة نساء يتلون معها السورة نفسها ثم تكرر أربعة مرات ، فيصبح عدد القراءة أربعين مرة تبارك ، وطبيعي أن هذه القراءة وعملية الغسل تستغرق ساعة واحدة ، وبعد البكاء والموئيل تشيع إلى منازلها الأخير ..

وما دنا في مرض الحديث عن الميت لابد لنا أن نعرف ما الملة إذا مسّ إنسان ميتاً ، فالجواب على ذلك أن الميت في الغالب تفارقه الروح وهو في محتشد من أهله وأحبته غلور تركوا وشأنهم لأحتقوا به هذا يقبل يديه وهذه تقبل نحره وخديه وذلك يضع وجهه على وجهه وعينيه والاخر يكتر من لمس جبهته ونظره في حين أن الميت لا ينفك

في الأكثر من الوث الأسقام وجراثيم الماعنات والمزاة السامة التي تفوزها جنته ولو رشحاً فأمر الشرع الاغتسال لمن يتلمسه بعد برده لابد أن يقف عشرة في سبيل مس الاموات فيرتدع من تصور هذا التكليف أكثر الناس فلا يلمسون الموتى الا عند الضرورة وبذلك يأمنون من لوث الامراض ويصانون من عدوى الماعنات (١٣) .

ولابد لنا ان نذكر بعض المراسيم التي تتبع تجهيز الميت من الغسل وتشييعه ، فان كان الميت شاباً أو شابة توضع اوراق الياس والورد على الجنائز ، كما تعلق أو ترفع صورة الشاب الغدير المتزوج خاصة ان كان جندياً قتل في سبيل الدفاع عن الوطن ، ويحمل قسم من اصدقاء الميت (صينية) فيها الشسوع ، اما اذا كان عالماً جليلاً فانه يحمل في تابوت يدخل في صندوق يعرف عندنا : (هخته ووان) (١٥) ، ويغلف بقمش اسود وتوضع في أعلاه عباءة العالم ، وتحمل الاعلام السود أمام الجثمان ، وكذلك الحال ترفع الاعلام ان كان الميت سيده جليلاً أو عميداً لأسرة معروفة ، ولدى وصول الجثمان الزوفة الحسينية أو العباسية يقوم احد السادة بتلاوة الزيارة ، وبعدما يظوف بالجثمان ثلاث مرات حول الفريخ المقدس ، وعند الخروج يصلي احد العلماء أو السادة صلاة:

الميت ويأتهم به بعض الحاضرين، وتوضع الجنازة على الأرض امام المصلين .
وهذه الصلاة فريضة واجبة للميت إما أن تكون في الحضرة الحسينية
أو العباسية ، وبعدها يودع ذوو الميت المشيعين ويشكرونهم على
المشاركة في التشييع ، ثم يقرر موضع الدفن إما ملابس الميت فانها
تعطى الى الفقراء والمعوذين أو تباع في السوق أو تعطى الى المختار .

أما زيارة القبور فهي من الأمور المستحبة ، وفي كثير من الأحيان
يتفقد الناس موتاهم ، فيزار الميت في كل ليلة أحياناً وفي ليالي الجمع
أحياناً أخرى . وبعض النسوة يقصدن الموتى في ليلة السابع من الوفاة
ويوم الأربعين والسنة . وفي خلال تلك الزيارات يتصدق الناس على
الفقراء ويطعمونهم ويسبلون الماء ، وينوبون الموتى ويتلون الفاتحة على
أرواحهم . ومن قول للامام علي (ع) للصحابي ابي ذر الغفاري : ذر
القبور تذكر بها الآخرة ولا تزورها بالليل . . . الخ . وقال النبي (ص) :
من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برأ . وقال النبي
أيضاً : ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد
عليه حتى يقوم . . . الخ (١٦)

القبر (١٧)

يقوم الحفار بأنزال الميت في القبر . وبعدها يوارى جسده بالتراب
في لحده ويرمى اللحد بالطابوق والجص والماء . وينتهي من عمله .
وكانت أسرة آل سعيد تتولى مهنة حفر القبور ، كما أن المرحوم الحاج
عبدالله بن محمد تقي الحفار كان يتولى شؤون الدفن في الروضتين
ويتقاضى اجراً قدره (٣٠ روبية) أي ما يعادل اليوم (٢٥٠ ر٢) ديناراً
لبقاء كل ميت يدفن في الصحن الشريف . ثم يجلس المشيع على القبر
يحيط به أفراد عائلة الميت وهم يبكون ، فيتلو دعاء التلقين والشهادة ،
ثم يقرأ الجميع سورة الفاتحة ، ويرش الماء على القبر ، ويعزى ذلك الى
تسهيل الحساب مع الملائكة كما هو المعتقد . وبعد ذلك تنصرف عائلة
الميت الى الدار لتهيئة مجلس «الفاتحة» .

فاتحة الرجال : كانت الفواتح قديماً تقام في الدور بالنسبة
للمتنفذين والموسرين ولم تنزل كذلك . وبعض الناس يقيم المجلس في
المساجد والمقابر الكبيرة والمدارس الدينية كمسجد السيد كاظم الرشتي
ومقبرة ركن الدولة في صحن الحسين ومسجد المرزا علي تقي الطباطبائي
ومدرسة حسن خان ومدرسة البقعة وغيرها . أما المواد التي يتطلبها
مجلس الفاتحة هي : صندوق فيه أجزاء من سور القرآن الكريم (ختمة
قرآن واحد) يوزع كل جزو على من يرغب القراءة ، وتوزع القهوة المرة

والسكاير والماء على الحاضرين . وهناك عدد من قراء القرآن يتناوبون في القراءة لثلاثة ايام متوالية . وفي خلال الساعات الثلاث التي تبدأ صباحاً من الساعة الثانية حتى الساعة الخامسة عربية يحضر الخطيب فيتلو التعزية يذكر فيها مصيبة الحسين . ان قراءة القرآن وتوزيع القهوة والسكاير تعني مجلس فاتحة . اما قراءة القرآن دون توزيع أي شيء فيعني مجلس ترحيم . وكانت المجالس تلك تمقد كالآتي : صباحاً - ترحيم وفاتحة . عصرًا . فاتحة وترحيم . قبل الغروب بربع ساعة - ترحيم . بعد صلاة المغرب والعشاء - اجتماع على قبر الميت لقراءة سورة الفاتحة ، حيث يجلس ذوو الميت فيأتي الناس يحزنونهم . ويدوم الاجتماع . ٤ ليلة يقرأ فيها القرء القرآن . ثم ينتقل ذوو الميت الى مجلس الفاتحة حيث يكون امتداداً للترحيم الذي سبق المغرب . اما اليوم فقد تغيرت هذه العادة بسبب اختصار الوقت ورعاية الموظفين الذين لا يستطيعون المجيء خلال الدوام الرسمي ، فاصبح مجلس الفاتحة يعقد عصرًا وليلاً لثلاثة ايام ويستغرق ٤ ساعات فقط . وقد ينشر النعي في الصحف المحلية ، وبعد انتهاء مجلس الفاتحة يقدم شكر في الصحف ايضاً . يقف اهل الميت في بداية المجلس لاستقبال المعزين وتوديعهم شاكرين

ايهم مشاركتهم الحزن وتجشمهم غناء السفر . وهناك بعض العوائل لا تستطيع اقامة مجلس الفاتحة بسبب عوزها المالي ، فانها تكتفي باقامة ترحيم في الصحن المقدس . وفي اليوم الثالث يكون الختم حيث يرش ماء الورد على كل حاضر لقراءة الفاتحة . وفي مساء هذا اليوم يحيى العشاء وفي الليلة السابعة من الوفاة تجتمع النساء على قبر الميت تأتي متهنئات المنة يكيين ويلطمن على الصدور ، ثم توزع الفواكه والحلوى في هذا الاجتماع الذي يستغرق ساعتين أو أكثر . وبعض العوائل يدعفين شخصاً يقرأ لهن التعزية ويعرف عندنا بـ (الروضة خون) وتتضمن مصيبة الزهراء والطفل الرضيع وتختم بمقتل الحسين .

اما في اربعين الميت فيقام مجلس للعشاء ، يدعى فيه ذوو القربى واهل المحلة وللعلماء ، كما ويقام مجلس تأبين في الصحن أو المسجد ان كان الميت عالمًا جليلاً أو شاعراً فذاً أو زعيماً محنكاً وذلك تمشيماً لعله وأدبه وخدماته . وكذلك الحال في سنة الميت حيث يقام مجلس للعشاء ايضاً .

فاتحة النساء : تقام عادة في دار الميت . ان كان الميت رجلاً أو امرأة فان النساء يقعدن مجلس الفاتحة منذ صباح اليوم الاول من الوفاة وعصره لمدة سبعة ايام تحضر فيها (الملة) ، وتتقطر على الدار نساء من قريبات أو ممن لهن صلة بالراحل ، فيرتدين (الفوطه) السوداء على رؤوسهن وثوب الهاشمي الاسود حزناً على الميت . وكلما كانت القرابة اقرب كان الحزن أشد وقماً في النفس . علماً بأن هناك ماينافي لبس السواد على الميت ، فقد استدل بالاخبار على حرمة لبس السواد عن عدة من اصحاب وعندهم عن احمد بن ابي عبدالله عن بعض اصحابه قال كان رسول الله يكره السواد الا في ثلاثة الخف والعمامة والكساء محمولان على الحرمة لعدم قرينة تدل على الكراهة التي في قبالة الحرمة ، محمد بن علي بن الحسين قال : قال امير المؤمنين فيما علم اصحابه لا تلبسوا السواد فانه لباس فرعون . . . الخ (١٨٠) تبدأ (الملة) تنمي الفقيده الراحل وتبكي معها النسوة فيلطن على صدورهن ومن واقفات في ساحة الدار . وبعد ان تنتهي (الملة) من النواح والقراة ، توزع القهوة والسيكاير على الحاضرات . ثم تعضي كل واحدة منهن الى منزلها . وفي اليوم الثالث تدعى الملة ومن يلوذ بها الى طعام الغداء . وفي الليلة السابعة تعضي النسوة الى القبر كما اسلفنا . وبعد اليوم السابع يخصص يوم واحد من ايام الاسبوع عدا يوم السبت باعتباره اليوم المشؤوم ، يعرف بالعادة ، حيث تأتي (الملة) والمعزيات الى دار الميت فينبدبن ويحسن .

وتستمر العادة حتى يوم الاربعين . وفي اليوم الاربعين يتم طعام النساء وتحضر (الملة) والمعزيات عصر ذلك اليوم حيث يقام مجلس الفاتحة الذي يستمر ثلاثة ايام . وبعد الانتهاء من هذه المراسيم ترسل صاحبة الدار (صينية) فيها عجة وثوب هاشمي وسيكاير ومقدار من النقود قد يكون عشرة دنانير او اكثر حسب استطاعة عائلة الميت ، ويوضع المبلغ في ظرف خاص داخل الصينية . وفي خلال هذه الفترة تكون (المواجهة) وهي ان جماعة من النساء يصبحن (الملة) فيقصدن دار الميت عوضاً عن عدم حضورهن في ايام الفاتحة باعتبار ان العائلة القاصدة هي حزينة ايضاً . فتقصد في مساء احد الايام بعد العشاء لتواجه عائلة الميت الجديد . وهناك جماعة اخرى اعني عائلة حزينة لا تستطيع الحضور بسبب ان فاجعتها حديثة العهد فهي ترسل (الملة) وحدها باسم العائلة لتنمي في المجلس . وهكذا تبقى العائلة حزينة لا تستطيع الحضور في كل مناسبة أي مجلس من المجالس حتى مضي عام واحد ، ومن ثم تخلع ملابسها السود ، ويمنى الحداد بحضور عميد الاسرة أو احد الاقارب البارزين ، حيث يفر الملابس السود . وتكون مدة الحزن بدرجة القرابة ، وقد تحرم بعض الاطعمة كالكرزات والملك ، وعلم التزيين طيلة فترة الحداد . ولا بد لنا ان نشير

الى ان عائلة الميت تقوم باعادة واسترجاع الريارة الى اللواتي جنن الى الفاتحة ابتداء من السنة الثانية .

اما علامات الحداد بالنسبة للرجال فيتم بلبس السواد وخاصة الاربطة السوداء وتحريم قص شعر الرأس لمدة اربعين يوماً ، وحلق الحية في اليوم الرابع بالنسبة للموظف والابتعاد عن وسائل اللهو والراديو والتلفزيون والسينما مدة اربعين يوماً . وهناك واجبات تفرض على عائلة الميت منها توزيع الحلوى والطعام الفقراء واجراء السبيل ، ويمتد ان ذلك يؤثر على راحة الميت لتخفيف بعض العقاب .

هوامش

(١) الهد : الوضع بهياً ويوطا للصبي . الارض المتخلفة جمع مهود [انظر : المتجدد ١٩٥٦هـ]
لوس مطوف اليسوعي ج ١ ص ٨٣٨ ويعرف عند العامة (لنو) وهي لفظة مشتقة من التلوي . وهو نوعان : الكاروك الخشب وهو الصنوع من الخشب . وكاروك قماش فهو مكون من كيس حبوب فارغة (مولية) يربط من اطرافها الاربعة بقطع خشبية ويربط بها من جانبيين مقابلين فيلآن بشكل مثلث لاعدته الى الاسفل ورأسه الى الاعلى يعلق كل منه بمسار . وقد تطور الهد اليوم من الخشب والقماش الى سرير حديدي .

(٢) زعر الهود : نبات يغل وهو يستعمل كعلاج المعدة من الغازات والتسقم .

(٣) تربة السلام : وهي تربة الحسن ، تلك التربة الزكية الطيبة القديمة التي نعلت بلغها الاحاديث الكثيرة (النثر : تاريخ كربلاء - للدكتور عبد الجواد الكليدار آل طعمة ص ١٢٧ ط ٢ - ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م .

(٤) الزعرني : يطلق على الشخص الذي يكتسب بختان الاطفال وعدته حقبة تحوي على موسى ومشف وقص وقطن وورهم حيث يستعمل للبيوت لاجراء عملية الختان . انظر : مجلة التراث الشعبي - الجزء الثاني - السنة الثالثة ايلول ١٩٦٦ .

(٥) الاالي : االي . اي سيدي .

(٦) هوش : حوش اي دار .

(٧) خيطوا : من الخائف اي دمجوا .

(٨) واحد بالآخر : الدار الواحدة بالآخرى .

(٩) يا مراكو : يا الله .

(١٠) هابون : السعيد ، العظيم .

(١١) القيلة : بالكسر لم السكون كل شيء جعلته كلقا . وجهك فقد استقبلته وسميت القيلة لان الصلي يلقاها وتقابلها . [دائرة المعارف السماعة بمقتبس الازر ومجدد ما ذكر للشيخ محمد حسين الشيخ سليمان الاعلمي النعماني ج ٢٤ ص ٢ (١٩٧١م - ١٣٩١هـ) لم - ايران .

(١٢) القديلة : دعاء مشهور يلقن به الإنسان قبيل احتضاره .

(١٣) القادني بهذه المعلومات المسئل علي بن جواد .

(١٤) مجلة (المرشدة) البندادية ج ٨ ص ٣٣٤ (١٩٢٨) .

(١٥) تخته روان : صندوق كبير الحجم يوضع في داخله تابوت لشخصية علمية يحمله

أكثر من أربعة أشخاص .

(١٦) معجم القبور - لتسيه محمد مهدي الموسوي ج ١ ص ٤٣

(بغداد ١٩٢٩) .

(١٧) القبر : بالتج ثم السكون يلقن فيه الميت ويتواراه في الأرضي عل وجه يحرس

جنته على السباع ويكتم رائحته عن الانتشار ويستحب عمله نحو قامة معتدل وأقل الفضل

إلى الترافلة [دائرة الحارث] مجلد ٢٣/٣٠٦ (قم ١٩٧١/١٣٩١) .

(١٨) ارشاد العباد إلى حرمة قبر السواد - للشيخ محمد رضا الخاوري

ص ١٢ و ١٣ (١٣٩٠) .

دورة الحياة في تلغرفي

علي التلغرفي



الولادة

ان الاعتماد بالاكثار من النسل في المجتمعات العشائرية قد يكون مبعثه الرغبة في تكثير الايدي العاملة ذات الاثر الفعال في تمشية امور الزراعة ، او يكون طلباً لزيادة عدد اعضاء العشيرة - اية عشيرة - وخاصة من الذكور لانهم اقدر على حمايتها من تطاولات الآخرين وكيد الحاقدين ولأن على عاتقهم تقع مسؤولية تثبيت مركزها في المجتمع العشائري عن طريق المحافظة على سمعتها والذب عن حياضها والذود عن حماها .

والمجتمع التلغرفي باعتباره ذا سمات : عشائرية ، زراعية .. فانه يجمع - والدالة هذه - بمراسيم كتلك التي تتعلق بالاعتناء بصحة المولود وكيفية تحضير القماط .. وما الى ذلك من الضرورة بمكان . بينما قد يكون غيرها كالمحافظة على الطفل من طوارق الليل ومن عيون الحساد .. الخ . من نسيج التفكير الشعبي المجلبب بالاوامام والخرافات والاساطير . ومع هذا فان الايدى بها قد يفوق حد الوصف طالما ان هناك ارباب عوائل قد ضربوا على اسرهم وخاصة الاناث منها طوق الجهل المقيت نتيجة جعلهن حبيسات جدران المطابخ والبيوت لحسب .

والمراسيم التي ترافق عملية الولادة بدءاً وانتهاءً كثيرة ومتنوعة ومع هذا فان تنسيق ملامحها الاساسية على النحو التالي قد يزيد البحث رونقاً ووضوحاً :-

بانتظار المولود الجديد : -

يختلف نوع الانتظار تبعاً لاختلاف المولود المنتظر . فان كان المولود بكرًا فان مراسيم الانتظار تكون ذات اهمية بعض الشيء . واما ان كان المولود قد سبقه من هو قبله فان هذه المراسيم تكون معتادة على الأكثر . ومهما يكن الحال فان الايام التي تسبق الولادة تشهد حركة غير اعتيادية وخاصة في حياة الام التي لابد وان تنهك في اعداد ما يتعلق لطفلتها القادم من ملابس واثواب تتلام مع حالة ذوية الاقتصادية عسراً ورخاءاً . ان الملابس الضرورية التي تحضر بهذه المناسبة تتكون عادة من دشداشتين وجاكيتين وقميتين أي فيسين . ولا بأس من ان تكون السوان هذه الملابس متنوعة ومختلفة . ولكن الشيء المحذور عادة هو الالتجاء الى اللونين الاسود والازرق لما فيهما من دلالة على الحزن والشؤم . كما تحضر فوق هذا قطع من اقمشة بيضاء تستعمل كقمط يلف به الطفل بعد تمام غسله وتنظيفه من الادرن العالقة به . وأخيراً لابد من تهيئة مهد خشبي على الأكثر ومن صنع محلي في الغالب ليكون بمثابة مستقر للمولود الجديد بعد اكتسابه القوة والمنعة بعض الشيء . ومن المعروف ان الملابس التي تحضر للمولود الجديد - أي مولود - قد لا تختلف عن شاكلتها التي تهيأ للأطفال الآخرين ما عدا الفيس الذي يكون فوق مهماته الاساسية مستودع العديد من الالفاظ والمعتقدات الشعبية لهذا لا مندوحة من التعرض له والتعرف به بمقال قادم مستقل ان سنحت لنا الفرصة .

حينما تدنو ساعة الولادة تحضر القابلة المختصة لتقوم بدورها المعروف في تسهيل عملية الولادة . وهي تعتمد في عملها على الخبرة والمران التقليدي . اذ لا تعرف تلغز القابلات الفنية المجازات من قبل المؤسسات الصحية الا مؤخرًا وبعدد قد لا يتجاوز الواحد كما تعلم . ومع هذا قل من يراجعها من النساء أو تراجع تلك المؤسسات بدافع الخوف والتجمل ، ولأن قابلة كل عائلة تكون عادة من قريباتها اللاتي يلفن من الكبر عتياً لهذا يصبح ادري بما جريات الولادة بسبب مروهن في مثل هذا الدور على الاغلب في ماضيات ايامهن ، او لأن ارتكابهن بعض الاخطاء بحق الامهات لا يسبب لهن أي احراج لانهن من المشيرة . وعلى كل حال تبقى القابلية المختصة مستمرة في مراجعة الام للاعتناء بها لحين اغتسالها ، لهذا ولقاء الجهد الذي تقدمه خصص المجتمع التلمغري لها بعض الهدايا - وهي رمزية على الأكثر - . من هذه الهدايا : شراء قماش دشداشة لها ، اهدائها عصاية رأس نسائية ، تقديم نصف دينار او دينار واحد وربما أكثر او اقل اليها ، تخصيص فطرة عيد الفطر (رمضان) لها وخاصة تلك التي تدفع عن الطفل أو الأطفال الذين اجهدت نفسها معهم حين الولادة والذين يجب عليهم الاعتزاز بها والنظر اليها باحترام وتقدير.

ومن المعروف بأن الولادة لا تتم بصورة نهائية الا بعد قطع اي قص
الحبل السري . هذا الحبل الذي يعتقد البعض بأن له اثرأ فعالاً في
مستقبل المولود وفي تحديد نوع العمل الذي ينتظره . لهذا يعمد ذووه الى
قص وصلة صغيرة منه وتكون بطول اصبع واحد تقريباً ثم يلجأون الى
دفنها مع القلم او اخفائها في داخل دفتر او كتاب او رميها في اية مدرسة
.. رغبة في ان يصبح المولود موظفاً او صاحب مهنة تعتمد على المثل
الكتابي . او تدفن مع اية اداة من ادوات البناء او النجارة أو الحدادة
أو الفلاحة .. اذا ما اريد ان يصبح المولود بناءً او نجاراً او حداداً
او فلاحاً .. وهكذا .

في اعتناق الولادة :

بعد ان تتم العملية على خير ما يرام يبدأ غسل المولود بالماء الدافئ
والصابون (من نوع رقي عادة) وقديماً كان (الكيل) -
أي (طين خاوة) هو المستعمل لهذا الغرض . ثم يوضع مسحوق البودرة
على كل احدء جسده بشكل متقن . وفي الماضي كان يوضع عليه تراب من
نوع خاص يصعر اللون مسحوق بشكل ناعم ، ثم يلف الطفل بالقمط
المخصص له بعد تغطية وجهه بصورة متقنة املاً في ان يتعود على تحمل
الغطاء طوال عمره . كما يتم تكحيل عينيه لتكونا قويتين تبصران النور
بدون غشاوة . وليس من المستبعد ان تضع بعض الاسر قطعاً صغيرة من
قشور الرمان وخاصة منقطة القمح (الكمح) وقطعة
حديد وكمية قليلة من الشعير والملح .. في الماء الدافئ المخصص لغسل
الطفل مستهدفة من هذا : حفظ المولود من المكروه وطوارق الليل وما
اشبه ولتدبغ جلده لانه يكون هشاً طرياً في مثل هذا الوقت ولكي يميل
الى اعمال الزراعة التي لابد وان تعتمد على الحبوب ومنها الشعير بالذات
وعلى المحارث الخشبية ذوات السكة الحديدية . بعد هذا يثبت على رأس
الطفل قطعة ذهبية او ابرة ... رغبة في إبعاد الجن عنه لانه يعجز عن
مقاومة كل ما هو معذني كما يوضع تحت رأس الطفل مقصص صغير او
سكينة لنفس السبب . واخيراً وبعد كل هذا يتم وضع الطفل فوق مكان
مرتفع نسبياً - كظهر غرابال مثلاً - وعلى مقربة من الأم ليكون بمنجاة من
الهولم والديب وماشاكلهما .

تفصيل الذكور :

لاشك بأن استقبال المولود الذكر بالهلاهل والزغاريد وخاصة
بالنسبة للعوائل المحرومة من اولاد ذكور ، يعتبر شيئاً مألوفاً سيما وان
في هذا بعض الدلالة على حسن خلاص الام من آلام المخاض وصعوبة الوضع .
ومن المؤلفات ايضاً عدم اخبار الام بنوع المولود الجديد . اذ لو جاء ذكرأ
فان انشراح الام اكثر من اللزوم - ومثل هذا الامر لابد وان يحصل -

يؤذي صحتها . اما لو كان المولود بنتاً فان اعلامها بذلك قد يزدها غصة على عصتها طالما انها لا تجهل الوضع الاجتماعي الذي يلفها والذي يعطي للمواليد الذكور المقام الاول في المجتمع لهذا ليس بدعة ان تقطب جبين الاب كذلك وهو يشاهد خليفته المنتظر ليس ذكراً . وقد لا نصدو الصواب اذا اوضحنا بان الاهتمام بالوليد الذكر ينال قسطاً كبيراً في حياة السكان الى درجة ان بعض رؤساء العشائر كانوا لا يتوانون عن تقبيل جبين أمة امرأة من عشائهم تلد مولوداً ذكراً . وما دمننا بصدد تفضيل الذكور على الاناث او التفريق بينهما على الاقل ، فيجب القول بان من العوامل الاخرى في هذا الميدان . . هو : الاعتقاد بان البنت من حظ بعلمها في المستقبل بمعنى انها وبفعل استقرارها في بيته هو في النهاية ، لا تستطيع ان تلعب دوراً ما في الحفاظ على كيان بيت أبيها في حالة وفاته بدون ان يخلف وراءه وريثاً ذكراً . وربما هذا ما يدفع الجمهور الى ان يكونوا الآباء باسماء الذكور محسوب . واذا ما جاء المولود بالبكر بنتاً فانهم يكونون الاب بها بصورة مؤقتة والى حين ارتزاقه باولاد ذكور فيكونونه باسم اول ذرية ذكر . الامر الذي يجعل الرغبة في المواليد الذكور ملحّة الى حد ان الام التي تنجب اكثر من بنت بدون ان يتخللهن شقيق ذكر ، فانها تضطر - والحالة هذه - الى تسمية أمة مولودة تبغي الام بان يكون ما بعدها ذكراً باسم (يازي) الدال على الكفاية او الاكتفاء بانجاب الاناث من المواليد . واعتقاداً بان مثل هذا الاسم - وهو ذو مغزى خاص - سيحيل المواليد القادمة الى ذكور . ولنفس الغرض تسمي بعض العوائل بناتها وخاصة بعد ازدياد عددهن باسماء تركمانية مثل (بيز) او (دورسون) أي يكفي اويازي . وقد تضيف عوائل أخرى الاسماء التركمانية الاخيرة الى أسماء عربية مثل (خديجة بيز) وهلم جرا . وليس من المستبعد اضافة كلمة (بيز) او (دورسون) الى اي اسم لعين الهدف . ومهما يكن الحال فان ائصال الخبر الى والد الطفل امر مفروغ منه مما يجعل مثل هذا الوالد يحكم المضطر الى تقديم هدية تناسب المقام الى من زف اليه بمثل هذه البشارة التي قد تتضاعف في حالة المولود الذكر . وعادة تكون الهدية قطعة قمّاش او مبلغ من النقود . .

الاهتمام بام المولود :

ان المرأة التي تنجو من عملية الولادة لا بد وان تفقد جزءاً كبيراً من حيويتها وصحتها لهذا يعمد ذووما الى تقديم الاكلات الدمينة اليها عادة عسى ان تعينها على اعادة صحتها وبناء جسمها المنهار . ومن الاطعمة المعتادة بمثل هذه المناسبة هي الحنينة (وهي عبارة عن بيض مطروق في تمر مقلي بالدهن) او معلق مشوي او فتية . ومن المألوف ان تقدم هذه المأكولات اليها من بيت زوجها او بيت ابيها وعادة يكون هؤلاء البادين

باطعامها في يومها الاول . ومن المعتاد ان يقدم في اليوم الثالث من ايام الولادة ذؤو الام عددا من أرغفة الخبز أو أي شيء آخر الى الفقراء بغية دفع القضاء والبلاء عنها وعن وليدها الجديد . وفي اليوم الخامس أو السابع من بدء الولادة تقوم الام بالاغتسال لكي تعود الى حياتها الاعتيادية ولو على مهل . وقد تشدها قريباتها من رأسها الى اخصص قدميها وبشكل محكم املا في ان تعاد اليها صحتها في القريب العاجل . والشئ الملاحظ هو ان يكون يوم الاغتسال فردياً وليس زوجياً سواء اكان في اليوم الخامس أو السابع أو غيرهما والسبب في ذلك دفعاً للشر الذي قد يذر قرنه في مثل هذه الاحوال من ان يصيب الام ووليدها معاً أي لكي تقتصر آثار الضرر على عدد فردي من العائلة . وبهذا المال يقول المثل التركماني (شر مكاليرسه تك مالمس) أي اذا كان لا مفر من الشر فليقتصر ضرره على فرد واحد فقط . وبهذا ينحصر في اقل عدد ممكن وعلى الاكثر في فرد واحد من العائلة . ومن المسائل الاساسية التي تعقب فترة الاغتسال ان يتولى ذؤو الطفل نحر ذبيحة خاصة عساها تكون قرباناً عن الام وطفلها ولكي يتألف الدم المسفوك من القربان مع الدم المسفوك من المرأة حين الولادة وبهذا ينتقل الشر عنها الى دم القربان الذي يكون قد فارق الحياة . وبطبيعة الحال يتم توزيع اللحم الى الفقراء والمعوذين . ومن هذه المسائل ايضاً ان يعمد ذؤو الطفل بعد الاغتسال الى وضع قطرات من روائح طيبة على ملاپسه لكي لا تؤثر عليه الروائح الكريهة ولكي يتعود على شم الروائح . وقبل تمام الاربعة يوماً من حياة الطفل تنتشر بعض العوائل كمية من ملح الطعام على جسم الطفل لغرض التقوية كما يظهر . وقد يتم خلط الملح بعد سحقه ناعماً مع ية من الدهن المائع لتدهين جسمه لان هذا يساعد على عدم ظهور خطر على جلديه ويديه .

انتقاء الاسماء :

قد تسبق هذه المرحلة عملية الولادة بايام وخاصة حينما يهيء البعض اسماً مختاراً للمواليد اما ايقاداً لمهد أو تمسكاً باسم طريف أو لتخليد ذكرى احد اقارب الاب او الام . . الخ . وقد تكون هذه المرحلة بعد عملية الولادة كما هو الشائع وهنا ايضاً يمكن ان تلعب نفس العوامل السابقة دورها الفعال في انتخاب الاسماء التي قد تتأثر بنوع الوقائع التي ترافق عملية الولادة . مثال ذلك : اذا ما اقترن مجيء مولود جديد مع احد الاعياد فان اطلاق كلمة (عيد) عليه بصورة منفردة او بالاقتران مع اسم آخر (محمد عيد) ليس بعيداً . او اذا ما تمت الولادة في يوم جمعة فان اصفاء اسم هذا اليوم على المولود الجديد لا يعد امرأ غريباً . او اذا ما جاء المولود الجديد في اعقاب مواليد عديدة بحيث ابتفى ذؤوه الكف عن الانجاب ففي هذه الحالة قد يكون اسم (بطال) هو المنتقى . هذا فضلاً

عن العوامل الاخرى التي تؤثر في هذا المضمار والتي اتينا الى ذكرها في
الفقرة السابقة .

ومن المتعارف عليه ، ان يتم اختيار الاسماء من قبل والد الطفل او
جده وخلال ثلاثة ايام ، وقبلما يكون اكثر او اقل . والغاية من مثل هذا
التكبير في اضافة الاسماء على المواليد الجدد ، هي ان الطفل - كأي انسان
آخر - معرض للوفاة وان المتوفى ينادى عليه في يوم القيامة باسمه فاذا
ما مات قبل ان يعين له اسم خاص به فان المناداة عليه تصبح في عداد
المستحيل . ومهما يكن الامر فان انتقال اسماء معينة في عوائل شتى ومن
السلف الى الخلف اصبح شيئاً مألوفاً ، كما ان تخليد الاب لاسمه هو وعن
طريق احد ابناءه لا يعدو امراً غريباً . ومع كل هذا فان الايمان بان :
(خير الاسماء ما حمد وعبد) امر لا يدانيه الشك مما يفسر سبب شيوع
اسماء : (محمد . احمد . حامد . محمود . عبدالله . عبدالرحيم .
عبدالرحمن) اكثر من غيرها ولو ان اتجاهاً جديداً في انتقاء الاسماء
الحديثة بدأ يلوح في الافق بشكل ملحوظ . ومما يجب عدم نسيانه بهذا
الخصوص هو ان البعض كان يتحمل مشاق السفر الى الموصل املاً في
المثور على اسم جديد يطلقه على مولوده الجديد . من هذا القبيل ما أتذكره
جيداً عن اسم (معاذ ، انصار ...) حيث تم اختيارهما من قبل البعض
في الموصل . ومن الملاحظ اخيراً ان الاسماء الشائعة في تلمر هي ذات
اصول عربية وتركمانية تبعاً لتأثيرات قومية ودينية وغيرها ..

الهدايا :

العلاقات الاجتماعية ، القرابة ، التضامن الاجتماعي في السراء
والضراء .. هي وغيرها عوامل اساسية تعمل على خلق عادة اللجوء الى
تقديم الهدايا في مختلف المناسبات وبين شتى العوائل والاشخاص .
والولادة باعتبارها من المناسبات التي تغفل البهجة والسرور الى نفوس
ذوي العلاقة ، تلتصق بالهدايا بشكل من الاشكال . فحينما ننعم عائلة
ما بمولود جديد تصبح هذه العائلة عرضة لتقاطر الهدايا اليها من الآل
والخلان كما تصبح عرضة لتقديم امثالها الى تلك العوائل التي سبقت وان
جملتها في نفس المجال . بمعنى آخر ان الهدايا التي تقدم في المناسبات
ما هي الا وجه من وجوه التضامن والتآزر الاجتماعي من جهة وشكل من
اشكال تطبيق المثل الشعبي القائل (كل شيء دين حتى دعوى العين) .

ان الهدايا المتعارف عليها في موضوع الولادات يمكن حصرها في تقديم
قطعة من قماش (ذراعين ، ثلاثة ، اربعة ...) الى المولود الجديد ومن النوع
الذي يلائمه سواء كان بنتاً ام ولداً . او تقديم مبلغ من المال (دينار واحد
او اقل او اكثر) الى والدته . او تلطيفه بحاجة ذهبية (خاتم ذهبي ...) او

اعطائه بدلة جاهزة او ارسال كمية من الطعام المطبوخ (برغل مع لحم عادة ٠٠) الى ذويه ويسمى (الانكاري) ومن المؤكد ان هذا النوع في طريقه الى الانقراض . او اعطاء الطفل اية هدية تناسب المقام وتتفق وامكانية من قدمها من الناحية المالية او من ناحية العلاقة بين اطرافها المختلفة . . وهكذا .

الختان - بكسر الخاء - هو الاسم من الفصل ختن ويدل على حرفة الخاتن ومهنته . ونفس الشيء تعني كلمة الختانة - بكسر الخاء كذلك - لهذا تستعمل هذه الكلمة كلما أريد الإشارة الى حرفة الخاتن لفرض التفريق بينها وبين كلمة الختان التي استخدمناها في عنوان الموضوع . وختن الشيء قطعة . وختن الصبي قطعة قلقتسه (بالضم والسكون والفتح)^(١) والختان أيضاً موضع القطع من الذكر . وقد تسمى الدعوى للختان ختانا^(٢) والقفلة جلدة عضو التناسل وجميعها قلسف (بالضم والفتح والسكون)^(٣) وقد يستخدم العوام كلمة (الطهور) بدلاً من كلمة الختان . وهذا ممّا لا غبرّ عليه طامناً ان الطهور يعني القنزعة عن النجاسة^(٤) وما دام القصد من اجراء الختان - وهو أمر ضروري في الاسلام - لفرض تطهير المختون وتنزيهه عن النجاسة . هذا فضلاً عن اهمية الختان الصحية مما دعا لانتشاره بين ملل غير اسلامية .

والختان بهذا المعنى واضح الاهمية لانه يتعلّق بالذكور قبل الاناث فحسب بل لانه يمثل مرحلة مهمة من مراحل حياة الصبيان ولانه يتعلّق كذلك باهم ناحية من نواحي وجودهم الاجتماعي تعني بها الاستعداد للزواج المنتظر . ويرتبط ايضاً باهم عضو من اعضاء الجسم بما له من دلالات خاصة تكون الرجولة من بين مفرداتها على كل حال . لهذا لا غرو ان احيط الختان بسياج من تقاليد شتى تستهدف في جملتها ابراز عنصر الابتهاج لدى العوائل التي يختن اولادها من جهة واطهار اهمية العلاقات الاجتماعية والتآزر العائلي في السراء والضراء من جهة ثانية .

والاساليب المتبعة في مجتمع تلعفر - كفره من المجتمعات - لاطهار السرور يمثل هذه المناسبة السعيدة تختلف باختلاف مواقع الاسر الاجتماعية ومركزها الطبقي والمالي وما الى ذلك . ومع هذا فان الامر يبدأ حينما يصل الصبي - أي صبي - الى سبع سنوات من عمره مثلاً فتتشأ لدى ذويه فكرة ختانه حتى يستقر الرأي عند اسلوب معين من اساليب اظهار الفرح ، ثم يتم الاتصال مع الخاتن المختص ويكون هذا عادة من السادة التجوليين الذين يفنون باعداد غفيرة الى تلعفر يمثل هذه المناسبات . وقبل عقود قليلة من الاعوام كان بعض الحلاقين الماهرة يقومون

بمثل هذه المهمة أحياناً كما كان عدد قليل من أبناء تلمذ بتباطونها بين الفنية والفنية مع انهم كانوا اقل خبرة من الاولين . ومهما يكن الحال فان به عملية الختان يكون في موسم الصيف لسهولة التئام الجروح وفي وقت الضحى او العصر على الاكثر حيث يتجمع الاهل والخلان بعد تحضير المكان المخصص وتنظيفه واكسائه بالفراش اللائق ثم يجلس الصبي الملقب تختينه - وقد ارتدى ثوباً نظيفاً وجديداً في الغالب - فوق مخدة عالية ، فيمسكه من رجليه ويديه وبشكل محكم ، والده او احد اقاربه او احد الذين يريدون ان يصبحوا له كريفاً .^(٥) بعد ان يباعد فيما بينهما ليسهل قطع قلفته ثم يملأ ثم الصبي بعدد من الحامض حلو والحكليت لالهائه لكي لا يشعر بالألم كما يطلب اليه النظر الى السماء لمين الهدف . وفي هذا الانتهاء يكون الختان قد حيا ما يلزمه من ادوات وادوية ومواد صحية فيبشر بقطع القلفة وهو يرفع صوته بالصلاة والسلام على النبي محمد(ص) فيردداه معه الآخرون فيمتزج صراخ الصبي مع هذا الصوت المرتفع فتنتهي بذلك العملية عن آخرها .

وقد يقرن مع الختان انشاد الملاحح النبوية والقصائد الدينية مع دق الدفوف بانغام شجية او ترافقها هلاهل وزغاريد النساء . وليس من المستبعد ان تقدم بهذه المناسبة بعض العوائل الى قراءة المولد النبوي الشريف او تقدم الى اقامة دبكة شعبية ليوم واحد عادة . ومن المتعارف عليه ان يتم تختين عدد من اولاد تربطهم صلة القربى او الجيرة او ما شاكل ذلك مرة واحدة ربما طلباً لتقليل المصاريف الى اقل حد ممكن او لتبرع احدهم بتحملها وحده لان البعض من عوائل هؤلاء ذوو امكانيات مادية ضئيلة او لاي سبب آخر .

وعلى كل حال يستمر الختان بمعالجة المختونين الى حين تماثلهم للشفاء خلال اسبوع واحد في الاغلب الاعم حيث ينفصح خلاله المختن بالمبلغ وهو لا يزيد في الوقت العاضر عن دينار واحد بينما كان في الماضي اقل من هذا القدر وانه يتجه - كما يبدو - نحو الصمود . وطيلة مدة المعالجة وحتى ما بعدها تقم الى المختون هدايا مناسبة من الاقارب والجيران وهي تقتصر عادة على اعطائه مبلغاً معيناً من الدراهم او شراء دشداشة او چاكيت او بدلة والنح . وكجزء من علاج سريع كان الصبيان المختونين يصفون أثناء اشتداد الحر الى دفن اعضائهم المختونة في تراب ناعم احمر - او من نوع الحلان الاحمر - لهذا كانوا ينتشرون يومياً وفي عدد من المرات في الازقة والطرق لهذه الغاية وفعلاً كانت جهودهم لا تذهب هدراً لأن حرارة الشمس القوية تطهر التراب من الميكروبات فيصبح لهذا صالحاً للتعميم .

ومن التعارف عليه في الوقت الحالي هو الختان الجماعي في المستشفى الحكومي وعادة تقتصر هذه المناسبة بمناسبة مرور ذكرى ثورة تصوز ١٩٥٨ . بمعنى آخر ان هذه الظاهرة حديثة العهد وذات اصل جمهوري استحدثت خصيصاً لختان الاطفال الفقراء . ومن الظواهر المستحدثة كذلك هي : الميل الى ختان الاطفال منذ الصغر أي بعكس الحالة فيما مضى حيث كان المختون يتجاوز سن الصبا عادة لهذا لم يكن يصعب عليه تذكر ما جرى له في حينه . ومن المعتقدات الشعبية الطريفة وذات العلاقة بموضوع الختان ، الايمان بان المرأة التي لا تحبل اذا اغتسلت لثلاث مرات بماء نقعت فيه عدداً من قلف المختونين فانها سرعان ما تحبل لهذا فان النساء قد تصمد الى حفظ هذه القلف بعد تلميحها بقصد استعمالها لهذه الغاية وحين الحاجة .

بعد هذا نعود الى الكريف متساثلين : من هو الكريف ؟ وما هو مصدر هذه اللفظة ؟ وما هي العلاقة الجديدة التي تنشأ بين المختون الكريف وبالتالي بين هذا الاخير وبين ذوي المختونين ؟

قبل الاجابة على هذه الاسئلة ونظائرها لا بد من كلمات قليلة نوضح فيها بان منشأ هذه اللفظة في اعتقادنا هو اللغة اليزيدية التي تنتشر في جبل سنجار حيث تتواجد الطائفة اليزيدية لهذا يمكن القول بان هذه المنطقة هي المصدر الحقيقي لهذه الكلمة سيما وان اليزيدية يختنون اطفالهم على غرار صبيان المسلمين (١) والكريف هو الشخص الذي يتولى مسك المختون من رجليه ويديه بشكل محكم لكي لا يمكنه من القيام بآية حركة قد تضره وهو تحت مبطع الخائن كما رأينا . لهذا فانه قد يكون من القارب المختون او من اصدقاء ذويهم ومعارفهم الحميمين فيتبرع للقيام بمثل هذه المهمة مع تحمل تبعاتها . والاعتقاد الشائع بان بذات الكريف تكون من محرمات المختون فلا يصح له الزواج منهن طالما ان دمه قد سكب اثناء الختان على ملابس ابهين . بمعنى آخر ان اختلاط دم المختون مع دم الكريف ينفي بين الاثنين قرابة قوية كذلك التي تكون بين الاخ واخته مما يمنع الزواج بينهما الامر الذي يصبح سبباً لنشوء علاقة جديدة بين عائلة الكريف وبين عائلة المختون تصل احياناً الى مرتبة علاقة الاقارب مع بعضهما البعض بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى .

ومن التبعات التي تلقى على عاتق الكريف لهذا السبب ، تقديم هدية تليق بمقام المختون وعائلته وتناسب المركز المالي للطرفين . تتكون هذه الهدية عادة من بدلة او دشداشة او جاكيت او ساعة يدوية او أي شيء آخر . وبالمقابل يقع على عاتق ذوي المختون تقديم هدية مناسبة الى الكريف وتكون عادة عباءة رجالية او بدلة او ما شاكلهما .

الوفاة

الموت ربح عاتية لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر تحرق الاخضر واليابس
ولا تفرق بين ظالم ومظلوم ، طفل وشيخ ، رجل وامرأة .. فتحيل من
تصيبهم يرذاذها الى شخوص ذاهلين . تلف نفوسهم نكسة ما بعدها
نكسة وتجعل المرء يعيد التفكير في الحياة مرار ومرات وهو يكفر بما
درج عليه من نظرة كادت ان تكون ابدية ولكنها سرعان ما تصبح سراباً
خادعاً تدرره الرياح .

إذا كان هذا هو حال الإنسان - أي إنسان - وهو قد ابتلي بصدمة
عنيفة نتيجة فقد عزيز عليه . فهل من الغرابة وقد لفه مثل هذا الكابوس
المزعج ان آمن بآراء وافكار وما يدها هو نفسه من سقط المتاع وهو
في حالته السوية ؟ وهل من عجب ان اتى مثل هذا المرء - وهو في مثل
هذه اللحظات النفسية الحرجة - بتصرفات لا تأتلف والمنطق العلمي
الصحيح ولا يرضى هو نفسه بها في حالة استعمال البصيرة قبل العاطفة ،
او حينما يجعل الاولى تتحكم في رقاب الثانية ؟

من هنا يمكن تفسير انجرار البعض وراء كل ما يتصل بالوفاة من
تقاليد وطقوس بحيث لا يالو جهداً على تنفيذها كلا أو جلا أو بعضاً
وكأنها مسلمات بديهية لا تقبل التأويل او البطلان . ومن هنا يمكن
توضيح الدواعي الاجتماعية ، النفسية .. لظهور الحاجة الى اقامة المآتم .
ومن هنا يمكن أيضاً تشخيص ماهية الرعب التي تلقىها الوفاة في عقول
سكان تلغفر الى حد الانقياد وراء كل ما يتصل بها من قريب او بعيد بحيث
نحدا التهييب من ذكرها الا اضطراباً هو السمة الغالبة . ومع هذا
وكوسيلة لاتقاء شرها يمهّد أي متكلم الى ذلك بقوله : (خضر حاضي)
أي ان خضر ذلك الشخص الكلي القدرة حاضر لحراسة المتحدث ومن
معه عن طائفة الموت . كما وصل الامر الى درجة عقد المنظومات لشرح
مكونات الوفاة ومختلف الواجه المتعلقة بها ، او للتذكير بكل ما جرياتها
سيان عن طريق الامثال الشعبية او من خلال الروايد الشتى للفكر والادب
الشعبيين . ومن المنظومات الشائعة بهذا الصدد قول احدهم :

يا دين اولود نولوم گلير گل تسليم اول اول اوغلي
عزراييل كوسكيدة دورود جان تسليم ايت ادم اوغل

ومعناها بالعربية : -

غداً ستحل بك الوفاة يا ابن آدم فاسلم الروح
وسيقف عزرائيل على صدرك فاسلم اليه يا ابن آدم الروح

ثم تمضي هذه المنظومة وفي البيتين التاليين الى تبيان بعض المعتقدات الشائعة عن الحياة الآخرة وكيف ان يدي الانسان ورجليه ستشهد عليه حينذاك فتظهر بنتيجتها كل موبقاته فتمرضه لتجرع شراب خاص يسمى (الزهرير) مع انه مر المذاق وجهنمي «التاثير» وهذان هما البيتان :-

شاهد اولود نعلي قيجي اونده بيلينر هي صوجي
ديرلر زهريرس إيجي كل ايجابل آدم اوغلي

اذا كان هذا هو شبح الموت المخيف فما هو التفسير الشعبي الذي يتمسك به ابناء تلمعر تلقاه ؟ وماهي المراسيم التي تتبع في هذا الخصوص وغيره يا ترى ؟

التفسير الشعبي للوفاة : -

لا ينكر بان الناس - كل الناس - في تلمعر يؤمنون بان الموت حق (تولوم حقين) وانه النهاية الطبيعية لكل كائن حي ، وان هذه النهاية قد حدثت منذ الازل وبصورة حتمية مصداقاً لقوله تعالى : (كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام) و (كل نفس ذائقة الموت ٠٠) و (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (٧) لهذا يكتنفهم اعتقاد شعبي يؤمن بان اللوفاة بعض الدلائل المنظورة وغير المنظورة . فمثلاً اذا ما خرّ نجم في السماء فهذا يعني بان مخلوقاً بشرياً قد لقي حتفه . كما يسود الاعتقاد القائل بان لكل انسان ورقة تستقر على شجرة الحياة المثبتة في عرش الرحمان فاذا ما انتهى عمره في هذه الدنيا الفانية وانقطع عنها رزقه فلا بد من ان تصفر تلك الورقة ثم تسقط محدثة حفيفاً لا يختلف عن حفيف الاوراق الاعتيادية فتسند بذلك باب رزقه الى الابد ، وفي نفس اللحظة ينطفيء سراج حياته فتنتقل روحه الى العالم اللدائي حيث يسعد الاخيار ويشقى الاشرا . هذا يعني بكيفية ما بان حضور عزرائيل (ملك الموت) لقبض الارواح البشرية اثناء الوفاة وبموجب هذا المنظار ما هو الا مسألة رمزية طالما ان ترتب علل الوفاة بشكل معين لا بد وان يؤدي الى نتيجة متوقعة . ولكن الايمان بان (لكل شيء سبب) هو الذي اعطى لعزرائيل مثل هذا الدور الحيوي المخيف في مصير الخلاق . ومع هذا هناك من يتصور بان المتوفى يصاب في بداية الامر في حالة من الذهول التام يجعله جاهلاً لحقيقة وضعه فيعتقد بان المقبوض على روحه هو شخص آخر غيره . ولما يواجهه المكان الموكلان بالسؤال عن ربه ونبيه ودينه . . أي المتكر والتكر ، يحاول الجلوس فيرتطم رأسه باحجار اللحد فيرجع الى سكونه المطبق .

ومهما يكن الحال فان الميت يلتقي عليه غطاء ما عادة ثم يتلقف الناس خبره ، فيردد كل واحد منهم وبرطاناته التركمانية قوله (واثم الله) أي (ان

الله هو الدائم) ثم يتوارد الاقارب والجيران .. الى مصدر الخبر للمساهمة في عدة مجالات . اذ يجوس بعض الحاضرين من الجوامع والمساجد بحثاً عن تابوت يتبرع به وبأمثاله أهل الاحسان سداً لحاجة عامة تقف ازامها دائرة البلدية عاجزة لا تقوى على شيء . خصوصاً وان السكان لم يتعودوا لحد الآن على الدفن بمسنديق خشبية الا نادراً . ومن الحاضرين من ينشغل بتهيئة الكفن او بسماع آيات بينات او يتولى التوجيه والارشاد في كل ما يتعلق بالمصاب الاليم .

وللفترة التي تقع فيها الوفاة أهمية عظيمة بالنسبة للميت وذويه . لان الله يتجلى على عباده في أيام رمضان ولا سيما ليالي القدر وكذلك ليالي الاعياد الدينية والمناسبات الدينية وفيما بين وقت العصر من كل خميس أي ليلة الجمعة لهذا فان من يتوفى في هذه الاوقات سوف تصيبه شأبيب الرحمة والرضوان . ولكن قد يموت بعضهم في غير هذه المواعيد فيرغب ذووه الى ربط زمن وفاته باقرب جمعة تليه فيستميئون لهذا بعدد من المالكي يتناوبون ليلاً ونهاراً ويجاور يتفق عليها ، في قراءة القرآن الكريم اعتباراً من ساعة الوفاة وحتى حلول عصر الخميس الذي يليها ، فيعلق بهذا زمن الوفاة يكتف يوم الجمعة .

الفصل :

سواء اكان الفصل من المالكي او من غيرهم وسيان ان قام بعمله تبرعاً او لقاء اجر معين .. فانه وقبل المباشرة لابد وان يخفي كلتا يديه بكيس صغير يخاط من نفس قماش الكفن . ثم يتماون مع الآخرين حينما يوضع الميت على محل مرتفع نسبياً (كالسرير مثلاً ..) تسهيلاً لتسرب المياه خلال عملية الفصل حيث يوضأ الميت في بداية الامر ولكن من دون مضمضة او استنشاق . ثم يجري تنظيف الرأس وما يليه من اعضاء الجسم . والمادة المستعملة في التنظيف هي الصابون بينما كان يعوض عنه في الماضي بالكيل أي (طين خاوه) وبمسد الانتهاء يرش على الجثمان مقدار من ماء مخلوط بالآس او السدر او الشنان .. كما ترش عليه كمية من ماء زمزم يجلب من الحج خصيصاً لمثل هذه الغاية . بعد هذا ينشف الميت ويكفن حسب الاصول . وقبل الفراغ من هذه الفقرة لا مندوحة من القول بان من المستحب ان يفصل كل واحد في حياته ولو ميتاً واحداً على اقل تقدير . وان من المعتاد ان يضاء مكان الفصل ثلاث ليالي متتالية او أكثر لان طيف الميت لا ينفك عن زيارة مثل هذا المكان كما انه قد يزور داره في غير هذا الوقت فيحدث خلالها صوتاً يشبه الازين النحل لهذا قد يعتقد البعض بانه رأى ذلك الطيف او سمع صوته فيضطر ذوو الميت - والحالة هذه - الى عدم قطع الانارة عن الدار لمدة ايام عساها تصبح للطيف دليلاً اثناء تجواله فيها .

بعد تمام التكفين توضع الجثة في تابوت خشبي يفرش فيه جاجيم احمر يطوى عدة طيات ويغطي بإكملة بجاجيم آخر احمر اللون كذلك الامر الذي جعل البعض يتطهرون من مثل هذا الجاجيم وربما يمنعون انفسهم من الانتفاع عنه مع حاجتهم القصوى اليه احياناً ، والذي يبدو لي بان شيوع امر الجاجيم الاحمر على هذا النحو يعود في واقعه الى انه كان ولا يزال من أكثر أنواع الافرشة استعمالاً في تلغفر والدافس للاعتماد على مثل هذا البساط في داخل التابوت هو لمنع الجنان من الحركة يميناً ويساراً او خوفاً من دعوة الميت الآخرين للحاق به ولاسيما من اقاربه .

ومن المألوف ان يكون الكفن من قماش ناصع البياض ربما انقياداً لقوله - ص - : (اليسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم) (٨) او لانه رمز الطهارة والصفاء . ومع هذا لا يمنع في تلغفر من تشاسم من مثل هذا اللون باعتباره يرمز الى لون الكفن .

يتألف الكفن في الوقت الحاضر من ثلاث قطع منفصلة . الازار وهو عبارة عن ثوب قصير يغطي اسفل الجسم الى حد النصر . والقميمص (آخرت كوشنكي) اي (ثوب الآخرة) وهو ثوب كامل يغطي اكثر أنحاء الجسم ويثبت على الرقبة بواسطة شق يشبه الياخيات الاعتيادية ، واللغافة وتستعمل كغطاء لما يلي الرقبة صعوداً وتكون بطول يكفي لربطها مع الثوب الاساس . تثبت هذه الاجزاء مع بعضها البعض عن طريق ثلاثة مشدات طويلة تقتطع من نفس قماش الكفن . يقعد اولها فيما يلي القدمين من الاسفل ويشد الثاني من وسط الجسم ويربط الاخير بصورة تلامس قمة الرأس هذا وان الوظيفة الاساسية لهذه المشدات هي لحفظ اجزاء الكفن من الانزلاق من على الجسم لان معانة الميت غير مستحبة اصلاً . كما قد تسهل هذه المشدات حمل الجثة سواء اثناء وضعها في التابوت او حين اخراجها منه او في حالة انزلها في القبر . واخيراً لقد اعتاد البعض على تحضير اكفانهم وهم احياء يرزقون ، بينما يجلبها غيرهم من مكة اثناء الحج بعد غسلها بماء زمزم تيمناً وتبركاً به ولان ذلك ادعى لوقاية من يكفن بها من نار جهنم .

التشييع :

يبدأ التشييع برفع التابوت من على الارض مع ترديد عبارة (يو الله يو) اي (واحد الله واحد) لثلاث مرات وفي الرابعة يرفعه الحاضرون على الاكتاف ليسيروا به مسرعين ولكن دون الجنب لان سرعة مولاة الاموات من الواجبات الدينية المشهورة .

يختلف نوع التشييع تبعاً لاختلاف الحالة التي ترافقه . ففي أكثر الاحوال يلتصق بالتشييع صراخ وبكاء كما سنرى في حالة كون المتوفى شاباً أعزب فإنه قد يودع بالهلال والزغاريد لكونه حرم منها في حياته ولهذا فقد تخضب كلتا يديه بالحناء ايضاً واما اذا كان المتوفى من متسبي الطرق الصوفية فإنه يشيع بموكب ديني يتخلله دق الدفوف ورفع الاعلام وانشاد المدايح النبوية . وربما لا يحدث اي شيء من هذا القبيل .

وعلى كل حال وبعد ابتعاد الجنازة عن الدار يرمي بعض من فيها وخاصة من النساء ثلاثة احجار بغية قطع كل علاقة بالميت حتى لا يبقى بانتظار من سيقبه من ابناء بيته . وبعد الوصول الى المقبرة يلقى التابوت على الارض فيؤم الامام الموجودين بصلاة تسمى (صلاة الجنازة) ثم تستمر قراءة القرآن الكريم لحين الانتهاء من حفر القبر .

ومن قواعد التشييع المعروفة ، تناوب الحاضرين على حمل التابوت لانه يكون ثقيلاً اكثر من المعتاد اولاً ولنيل الثواب ثانياً ولهذا ايضاً لابد من الاشتراك في التشييع ولو لخطوات قليلة . واخيراً يجب ان لا ننسى بان سكان تلعفر لم يتعودوا بعد على حمل المتوفى الى المقابر باستخدام السيارات ربما لقربها من البيوت او لتخللها محلات السكن في بعض الاحيان

القبر والدفن :

لافتقار تلعفر الى اولئك الذين يمتنون صنعة (حفر القبور) لقاء اجر معلوم فان مثل هذا العبء يقع على عاتق الحاضرين فيقوم بعضهم بحفر قبر يكون مستطيل الشكل ويطول وعرض يقارب طول وعرض الميت نفسه واما عمقه فقد يصل الى المترين تقريباً . ثم يلحق به ومن جهاته الاربع لحد يمنع الاحجار التي ترصف عليه من الخسف .

وبعد تسوية التربة الداخلية والخارجية يضع البعض التابوت على حافة القبر وهم يكررون عبارة (واحد الله واحد) كالسابق ثم يتناول احدهم - وهو في داخل القبر - الميت ومما يلي القبلة ولسان حاله يقول : (بسم الله وعلى ملة رسول الله .)^(٩) والمعتاد ان يكون رأس الميت - حين تمديده - الى جهة الغرب ويكون وجهه نحو القبلة ثم يجري حل عقد المشنكات ايماناً بان بقاءها كما هي تعميق المتوفى حينما يحاول الجلوس اثر حضور المنكر والنكير اليه لاستجوابه وهو لما يزل يسمع اصوات اقدام الاحياء الذين تركوه وحيداً فريداً . ولان لذلك علاقة بالانتفاخ الذي سيصيب الجسد بفعل التفسخ . بعد هذا تصف على اللحد احجار كبيرة تسمى كل واحدة منها . بـ (كوسك طاشي) أي حجر الصدر الذي قد يبتاع من بعض الحجارين خصيصاً لمثل هذه الغاية ولقاء اجور نقدية .

ثم تسد كافة المنافذ الموصلة الى الداخل منعاً لنزول الاتربة ثم يجري وبواسطة الجص او الطين ، تثبيت شاعدين من الحجر عند رأس الميتم وعند قنفيه ان كان المتوفي ذكراً • وشاهد واحد عند الرأس فقط ان كان انثى • والغاية من ذلك - كما يظهر - هي لسهولة التفريق بين قبر الذكر وقبر الاناث • ومن الملاحظ ان الشاهد الذي يوضع من جهة الغرب أي عند الرأس ويسمى بالتركماني (باش طاشي) يكون أطول من الشاهد الذي يكون من جهة الشرق أي عند القدمين والذي يطلق عليه اسم (كيج طاشي) والسبب في هذا هو سهولة التمييز بين موضع الرأس ومكان الاقدام • بعد هذا ترصف الاتربة فوق القبر على حياة سنّام البعير لأن تسطيحه او تربيته امران منهيان عنهما • ثم يتصرف الحاضرون تدريجياً وكان على رؤوسهم الطير • واخيراً ومع ان للقبر رغبة وحرمة عظيمتين لانه يعتبر اولى منازل الآخرة ان سعد الميتم فيه سعد فيها وان عذب فيه عذب فيها كذلك ، فليس من المستبعد انزال أي ميت في قبر قديم دفن فيه آخرون بشرط ان تمضي مدة (٣٦) سنة على آخر مرة تم فيها الدفن وعلى أن ينزل الرجل في قبر الرجال والمرأة في قبر النساء ولا عكس مطلقاً • وبطبيعة الحال ان اللجوء الى مثل هذا العمل لا يحدث الا قليلاً وخاصة حينما لا تساعد ارض المقبرة بسبب الصخور او التناة على الحفر • او تكون الظروف المناخية قاسية تمنع من ذلك •• كما ليس من المستبعد بناء القبور بالجص او تسييجها بالمرمر او تزيينه بقطع مستطيلة من الثيل الأخضر •••

مجالس الفاتحة - ياس :

بعد الفراغ من الدفن يجري الاستعداد لاقامة الفاتحة في دور السكن سواء في دار المتوفي نفسه او في دار احد اقاربه • اذ تنعدم في تلمقر عادة الاستعانة بالجوامع والمساجد لاقامة المآتم • والمدة المتعارف عليها لهذه الفاتحة لا تتجاوز الثلاثة ايام يشترك فيها الرجال والنساء كلاً على افراد لهذا تختلف ماهية الفاتحة عند الرجال عنها عند النساء من بعض الوجوه مما دفعنا الى بحث كل منهما بفقرة مستقلة :-

١ - مجالس الفاتحة للرجال وآداب الحضور فيها :

تتصف مجالس المآتم بتقديم السيكاير والقهوة المرة الى الحضور الذين لا بد وان يستمتعوا بآيات من القرآن الكريم يرتلها بعض الملالسي طيلة ايام الفاتحة سيان باجرة نقدية او تبرعاً وهذا هو الشائع الآن • وفي الآونة الاخيرة انجرّ البعض الى استعمال السماعات لهذه الغاية وريما

أبهر أفراد معينون الى الانتفاع من المسجلات كذلك . ومن المألوف ان يخلل المآثم موعظة حسنة او ارشاد ديني او تفسير بعض الآيات . . .
تلقى بين الفينة والفينة وخاصة حين فترة انقطاع الترتيل . واذا ما صادف وان حل موعد القداء فلا بد من ان يقدم الى الحاضرين وحتى الحاضرات في مجلس النساء طعام يرسله الاقارب والاصدقاء والجيران . . . على شكل مناسف قد يتشاءم البعض من ذكرها لالتصاقها بالقوانح حصراً . وكل منسف يصل لهذا السبب يسجل حسب الاصول وكذلك يدون كل ما يجلبه المعزون معهم من الذبائح والسكريا واكياس التمن والسكر . .
بنية مقابلة اصحابها بالمثل وقت الحاجة . وللحضور في القوانح آداب خاصة يجب مراعاتها والتقيد بها . فيعد ان يدخل المزمي الى المجلس يبادر الجالسين بالسلام او بقوله : (يرحمكم الله) ان صادف قراءة القرآن فيستقبله الحاضرون بالترحاب ثم يجلس استعداداً لقراءة سورة الصمد في الخفاء ولثلاث مرات ليقول بعدها ويصوت جهراً : (الفاتحة) فيقرأ الحضور وفي الخفاء كذلك سورة (الفاتحة) ثم يمسحون وجوههم بأيديهم وهم يقولون : (بزمه سزوه جميع امت محمد) أي (لنا ولكم ولجميع امة محمد) والغاية من قراءة سورة الصمد لثلاث مرات هي لان ذلك يمد بمثابة ختم كامل للقرآن الكريم وفي هذا ما فيه من ثواب للميت وغيره .
ثم تقدم اليه السكريا والقهوة . وحينما ينوي ترك المجلس يصيد قبول كلمة (الفاتحة) فيعيد الجميع القراءة على النحو السالف ثم يغادر المكان وهو يقدم التعزية الى المسؤول عن استلامها بقوله : (جاني صاغ اولسون) أي (البقاء لحياتك) او بآية صيغة مقبولة . ومن المعروف ان يسود الصمت والسكون مجالس الفاتحة الى درجة يضرب بها المثل : (هل نحن في مجلس العزاء) أي (عجياً بزم ياصده اوتر مشوخ . .) . ولا ننسى بان لكل قاعدة شواذ وهكذا أمر المآثم .

مجالس الفاتحة عند النساء :

مع ان أساس مجالس الفاتحة واحد سواء عند الرجال او عند النساء فان المجالس الخاصة بالاخيرات تمتاز بمظاهر خاصة يكون العويل والصراخ والنحيب ولطم الخدود وشق الجيوب . . وما الى ذلك في مقدمة تلك المظاهر . كما يكون الاتيان بكل ما يهيج النفوس ويزيد الشجون من المسائل المألوفة سيما وان المعدادات والتواحات يكون لهن ابرز الادوار في كل ما تقدم وذلك عن طريق الاشادة بمحاسن الميت واطهار مآثره وبطولاته . ومن اقوالهن المتداولة في هذا المضمار وصف الميت بانه كان يشعل النار في عين الحية (ايلان موؤيته اود صلان) وان سيفه كان يقسم الجبل شطرين اثنين (قليجي داغلادي بولان) وان بابه كانت مفتوحة وسفرته دائمة (قاييسي آجوخ سراسي دايم اولان) . . . وعلجرا .

(قاييسي آجوخ سلفراسي فايم اولان)

كما يردد قسم من الصلوات مقاطع من اغاني وخويرات بالمناسبة منها : -

اغماكلسن

اغما يولانغا كلسن

اغالار سوز ويرديلا

فلان يولانغا كلسن

ومناها بالعربية : -

لياتي الاغا

لياتي الاغا الى الينبوع

لقد اتلق الالحوات

بان ياتي فلان الى الينبوع

(طبعا يذكر اسم الميت بدلا من كلمة فلان)

ومن هذه الاغاني ايضا : -

كلكم اختي نيلم

بقناعة باختي نيلم

بن سزدهن آيريلمادم

قسمتم قاختي نيلم

وترجمتها : -

لقد جرت سفينتي

وهي تنظر الى بقناعة

لم اكن ادعى بفرانكم

ولكن هكذا كانت قسمتي

ومن هذه المنظومات كذلك : -

اوغلان اوغلان

نه گوژل اوغلان

اوغلا وروور ييلينه

خنچر نهكند

قوللارم سنه ياستوغ

سهچلرم سنه يوزغان

ومناها بالعربي : -

ايها الشاب ..

ايها الشاب الجميل

في جنبه المسلس
ولي يده الغنجر
لتكن يفاي مغدتك
وليكن شعري غطاك

ومن هذه الخويرات اخيرا : -

سورمه بني
جك كوزه سورمه بني
قاييده قول بايللم
كوشكيده سورمه بني

وهذه تعني : -

لاندفعني
اجعلني كحلا في عيتيك
ساكون عبدا في بابك
فلا تدفعني بصدوك

واكثر ما يكون اهتمام النساء بالنعيب وضرب النفس .. حين اخراج المتوفى من داره او حينما تقدم جماعات نسائية جديدة وخاصة من اماكن بعيدة او من المحلات الاخرى فتنساق وراء التقاليد محدثة صراخا وعويلا وهياجاً .. تستقبل بما يماثلها من العاضرات فترتفع صيحاتهن الى عنان السماء . ومن قواعد اللطم المروفة ، ان ترأقب ذوات المييت النساء او تفريح راسها .. منزلة مرموقة ودين اكبر على عواتق ذوات المييت من الواجب اداؤها في المستقبل وبنفس الصورة . ومن هذه القواعد ايضا وجوب اشارة المدادة الى اموات النساء الموجودات واحداً واحداً وخاصة تلك اللاتي قدمن على التو ، وبهذا تشترك كل العاضرات في البكاء والنحيب اذ تذكر كل واحدة منهن المصائب التي حلت بها حينما فقت احد اقاربها لهذا قيل في الامثال التركمانية (هر كسي قولوسي ايجون ييقلار) اي ان كل امرأة تنكي في الغزاء من اجل موتها . وقد يكون اللطم فرادى او بشكل جماعي توجهه النواحات وبعض الملايات بما يقلنه من كلام يناسب المقام . وليس من العجب ان تلبس بعض قريبات المتوفى شيئاً من متروكاته من الملابس كالمقال او العباة .. اثناء اللطم فيزيده في النار حطبا . وليس من العجب ايضا ان اشترك بعض اقارب المييت من الذكور في اللطم والنواح كذلك سيما حينما يكون فقيدهم من المشهودين لهم بالدور الاول في الحياة من كل النواحي او من الذين اصابتهم مظلمة ما وهم ليسوا من اهلها او لدواعي اخرى كثيرة .

ومن المتعارف عليه ان تكون ملابس النساء في المآتم مجللة بالسواد او بالالوان القاتمة على اقل تقدير ، حداداً على الميت . المدة التي تراسق الحداد قد تدمم لاسبوع او اشهر وربما لمدة تناهز الثلاث سنوات وفي احيان نادرة تصل الى اكثر من ذلك . اما وفاء لنذر قطمته قريبات الميت على انفسهن وهن تحت سياط العاطفة او لاي واقع آخر . وليس من الغريب ان انجر بعض الرجال الى التمسك بمثل هذا التقليد او ماشابهه لعمول تبدو لهم وجيهة في حينه . فمثلاً لقد اقدم البعض على تلويص الاجذية الحمراء بالسواد حداداً على وفاة عزيز ترك فراغاً كبيراً بعد وفاته في اعقاب الفاتحة :

من المؤكد ان انتهاء امد الفاتحة لا يقطع العلاقة ما بين الميت وذويه . فقد ياتي هؤلاء بالكثير من التصرفات الدالة على الاعتزاز بفقيدهم من جهة وعلى مبلغ تآثرهم بالمصاب الجلل من جهة اخرى . من هذه التصرفات الاحتفاظ ببعض آثار المتوفي وذلك بعد غسلها بالضرورة او التصديق بمخلفاته او استقبال ايام الجمع والمناسبات بتوزيع الطعام الى المعوزين او قراءة القرآن الكريم بالقرب منه او تقسيم الكليجة باسمه في الاعياد ... الخ . فضلاً عن كل هذا ، من الواجب على ذوي الميت - بفعل المعتقدات الشعبية - نحر ذبيحة بعد اليوم الثالث من الوفاة شريطة حضور الفسأل كذلك . لأن قم الميت يظل مفتوحاً الى حد هذا التاريخ فيكون سده عن هذا السبيل . كما تقوم احدى قريبات المتوفى النشيطات في اليوم الخامس من الوفاة ، بالدوران حول قبر ذويه لثلاث مرات وهي تحمل معها كمية من الكليجة ثم تسال النساء الموجودات معها : -

أي (هل رضيتم من هذا الميت) فيجبن : ان (بو تولودهن راضي اولديني)
نعم رضيينا عنه فتقوم بعد ذلك بتوزيع الكليجة عليهن حسب الاصول .

مع كل ما تقدم يبقى شبح الميت يلاحق ذويه الى حين حلول اول عيد يعقب الوفاة حيث يجدد تقديم التعازي الى هؤلاء مع ان في هذا ما يناقض التعاليم الدينية السائدة ومع ان الفرق بين الوفاة وبين اول عيد يعقبها قد يصل الى اكثر من تسعة اشهر في العديد من الاحيان ومع ان في مثل هذه العدة - وقد اخذت تتسع اكثر من السابق - ما يجدد الآلام ويثير الاشجان بدون مسوغ اجتماعي او ميرر ديني .

على كل حال وعقب مرور هذه المدد يكون الميت خبيراً من الاخبار وان بقت ذكراه تلاحق الاقارب والاصدقاء الى مدى اطول .

تفسيرات ختامية على الهامش :

من الملاحظ ان اكثر المايجريات التي تتعلق بالوفاة تجد اساسها في ثنائيا المدرجات الدينية . ولعل في هذا بعض الدلالة او كلها على كون المرء حينما يواجه مثل هذه المصائب والافاز التي لا قبل له على ردها او تفسير معناها ، يضطر والحالة هذه للرجوع الى كنف الدين عساه يجد فيه مخرجاً لبعض ما يعانيه او مسلماً يتصرف على ضوئه ووفق ما يشعر به . سيما وان هذا المسلك قد وجد استقراره في اوساط الشعب لتقدم الزمان عليه ولانه من صميم الدين كذلك . ولعل من هذا المنطلق يمكن تفسير ظاهرة اجتماعية مهمة تتصل بالوفاة اتصالاً وثيقاً تعني بها اقامة الفوائح واقتنائها بترتيل القرآن الكريم حتى اذا ما كان المتوفي لا يهتم بمثل هذا الكتاب المقدس . وقد يجابوب البعض بان التمسك بمثل هذا التقليد يعود في رسه الى ماقد اعتاد عليه المجتمع من قيم مألوفة ، فنقول : اجل ولكن اليس في التمسك بمثل هذه القيم اعتراف صريح او ضمني بمسا لها من دور فعال يحدث اثرأ بليفاً في حياة المجتمع وبالتالي يعد تركها من المحال على الاقل في الوقت الحاضر ١٩.

هوامش

- (١) المنجد في اللغة والادب والعلوم - لويس معلوف . الطبعة ١٩ الطبعة الكاتوليكية بيروت .
- (٢) المختار من صحاح اللغة . مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- (٣) المنجد . المصدر السابق .
- (٤) المصدرين السابقين .
- (٥) الكريف - بالاء . الثلاثة المخللة .
- (٦) التراث الشعبي - العدد الحادي عشر السنة الثالثة ١٩٧٢ - عبد الشيطان - ترجمة سعدي يوسف .
- (٧) القرآن الكريم .
- (٨) رايض الصالحين لمحي الدين النووي .
- (٩) الهداية شرح بداية المبتدي - لبرهان الدين الرغاني ج ١ . مد . مصطفى الباسبي الحلبي - مصر .

استنزال المطر عند الاكراد

نوري ياسين هرزاني

ان معظم المناطق التي يسكنها الاكراد هي ارض ديمية تعتمد الزراعة فيها بالدرجة الاولى على نسبة الامطار السنوية وان قلة سقوطها أو تذبذب أوقاتها يؤثر في كمية انتاجهم الزراعي ومن ثم في طبيعة الحياة الاجتماعية لسكان المنطقة التي بدورها تؤدي بهم الى ممارسة بعض الطقوس الدينية ذلك ايماناً منهم بان ممارستها تسبب سقوط الامطار.

ان هذه الفعالية الطقوسية تمارس في مناطق مختلفة ضمن المجتمعات الكردية، لكن لكل منطقة تسميتها الخاصة، فمثلا بعض المناطق تسمى ،، بويوكه به بارانه ،، اي عروس المطر، او(خيريه به بارانه) اي الخير لاستنزال المطر وفي مناطق اخرى تسمى (كوسه به بارانه) جميع هذه المصطلحات تؤدي المعنى نفسه وتمارس من اجل هدف معين هو الاستسقاء.

ان ممارسة هذا الطقس تتم، بان تجتمع مجموعة من شبان احدى قراهم ويتنكر احدهم بملابس نسائية، باعتباره انه يمثل عروسا واخر هو(كوسه) يقوم بصبغ وجهه وتخطيط لحية وشلوب على اوجهم وذلك باستعمال سخام القدور(هيس)، فان صبغ الوجه باللون الاسود يعني ان جميع اهل المنطقة تغيرت وجوههم وقلوبهم الى اللون الاسود، يطلبون من الله استنزال المطر عليهم ليخسل وجوههم وازالة السواد الذي حل في قلوبهم. وتقوم مجموعة اخرى من الشبان ولا سيما الاقوياء منهم بصبغ وجوههم باللون نفسه حاملين معهم عصي ذات رأس كبير (كونه ك) يكلفون بحماية العروس وعندما يتهيأ الافراد

لممارسة الطقس وتوزيع النشاطات فيما بينهم يقومون بزيارة البيوت في قريتهم نفسها، حيث يتقدمون إليها طالبين من ساكنيها التضرع إلى الله لإزالة الحزن عنهم، أما نساء وأطفال القرية فيقومون برش الماء عليهم دلالة على سقوط المطر وغسل السواد الذي ملا وجوههم وقلوبهم. وهكذا يزورون جميع بيوت قريتهم والأطفال يركضون وراءهم ويردون الأغنية التالية وهي عبارة عن دعاء يطلبون فيه من الـ (كوسة) استئزال المطر عليهم :

، كوسة به بارانمان نه وي

ره حمه تي جارانمان نه وي

وتفسير ذلك - كوسة - نريد منك مطرا وان تعيد إلينا الرحمة السابقة .

بعد زيارة جميع بيوت القرية المجاورة يتوجهون للقرى المجاورة، وكلما اقتربوا من واحدة يخرج إليهم الشباب والأطفال ويستقبلونهم بالأغنية السابقة ويرشون عليهم الماء للسبب نفسه، وهو إزالة السواد الذي سبب هذا الحزن، ومن وقت لآخر يقوم مجموعة من شبان القرية التي حل بها الكوسة وجماعته بالهجوم على العروس لاختطافها واتخاذها عتوة، اعتقاد منهم أن سبب استئزال المطر هي - العروس - والهجوم عليها يعني جلب المطر والخير لهم ولقريتهم، ومن هنا تبدأ المعركة الرمزية بين الجماعة المكلفة بحماية العروس وشباب تلك القرية حيث يحاول كل طرف منهم أن يحصل على العروس يجلب المطر لقريته، ومن جانب آخر فإنهم يتشاجرون فيما بينهم لكي يرثي الله لحالهم وينزل عليهم رحمته ويزيل حزنهم ويزيح سواد قلوبهم، ويخمد الشجار بسرعة لتسحب الجماعة التي قامت بمهاجمة العروس - لا يجوز طرد الكوسة وجماعته من القرية في حالة نشوب المعركة بينهم إيماناً منهم أن سبب استئزال المطر هو دعاء هؤلاء، وهكذا يزورون جميع بيوت قريتهم أو القرى الموجودة في المنطقة، وقد تستمر هذه الفعالية في بعض الأحيان ليلة كاملة، إذ تبدأ قبل غروب الشمس وتنتهي في ساعات متأخرة من الليل، لأنهم في حالة انتقالهم من قرية لأخرى لا يستعملون وسيلة نقل بل يسيرون على الأقدام.

وفي بعض الأحيان يقوم وجهاء إحدى القرى بتهيشة^(١) نساءهم لاسيما القويات منهن بالإغارة على القرية التي تجاورهم كمحاولات أخذ حيواناتها من الأبقار والأغنام وهذا أيضاً، له علاقة بفكرة جلب المطر للقرية، فإذا ما أدركت نساء القرية المغار عليها، ذلك فإنهن يقمن بحمايتها ومنع المغيرات من الدخول إليها، وهنا تبدأ المعركة بين نساء القريتين - وهي أيضاً معركة رمزية تتعلق برجاء الرحمة ونزول المطر. - فإذا تمكنت النساء

المغيرات من تحقيق غاياتهن في سلب الحيوانات يقوم الوجه باخذ واحدة منها واعادة البقية لاصحابها .

عندما يحل الصباح يقوم الـ ، كوسه ، وجماعته بزيارة القرى لجمع المساعدات من البيوت وكميتها تتوقف على الامكانيات المالية للموائل ، وهي عادة تتكون من (الحيوانات والدهن والرز والبرغل) وعندما تنتهي هذه العملية يقوم الكوسة وجماعته بجمع المساعدات مع الحيوانات التي سلبتها النساء في ساحة واسعة قريبة من احدى قراهم ، وتقوم النساء بطبخ ما جمعهن وسمى ذلك الطعام (نانى الكوسة) اي غداء الكوسة وعادة تدعى جميع البيوت الى ذلك المكان لتناول غداء الكوسة ، وهنا يدعو الجميع الرب لاستئزال المطر عليهم لسقي اراضيهم .

❖ كوسه : هو الرجل الذي لا ينمو على وجهه الشعر . وفي هذا المجال هو الشخص الذي يصيح وجهه بمون اسود ويشبه نفسه بالحمار حيث يقوم بشد زوج من (كبوة) - كلاثى - على اذنيه تشبيها بأذان الحمار كما أنه يقلد الحمار في بعض تصرفاته ، هذا لا يعني انه يحاول المشي على الارباع بل يقفز من مكان لآخر ويقوم بضرب الاطفال والرجال الذين يتبعونه برجله او يقلد صوت الحمار .

(١) تقوم النساء بتسليح انفسهن وذلك بعمل المعصى ووضع قنود من النحاس على رؤوسهن لحماية انفسهن في حالة اصطدامهن ببناء القرية التي تغر عليهن

الموت في الفولكلور الكردي

نهاد عبد الستار رشيد

أود أن أقدم للقارئ الكريم شيئاً من الفولكلور الكردي الذي يحتمل في طياته صفة البطولة والشجاعة والطرافة والذكاء ففي إحدى القصائد الفولكلورية المسماة « نايشه كول » تشجع الفتاة الكردية خطيبها قبل اجتدام الرغى وهي بهذا تماثل الشاعرة العربية البطلة الخنساء نـ

أيها الفارس إذا كنت متاهباً للسفر نحو المعركة
تعال لأعطيك قلاندي الذهبية والتعاويد المنقوشة على صفائح الذهب
وهالك اقراطي

ودع الصائغ يصوغ لك من هذا الذهب
قبعة حربية صلبة

وعمدا لسيفك وليرصع لك الخنجر بالذهب
أيها الفارس إذا تسلل الخوف إلى قلبك يوم المعركة
وإذا لم تصمد أمام مائه وخمسون من رجال مهو اليان^(١)
سأحرم الحديث معك وسوف لن تنم بي

وبعد سفر سعيد بيك خطيب نايشه كول وانخرطه في صفوف
أخوانه إلى ساحة المعركة ، تأتي أخبار استبساله في القتال حتى قتل
أخيراً فانشدت خطيبته قائلة :

ايها الناس .. تعالوا لنجتمع هنا
لننكي بحرقه لنتفجع هذا القتل
هيا لنحمل جثة الفارس العربي (٢)
على عيذان الحراب
ودعوني اجلل جثته بصفائري المسترسلة
ولناخذه الى بير داود
ولكي لا يقولوا ان هذا الفارس مجهول
قتيل في ارض العدو وغير معروف .



الهوامش

(١) اسم القبيلة المادية

(٢) الفارس العربي لقب يطلق على من يتصف بالشجاعة في القتال .

تقاليد الزواج في تلاسقف

قرياقوس حنا

١ - موقع القرية :

ان قرية تلاسقف تبعد عن مدينة الموصل نحو ثلاثة وثلثين كيلو متراً وتتصل بها بطريق معبد وحولها الاراضي الزراعية الخاصة باهالي القرية، لذا تقع في المنطقة المتموجة ولكن الاراضي جميعها صالحة للزراعة التي تقتصر على زراعة الحنطة والشمع والعدس بالدرجة الاولى ثم الحمص والبقلاء بالدرجة الثانية ممتدة على الامطار ، لذا تتفاوت كمية الحاصلات الزراعية حسب كثرة الامطار او قلتها ، ولكن على العموم وفي السنوات التي تقل الامطار يحصل الفلاح على قوته وما يكفي للبلدور . اما صيفاً فتكثر زراعة البطيخ الذي يرسل الى الموصل وحتى الى بغداد وإلى جنوبها مع انتشاره في الاماكن الاخرى ولكن لا يكون حسب ما تنتجه تلاسقف كمية وجودة .

٢ - المدينة السائدة فيها

الديانة السائدة فيها هي المسيحية الكاثوليكية على الطقس الكلداني .
وجميع السكان يدينون بها ويتكلمون اللغة الكلدانية الدرجة . وفيها نحو
ستمائة بيت وكنيستان الاولى على اسم ماركوكريس وقد بنيت حديثاً
والثانية على اسم ماز يعقوب المقطع فيها هيكل واحد قد بني قبل اربعين
سنة والآخر قديم لا يعرف تاريخه . وقربها دير قديم باسم دير
انجي ماران فيه حائط لا زال باقياً جعل مقبرة لاهالي القرية . وفيها
كاهنان يتبعان لابريشية القوش .

٣ - الحياة الاقتصادية

يعتمد السكان على الزراعة ولكن قد انتشر اهالي القرية في المدن
والقصباء طلباً للرزق فلا تخلو عائلة تقريباً ممن يشتغل فيها كموظف
او عامل في القرية او في محلات اخرى وهذا ما ساعد على ازدهار الحياة
الاقتصادية في الاونة الاخيرة حيث كانت مقتصرة قبل ثلاثين سنة او اكثر
على الزراعة وبعض الصناعات المحلية فقط .

٤ - الصناعات الشعبية الهامة

كان سكان القرية سابقاً يعتمدون كملاً قلنا على الزراعة والصناعات
المحلية التي بدأت تقل تدريجياً نظراً لزوال الحاجة اليها وازدياد المعامل
والمصانع التي أسستها الدولة في الاونة الاخيرة حيث يتمكن العامل من
الاشتغال فيها ويربح اكثر مما يربحه في هذه المهن . ولكن مع هذا لازالت
بعض المهن يشتغل فيها قسم من السكان وهي :

١ - الحياكة :

لقد كانت هذه الصناعة منتشرة في القرية كثيراً لانه لما كنت صغيراً
كانت جميع الملابس للرجال والنساء تصنع في القرية فكانت تسرى كل
مائلة تشتري لها ما يلزمها من القطن او لتبيع ما يزيد عن حاجتها وتقوم
بحلجه وندفه وغزله ويقدم الى الحائك ليصنع منه الملابس فالرجال
يلبسونه ابيض اما النساء فتصبغه بالاسود مع استعمال الاصواف التي
تنتجها الحيوانات التي كانت تكثر في القرية . عدا البسط والمبسي
وغير ذلك . اما الان فجميع الملابس تشتري من الاسواق فيقوم الحائك
بشجيع ازار لنساء بعمر الاربعين سنة واكثر لان من تقل عن هذا العمر لا
تلبس الزي القديم وسوف ينقرض هذا الزي بعد مدة قصيرة .

٢ - التدافق :

وهذه الصناعة قد قلت الحاجة اليها كما قلنا لان القطن والصوف
لا يستعملان في صنع الملابس كما كانا سابقاً وكذلك قد قلت الحاجة الى
الكجي .

٣ - عمل الفراوي :

ومذه الصناعة قد قلت الحاجة اليها فكان سابقاً كل من بلغ مبلغ الرجال لابد ان يكون له فروة اما الان فلا يلبسها الا الشيوخ وقسم من القرى المجاورة تأتي عندنا لشراء الفراوي او للندف او الحياكة .

٤ - عمل حجاب الماء :

كانت نحو نصف العوائل في القرية تشتغل في صنع الحجاب لان هذه الصناعة لم تكن موجودة الا في تلسقف فكانت القرى المجاورة ومدينة الموصل وما جاورها تعتمد على هذه القرية قبل انتشار الثلج والثلاجات فكانت تصنع الحجاب على انواع والجرار والشربات . اما الان فقد قلت هذه الصناعة واصبحت بعض العوائل تشتغل بها حيث لازال اكثر الاهالي يستعملون الحجاب مع القرى المجاورة وترسل الى الموصل ليشترئها من لا يصله الثلج ولكن هذه الحبوب لا تستبدل لانها لا تحتاجها في الصيف لوجود الثلج .

٥ - علاقة القرية بجيرانها من القرى

قرية تلسقف تبدو كقصبه بين جيرانها من القرى المجاورة نظراً لكثرة سكانها ولوجود الاسواق والداكين فيها التي لا يوجد مثلها في القرى المجاورة فمن الشرق تأتي قرية باقوفة واكثر اعتمادها على قرية تلسقف فليس فيها دكاكين ولا قصاب ولا مستوصف وهي قريبة جداً فتشترى ما تحتاجه من هنا . ومن الشمال قرية دوغة واسرجكا وطريقها الى الموصل يمر من هنا فيشترى ما يحتاجونه ويحبون ما يزيد عن حاجاتهم من الحيوانات وغير ذلك .

ومن الجنوب قرية باطنايا وتعتمد على توكيف لانها اقرب اليها . اما في الغرب فتوجد قرية متارة وتعتمد على القوش . وقرى تلسقف ومسقلاط وكرسحاق وغيرها تعتمد على تلسقف وتوكيف ولكن اكثر الاوقات يأتون للطحن عندنا ونحن بدورنا نعتمد على مدينة الموصل نشترى الاقمشة والسكر والشاي ومواد البناء وغيرها ونبيع لها الحاصلات الزراعية والحيوانية . اما علاقاتنا مع الجيران فطيبة لا يحدث اي نزاع بيننا الا ما ندر .

يعيش السكان بالفة ومحبة فلا تحدث حوادث مزعجة . يجتمع السكان في مقام وقد تأسس قبل سنة واحدة ناد للموظفين يجتمعون فيه عصرًا وفي القرية مدرستين ابتدائيتين للبنين واخرى للبنات مع متوسطة مختلطة للبنين والبنات . وفيها مستوصف ودائرة بريد ربط فيها خط تلفوني في هذه السنة مع مخفر للشرطة . اما المدارس فابنتها منتظمة . بنت الحكومة مدرسة البنات قبل سنتين وبنت القرية بمعمل شعبي مدرستين وساعدت الحكومة بتكتملتها لان ما جمع من القرية وما اشغل الاهالي صيفا لم يكف لسد الحاجة لولم تساعد الدولة بنفقاتها وفي القرية مشروع للماء من نهر دجلة وكذلك انجز مشروع الكهرباء ونأمل ان يمتنع في بداية هذا العام . واهالي القرية مهتمون كثيرا في تثقيف اولادهم فلا ترى طفلاً واحداً بلغ من العمر ما يكفي لارساله الى المدرسة يجول الشوارع كما كانت الحالة قبل عشرين سنة او اكثر . ولهذا نرى كثرة عدد الموظفين من طبيب الى مهندس وغير ذلك من الوظائف الحكومية والاعمال المختلفة .

الزواج في تلسقف

يحكي الاولون ان لم يكن في قرية تلسقف مقام يجتمع فيها الرجال فكان قسم منهم يجتمع عند رئيس القرية ويشربون القهوة وهذا الرئيس اما ان يكون رئيس الكهنة او مختار القرية ويتحدثون بينهم عن امور القرية او عن الحوادث التي سمعوها او عن الحبوب وزراعتها واحوالها واسعارها . اما ليلاً فيذهب بعضهم عند بعض ويتسامرون بالحكايات ويجلسون حول مواقد النار شتاء . وكان الاختلاط بهذه الصورة كثيرابين الشباب والشابات فاذا رأى احدهم بنتاً اعجبته يذهب عندهم مع رفاقه فاذا رأى اهل البنت ان هذا الشاب يليق بابنتهم يرحبون به ويرفاقه . اما اذا راوا انه غير مناسب يبينون له بانه ليس له نصيب عندهم ولا يهتمون به . وكان يجتمع في بيت واحد احياناً جماعتان او ثلاث او اكثر فيؤدي الى حدوث شجار بينهم اثناء الجلوس او عند خروجهم عند الدار فمن يكون غير مقتدر على خصمه اي يكون افراد عائلته اقل يترك تلك البنت ويبدا بالذهاب عند بيت غيرها . فاذا وافق اهل البنت باعطائها لشاب

ذهب الى داره واخبر والده ووالدته وهؤلاء يسألون اقاربهم عن اهل البنت فاذا تبين انه ليس في عشيرتها ما يشين تذهب الوالدة مع امرأتين او ثلاث الى دار البنت ويخطبونها لولدهم فاذا وافقوا يأتي الوالد مع جماعة من اقاربه ويدعو اهل البنت جماعة من اقاربهم ايضا ويبدأون يشرب العرق ويطلبون ان يبينوا لهم ما يريدونه من الجهاز اي الذهب والفضة والملابس وكانت الحاجيات الذهبية تقتصر على الترابجي في الاذن وما يسمى عندنا فرنتي وهو عبارة عن عملة ذهبية عثمانية مكتوب عليها غازي او محمد وشاد وكان يقدم منه بين ستة وعشرين حسب امكانية والد العريس او حسب مكانة اهل العروس في المجتمع وهذه توضع في طاقيّة على حافتها بحيث تخرج ظاهرا على الجبين وما هو له حسب كثرتها وقتلتها بينها ما يسمى (نطويا) وهو اطول يوضع بمنصتها مقابل الانف وهي عبارة عن قشرة ذهبية فوق قطعة شمع يدخل بها خيط وبينها خرز من المرجان تربط بالطاقيّة من الجهتين وتنزل الى اسفل الحنك وقلادة وهذه تكون كبيرة او صغيرة او تكون اثنتان حسب المقدرة وهذه تكون من قطع من عملة ذهبية عثمانية تتوسطها قطعة كبيرة تسمى انكلوزي وتكون عادة من عشرة قطع عدا الكبيرة . وكردانة وهذه تصاغ وهي على انواع مختلفة تتشابه تقريبا مع الكردانة الموجودة في الاسواق الان . اما القطع الفضية فتكون من سوار عريضة وتسمى (شيري) وهي نوعين تختلف صياغة الواحدة عن الاخرى بينها ما يسمى (كوهيالا) وتكون كشكل الخلخال . وتغاط بالطاقيّة قطع من عملة فضية عثمانية بعد ان تنقب من طرف واحد وتسمى (طاقيّة الدواهم) بحيث اذا سارت البنت او رقصت يسمع لها صوت . ثم الخلخال وموضعه الرجل . ثم كمر ويكون من قطع فضية مصاغة تكون كحلقات عريضة يدخل الحزام ويشد بها كحزام . فبعد ما يتداولون بامرها فاذا رضي الطرفان ولاكتفوا من الشرب يقول احد المدعوين من قبل اهل البنت بان يجلب المشاء لان العرق يجلبه اهل العريس ولا يجوز ان يقول المدعوون من قبله ذلك وشرب العرق كان بان يوضع بفنجان له قاعدة كالذي يستعمل لشرب الدواء ويقوم شخص من اقارب الشاب ويعطي لكل واحد فنهم من يشربه كله ومنهم من يشرب قسما منه وهكذا يغطي لكل واحد بدوره واذا اراد احدهم ان يكرم شخصا امر الساقى ان يقدم له الفنجان ويقول السلام عليك وذاك الشخص لما يأتي دوره يقوم باكرام ذلك الشخص .

فيقدم العشاء حيث كان اما (كبة كبار) والتي تسمى كبة موصل وهي شائعة الاستعمال عندنا منذ مدة طويلة . او كبة صفار في مرق . او يرغل مع مرق سماق توضع بها قطع لحم وكريات صغيرة من الجريش داخلها لحم . فاذا حصل الوافق اكل الطرفان واذا لم يحصل قام اهل العريس بدون اكل واكل المدعوون من الطرف الاخر . وبعد ان يجهزوا الذهب والفضة في صباح يوم احد يذهب بعض الرجال الى بيت العروس وهؤلاء يدعون اقاربهم ويبدأون بشرب العرق وبمدهم تاتي النساء ومعهن الحاجيات الذهبية والفضية والجزرات وزبيب او قصب وكانوا يسمون الجزرات (جيب) اعني على قلتها توضع بالجيب والزبيب او العصب اعني تضعه امرأة في ازارها الذي تلبسه وهن يفتنن ومن الاغاني المفضلة كانت هناك اغنية معناها ان العروس هي ريحانة ولكن ليست ريحانة والدها لانه يقال انهم كانوا يقولون سابقا عوض « بانغ » « بانغ » ، يعني والدك ففضب والد احدى البنات لهقه الاغنية فقلبت « بانغ » الى « بانغ » . وبعد ان يساعدوا العروس في ارتداء ملابسها يرجعون الى دورهم . ثم يقوم العريس مع رفاقه ويأخذون معهم العرق ويذهبون الى بيت العروس ويشربون ويأكلون (الجزرات) . وعند العصر تقدم ام العروس وتأخذ معها جماعة يذهبون الى بيت العروس وقد هيات ديكاً بعد ان طبخته وقلته بالدهن وتضعه فوق صحن كبير من البرغل او الحبة اذ كزن يندر سابقاً وجود الرز في القرية ويذهبون الى دار العروس ليقدموا لها عشاءها هذا . وبعد مغيب الشمس يذهب الشاب مع الرفاق ومعهم العرق ويشربون ويتناولون العشاء .

واذا طالت مدة الخطوبة يقوم اهل الشاب بجلب جزرات كل يوم احد واذا صادف بينها عيد الميلاد او عيد القيامة يجلبون معهم كليجة (حصة البنت) .

وفي مساء يوم سبت او قبله يدعو والد الشاب اقاربه وجيرانه للذهاب الى والد العروس للمداولة بينهم حول مقدار المهر وقد كان سابقاً كمية قليلة اي نحو عشر ليرات الى ثلاث ليرات ومنهم من يرمي

كيساً فيه الليرات فيأخذ شخص يخوله والد البنت ذلك المقدار ويرجع الكيس وما بقي فيه الى الشخص الذي رماه ويعلنون عن الكمية وتهلّل النساء معلّات الفرحة .

قسم آخر يطلب من وكيل والد البنت ان يعلن عن الكمية التي يريدّها وبعدئذ يطلب كل مدعو من قبل العروس ان ينقص كمية لخاطره حتى اذا وصلوا الى المقدار الذي يرتضون به وبعد ذلك يتناولون الشراب ثم المشاء .

اما اذا لم يصلوا الى اتفاق يقومون بدون عشاء . واذا حصل الاتفاق فقد كان البعض يأخذ العروس ليلاً نحو الساعة الواحدة تقريباً بعد المغرب وتجرى حفلة البراح (مباركة الكاهن للزواج) .

وكان البعض الآخر يجتمع صباحاً فيذهب بعض الرجال في المقدمة ومعهم العرق الى بيت العريس والذين يدعوه بدورهم اقاربهم وجيرانهم للاحتفال .

وبعدهم يأتي الرجال وخلفهم النساء وهم يفنون ويرقصون ومعهم شخص يدق بالززنة وآخر معه الطبل حتى اذا وصلوا الى البيت تدخل النساء فيساعدن العروس على ارتداء ملابسها ثم يخرجن وتركب العروس على الفرس يقودها شخص ويسير الموكب بفناء ورقص ويقف بين حين وآخر ليجتمع الرجال والنساء ويكونوا حلقة رقص وفي وسطهم المازف على الززنة والذي يدق الطبل . ويطوف الموكب حول القرية .

ثم تجري حفلة البراح اما في بيت العريس او في الكنيسة ويخرج عازف الززنة والطبل الى البيادر ويجتمع الرجال والنساء يرقصون معاً في حلقة تكبر او تصغر حسب مكانة العريس . اما في البيت فيعززون اهل القرية والبعض يعزم اقاربه وجيرانه فقط والبعض يعزم جميع اهل القرية في أربع فترات اثنتان يوم الاحد واثنتان يوم الاثنين حسب حالة اهل العريس . ويبدأ الرجال بالآغاني المختلفة والنساء بالهلاهل والآغاني . وكان للختن رفيق يعلمه ماذا يفعل وللبنات كذلك رفيقة تعلمها ايضاً .

وقد روى لي شخص قبل خمس وعشرين سنة وقد توفي الان وله من العمر تسعون سنة بانه تزوج ولم يعلمه احد فبقي مع زوجته نحو ثلاثة اشهر ينام عندها كاخ واخت حتى سألوه يوماً كيف رأى الزواج فقال بانه لم ير شيئاً غريباً فضحكوا منه اعلموه بما يفعل واكيد لي جيرانه ذلك .

وفي فجر يوم الاثنين يأتي نحو ثلاثة اشخاص ويأخذون العروس الى دارها لان العرس يتحول هنا في اليوم الثالث وبعد الفطور يذهب العريس مع رفاقه ويدعو والده اقاربه ويذهبون الى دار والد العروس وهذا بدوره يدعو اقاربه وجيرانه ويبدأون بالشرب ثم الاكل وينصرفون . وعصرأ يذهب الختن مع رفاقه الى ام العروس ويطلبون منها المرق ودجاجة او اكثر فاذا ادت مطلبهم رضوا ، واذا لم تفعل اخذوا الختن وضربوه بالعصي على رجليه حتى تؤدي مطلبهم . ثم يأخذون العروس على دار العريس وهم يرقصون ويغنون والنساء يزغردن .

وعند دخول العروس الى دار العريس يصعد شخصان الى السطح ويبدأ احدهما بغيتف خبز ويبدأ الاخر جره ويرميها فوق رأس العروس قبل دخولها مع مراعاة عدم اصابة احد .

تقاليد الزواج في القوش

الياس مداولو

القوش

تقع في الشمال الشرقي من مدينة الموصل وتبعد عنها حوالي (٥٠) كيلو متراً سكانها نصاري كلدانيون يتكلمون اللغة الآرامية المسيحية جالياً (اللغة الكلدانية) يبلغ عدد نفوسها حوالي (٦٠٠٠) ستة آلاف نسمة -

١ - فترة الخطوبة :

عندما كان يرغب أحد الشبان في الزواج يلتمس إلى أصدقائه بذلك ويشيخ بأنه يريد الدخول إلى الدير لينخرط في سلك الرهبنة (يوجد بالقرب من القوش ديران : الاول يقع شرقي القوش ويبعد عنها نحو عشرين دقيقة سيراً على الاقدام ويسمى (دير السيدة) والآخر يقع في أحد الوديان الجبلية شمالي دير السيدة تماماً ويسمى (دير ربان هرمزد) .

عندما تصل الإشاعة إلى أذني والدي الشاب فيبادران بالسؤال هل انت راغب في الزواج ؟ فطبعاً يكون الجواب بالإيجاب : وعندئذ يبدأ الشاب بالبحث (ان لم يكن قد وجدها) عن فتاة لتصبح شريكة حياته وبعد مدة تطول أو تقصر يختار البنت وهذه البنت إما ان تكون من الجيران أو الاقارب أو بنت الطرف أو من محلة غير محله . فيكون اختيارها في أيام

الآحاد والاعیاد بينما تكون الفتاة ذاهبة رفقة أهلها الى الكنيسة او عائدة منها - وفي الايام المادية الاخرى عندما تكون في طريقها الى نقل الماء (ماء الشرب) من العيون والآبار - وجدير بالملاحظة هنا بان الفتاة التي يختارها يجب ان تناسب مركزه الاجتماعي وحالته المالية - فتذهب والدته او اخته او احدى قريباته وتتصل بوالدة الفتاة او اختها او غيرها من قريباتها وتفتحنها بالموضوع فيكون الجواب في هذه الحالة بالترتيب والانتظار عدة ايام لاستخراج رأي والدها او المسؤولين عن تربيتها (علماً بأنه لم يكن للفتاة اي رأي بذلك سابقاً) فاذا كان الجواب ايجابياً فتبدأ مراسيم قطع المهر (المبلغ النقدي الواجب دفعه الى اهل الفتاة وبعض الهدايا والمواد العينية والمصوغات الفضية والذهبية وكانت في السابق جميعها من الفضة الا الاقراط فكانت من الذهب وخاتم أو خاتمين من الذهب رخيصة الثمن - فيعين يوم لذلك ويسمى يوم التسليم ١٠٠٠ فيذهب لغيره من اقارب واصدقاء العائلة رجالاً ونساءً وبعض وجوه المحلة للتأثير على اهل الفتاة اثناء المساومة على قطع المهر - ويقوم عندئذ اهل الفتاة بتحضير (المزّة) وإما المشرّوب وهو عادة العرق والشرب المصنوعان محلياً يكون على نفقة أهل الخطيب - وبعد ان تدار الكؤوس ويشربوا قليلاً تبدأ المساومة : تمرنون جيداً باننا جئناكم لاختباركم برغبتنا الشديدة في التشرف بقرابتكم وهي بان نخطب ابنتكم الفلانية الى ابننا الفلاني - فيجيب والد الفتاة او واحد المعاضرين من اهل الفتاة والمخولين بالكلام : على الرحب والسعة جيتكم وعلى العين والراس قدومكم واهلاً ومرحباً بجمعتكم : ولنا الشرف ان تصبح اقرباء : فحينئذ تبدأ المساومة حول مبلغ المهر والمواد الاخرى والمبلغ يزيد او ينقص حسب مركز عائلة الفتاة الاجتماعي وحسنها وجمالها - وحسب مركز الشاب الاجتماعي وثقافته وحالته المالية -

فمثلاً يتفق على مبلغ (٣٥٠) ديناراً فيسلم المبلغ الى والد الفتاة او الى احد الحاضرين المكلف باستلام المبلغ - ثم تقديراً واحتراماً للحاضرين من جماعة الشاب يعاد قسم من هذا المبلغ - فاذا كان عددهم خمسة اشخاص فيعاد تقديراً لكل منهم عشرة دنانير ويبقى من المبلغ المتفق عليه (٣٥٠) دينار وكذلك يتفق ايضاً بان يعاد مبلغ (٥٠) ديناراً كهدية للعروس يوم الزواج .
ثم يأتي دور المواد العينية - كالزهر والذهن وغيرها والجهاز (الملابس) وبعض المصوغات الفضية وقليل من الذهب - وبعد الانتهاء من هذه المراسيم : يعين يوم للتيشام :

ملاحظة :

ان مبلغ المهر قد حدد في الآونة الاخيرة من قبل السلطات الدبية وجعل (١٥٠) ديناراً فقط -

٢ - فترة النيشان :

بمسد الانتهاء من كافة الاجراءات وتعيين يوم للنيشان : يخرج الجميع من دار الفتاة وهم ينفون ويصفقون - ويكون القناء عادة باللغة المحلية الى ان يصلوا الى بيت الشاب وهذا اعلان بان خطوبة البنات الفلانية قد تمت على الشاب الفلاني - وفي اليوم المقرر للنيشان يجتمع اقارب الخطيب والخطيبة في دار الخطيبة ثم يتبادلان الحلقات او الخواتم بحضور الكاهن بعد ان يسأل الخطيبة هل توافقين وتقبلين الشاب الفلاني زوجاً لك (ويسميه باسمه) بدون اكراه او اي ضغط (خارجي) (الويل كل الويل وعندئذ يأخذ الحلقة او الخاتم من الخطيب ويسلمه الى الخطيبة وتلبسه في اصبعها - ثم يسأل الخطيب هل تقبل الشاب الفلانية (ويسميه باسمها) بان تكون زوجة لك فيجب عليه (نعم) ثم يأخذ الحلقة من الخطيبة ويسلمها الى الخطيب ويضعها بدوره في اصبعه - وتنتهي مراسم النيشان ولتعد - ثم يخرج الخطيب مع جماعته من دار خطيبته بالقاء والرقص والتصفيق وزغردة النسوة الى ان يصلوا الى دار الخطيب ويبدأ المدعون بتناول المشروبات ولترقص (الدبكات) الى ساعة متأخرة من الليل *

٣ - الفترة - ما بين النيشان والزفاف (البراح)

قد تكون هذه الفترة طويلة او قصيرة وغالباً ما تكون شهراً أو شهرين وهي الفترة المطلوبة لتجهيز العروس ولاستعداد أهل الخطيب ليوم الزفاف *

٤ - الجيب :

في صباح كل يوم احد او عيد من هذه الفترة تدعو والدة العريس كافة النساء والبنات من الاقارب والجيران والاصدقاء ليرافقنها ويحملن الجيب الى العروس :

والجيب عبارة عن كمية من الكرزات والشكرات وبعض الفواكه المجففة - مثل التين والزبيب ويعمل خليط من هذه المواد - وتوزع في صحن وطباق على عدد المدعوات - وكل بنت او امرأة تحمل طبقاً من هذه المواد ويقطعي بمنديل زاهي اللون - ويذهب الجميع الى دار العروس - والجميع يزغردن ويفتنن اثناء الطريق ويستقبلن من قبل عائلة العروس بالهلاهل والزغاريد وتتقدمهن ام العرس وتقبل العروس ثم تتبعها الباقيات الواحدة تلو الأخرى ويقبلن العروس *

٥ - تكريم العروس :

في هذه الفترة - اي - الفترة بين النيشان والزفاف - تدعى العروس بالمنوبة الى دار الاقارب والاصدقاء والجيران - فيكرمونها بتقديم

بعض الهدايا - او يضعن في جيبها بعض النقود تتراوح بين الربع دينار ودينار واحد - واذا كان الوقت ظهراً - فيقيم لها غداء - غالباً ما يكون - بيض مقلي وفوقه عسل طبيعي .

ملاحظة

(١) ان عادة ذهاب العروس الى البيوت قد اصبحت في الآونة الأخيرة واقتصرت بان تقدم لها الهدايا من نقود وغيرها في دارها .

(٢) اذا خرجت الخطيبة بمهراسيم النيشان (المقد) لزيارة اقربائها وصديقاتها يجب ان تغطي رأسها ووجهها - بملاء زاهية الالوان - ولا يجوز ان تسير سافرة .

٦ - طششواتنا :

(الصحن الكبيرة) في يوم الاحد او العيد التالي ليوم النيشان يطبخ اهل العرس قدراً كبيراً من الدولة (يربخ) ويوزع على عدة طششوت وهي اواني مسطحة وغالباً ما تكون مصنوعة من معدن النحاس والمولة عادة تكون ملفوفة بورق العنب المجفف اذا كان الفصل شتاءً وكل طششوت يلف بقطعة من قماش ملون وتحمله فتاة غير متزوجة او امرأة متزوجة حديثاً وتكون من اغارب العريس او اصدقاء العائلة او الجيران - والنسوة يخرجن من بيت العريس بالهلال والزغاريد والاغاني الخاصة بمثل هذه المراسم - ولدى دخولهن بيت العروس يستقبلهن اهل العروس كذلك بالاغاني والتصفيق مرحبين بهن ويجلسن جميعهن ويبدأن بالاكل سوية .

٧ - تزويد بيت العروس بالحناء وكيفية نقله :

في نفس اليوم الذي يسبق بدء الاحتفالات تهيأ كمية من الحناء لمراسم بيت العروس به لتخضيب يدها ويد قريباتها وصديقاتها - وذلك بان يدعى كافة المدعوات الى بيت العريس وعندما يكتمل حضورهن تحمل إحدى النسوة اناء الحناء والمسيرة ايضاً تكون على انغام الطبل والزناية - مع الاغاني الشعبية - ولا يشترك في هذه العملية الرجال اذ تكون مقصورة عادة على البنات والنساء المتزوجات حديثاً ومن تقل اعمارهم عن سن الزواج من الاولاد - ولدى وصول الموكب الى بيت العروس يستقبل بالاغاني والتصفيق والزغاريد .

ويعود الجميع الى بيت العريس بالتصفيق والفناء على انغام الطبل والزناية كما في الذهاب

٨ - صوآتنا (ليلة الحناء) :

بعد العودة من بيت العروس تكون الشمس عادة قد مالست الى

الغروب : تجري عملية تخضيب الايدي بالحناء في بيت العريس : اذ يدعى المزاج من الشبان من اقرباء العريس واصدقائه ويجلس الجميع على احد السطوح لذا كان الفصل مناسباً - وتقوم بعملية الحناء والسدة العريس او اخته هو احدى اقرب المقربين اليه ممن تتقن الفناء في مثل هذه المناسبات - ويساعدنها في ذلك ثلاثة اواربع نسوة اخريات - الواحدة ماسكة بيدها اناه الحناء والاخرى اناه به ماء والباقيات للمشاركة في الفناء اثناء عملية الحناء - وتبدأ عملية الحناء بالعريس ثم للمعززين الواحد تلو الآخر مع تقديم اغنية مناسبة لكل شاب عند يده محتين له خطيبة حلوة وزواجاً سعيداً باقرب وقت ، وبعد الانتهاء من تخضيب يد كل منهم ترمى قطعة او عدة قطع من النقود في الاناء الذي به الماء .

٩ - البزاح (مراسيم العقد)

كانت تجري هذه المراسيم في البيوت وعلى الاكثر في بيت العروس وكانت تجري ليلاً وبصورة سرية خوفاً من ربط الختن (العريس) اي منعه من القيام بعمله كزوج في الليلة الأولى والثانية والثالثة وربما تستمر اياماً واسابيع - وان هذه الطادة تناقلها الآباء عن الاجداد وهي عادة (خرافية - وهمية) فمنما وتحاشيا لما قد يحدث للعريس من مثل هذه الظاهرة - فان النسوة اثناء اجراء المراسيم الدينية يأخذن بوخر الابر في ثياب العريس ليبتلن بذلك تأثير السحر الذي قد يمكن ان يقوم به بعض الاشخاص من الحاضرين وقفوا خارج محل اقامة المراسيم ولكنهم يسمعون صوت التراتيل : وذلك نكابة بالعريس لعداء سابق بينهم وبين عائلة العريس او لتكسب المادي . اذ بعد ايام يرضون الشخص الذي يقوم بهذا العمل ببعض المال - اذ ان الاشخاص الذين كانوا يقومون بهذه الاعمال كانوا معروفين لدى اهل القرية - وغالباً ما كانت تحدث هذه الاعراض لبعض الناس ولكن لم تكن نتيجة تأثير خارجي كما كانوا يدعون بل انما كانت تحدث لان العروس كانت صغيرة العمر لا يزيد عمرها على الاثنتي عشرة سنة في غالب الاحيان - او ان يحدث للعريس حالة نفسية طارئة او لاسباب اخرى فسيولوجية - وبعد الانتهاء من مراسيم البزاح تبدأ النسوة كمادتهن بالاغاني والزغاريد ويذهب العريس وجماعته الى داره .

وفي صباح اليوم التالي تبدأ مراسيم العرس (الحفلة) وتدوم لمدة ثلاثة ايام - من الصباح الباكر الى غروب الشمس - والآلة الموسيقية المعتادة التي تستعمل طيلة مدة الحفلة هي الطبل والزرناية (المزمار) - والعازفون من الطائفة اليزيدية القاطنين في القرى المجاورة لألقرش .

يستيقظ مبكراً بالمازف على الزرناية ويصعد على سطح دار العريس ويأخذ بالمزف بينما يخيم السكون على القرية معلناً بذلك بدء الاحتفالات ويأخذ المدعون زرافات ووحداً من رجال ونساء بالتوافد إلى دار العريس وعندما يكتمل حضور كافة المدعوين والمدعوات - يبدأ الجميع بالخروج من دارالعريس تتقدمهم زمرة الموسيقى (الطبل والزرناية) ومن ورائهم العريس وأشبينته (رفيق العريس) وبقية المدعوين من الرجال وتعقبهم النساء وهن يزغردن ويفتنن بمض الاغاني باللفة الكلدانية (السرمانية الشرقية) قاصدين دار العروس - يبدأ بعض الشبان من اصدقاء العريس واقاربه يرقصون امام الطبل والزرناية بصورة منفردة حاملين بأيديهم الخناجر والمناديل وعند وصولهم دار العروس يجلسون الباب الرئيسي مقفلاً وفي داخل الدار جماعة المدعوات من قبل اهل العروس ولا يفتح الباب الا بعد دفع ما يتفق عليه من نقود وعدة قناني من العسرق وبعد ان يتم الاتفاق يفتح الباب وتخرج العروس ورأسها مغطى بملاء زاهية الالوان ويواصل الجميع سيرهم للعودة الى بيت العريس - ويجدر بنا ان نذكر هنا بان العودة لا يجوز ان تكون من نفس الطريق الذي جاءوا منه - بل يعودون من طريق آخر - وعند الوصول الى بيت العريس يأخذ بعض الشبان والشابات برقص مختلف الرقصات (ديكات) سسكاني - وشيخاني - والرقص هنا يكون مختلطاً بين النساء والرجال (امرأة بيد رجل وهكذا) - قبل ان تدخل العروس الى مخدعها «بگنوني» يقف شخص امام باب الغرفة التي ستدخل فيها العروس ويديه قلعة مملوءة بالحلويات (كالكسب والزبيب والتين المجفف ومؤخراً استعمل التوتى والجوكرليت وبعض الكرزات وبعض قطع النقود من فئات صغيرة وهذا يرمز بان تكون الحياة الزوجية حياة سعيدة وموفقة ومليئة بالافراح والمسرات - ويكون بيد نفس الرجل رغيغ (خبز رقاق) وماسكا به فوق الباب - وقبل ان تدخل العروس باب الغرفة يغطي بيدها سكين كبيرة (شسپنوا) لتضرب به الرغيغ الرقيق بنفس الوقت يكسر ذلك الرجل القلعة فوق الباب - وبعده تدخل العروس الى مخدعها (بگنوني) - ورمز الخبز هو ان تكون العروس طيلة ايام حياتها مضيافة - اي ان تطعم الضيوف ويكون بيتها مفتوحاً لهم .

وعندما تستقر العروس في المحل المخصص لها (بگنوني) يتون بطفل صغير من عائلة العريس يتراوح عمره عادة بين الستة اشهر والستين ويضمونه في حضن العروس وهذه بدورها تضع في جيبه مبلغاً

يتراوح عادة بين الربع دينار والدينار : ووضع طفل (ذكر) في حضن العروس : فان : بان تنجب ذكورا .

١١ - نقش وصبح الباب الرئيسي للدار التي يسكنها العريس :
قبل بدء الاحتفال بثلاثة او اربعة ايام ينقش ويصبح القسم العلوي من الباب (الحائط الذي يعلو الباب وعادة يكون شكل قوس بعد ان يبيض بالجبس بالوان جذابة وباشكال ورموز بدائية كالورود والازهار - وبعض الشجيرات وهذه علامة من علامات الافراح وللإعلان عن ان احد سكان الدار سيتزوج قريباً

١٢ - نقش البكنوني -

(وبالأرامية الفصحى (بيت كنونا) أي - خدر - أو مرقد العروسين) والبكنوني هي عبارة عن زاوية من زوايا الغرفة المكونة من جداري الغرفة المتعامدين فتقش بالأصباغ ويكتب في الجهة العليا من البكنوني في بعض الأحيان اسم العريس والعروس وتاريخ زواجهما - بعد ان يكون هذا الجهد قد يبيض بالجبس ان كانت الغرفة قديمة وتغير لون جدرانها - على الأكثر معظم الغرف في القرى كنن لونها اسود من تأثير الدخان الذي كان يتصاعد من اشغال الخشب للتدفئة في ايام الشتاء -

١٣ - المأكولات التي تهيأ من قبل اهل العروس وتنقل الى بيت العريس قبل ظهر كل يوم من ايام الاحتفال الثلاثة تهيأ في بيت العروس المأكولات التالية :

اليوم الاول : هريسة :

توزع في صحن كبيرة وتحمل من قبل النسوة بعد تغذية كل منها بقطعة قماش

اليوم الثاني (١) چوپر :

عبارة عن شوربة رز كثيفة توزع على الصحن ويصب فوق كل صحن حلو (دبس)

(٢) جمبيلية :

عبارة عن تريد من الخبز والدهن والدبس ويوزع على الصحن - وتنقل بنفس الطريقة التي نقلت بها الهريسة -

اليوم الثالث :

دولة (برخ)

١٤ - (كيوتا دكالو) لقمة العروس -

بعد ظهر اليوم الاول من الاحتفال يهيأ في بيت العروس طشت كبير من الرز المطبوخ وكذلك يعمل عصيدة من دبس الزبيب ويعجن مع الطحين (الدقيق) الى ان يصبح كثيفاً جداً . ويحمل هذا الطشت من قبل امرأة وتذهب به الى بيت العريس : اذ تقام النسوة والفتيات وعند وصولهن

الى بيت العريس يدخلن الى غرفة العروس بالهلال والزغاريد : وتتقدم امرأة من اقارب العروس وتعمل لقمة كبيرة من هذه العصيدة : وهي عصيدة ملفوفة بخبز رقيق بعد رشه بالماء : وتقدمه الى العروس : ثم توزع بقية العصيدة بنفس الطريقة على بقية الحاضرات وبذلك تتشارك المدعوات العروس لقمتها .

١٥ - سيدشا ومطرختا

الوسادة والمندر - يهيا من قبل اهل العروس لابنتهم وسادة ومندر وتحملها بنت غير متزوجة وتسير برفقة النسوة اللواتي يحملن لقمة العرس وتقدم لها العروس بعض الهدايا - (المندر تستعمله العروس للجلوس عليه في الكنيسة لان الكنائس سابقاً لم تكن مزودة بالارائك وخاصة الكنائس القروية .

١٦ - (إيسارا دسظرا)

شد الستارة - وتسمى باللغة الآرامية الفصحى (قطر گنوز) - بعد انفضاض عقد المدعوين عند مغيب شمس اليوم الاول من الاحتفال - يأتي الكاهن ومعه بعض مساعديه لتلاوة بعض الادعية والصلوات بينما يكون العريس والعروس داخل بكنونهما (خدرهما) واقفين على ارجلهم وراء ستارة مصنوعة من القماش الملون - وتشد الستارة بين سطحين (جدارين) متعامدين في الغرفة علماً بان القسم العلوي من جسميهما يلون ظهراً - بعد ان ينتهي الكاهن من اداء مهمته يخرج العروس والعريس من وراء الستارة ويجلسان مع بقية الاهل لتكميل مراسيم اليوم الاول من الاحتفال

يجدر بنا ان نذكر هنا بان الستارة تبقى مسلوكة الى فجر اليوم التالي فالذي يستيقظ مبكراً منهما يحل الستارة فيدفع له الآخر (جمالة) رهنأ اتفق عليه مسبقاً - وفي اغلب الاعيان يعطي العريس مجالاً لعروسه لتحل الستارة لتربح الرهان - وهذه طبعاً مجاملة لشريكة حياته .

١٧ - عشاينا ديشير عشايني :

العشاء الذي يعقب الاعشية : او العشاء المتأخر : يؤتى بهنأ العشاء بعد ان لا يبقى في دار العريس سوى افراد العائلة . تستمر عملية نقل العشاء المتأخر من بيت العروس الى بيت العريس مدة ثمانية ايام ابتداء من اليوم الاول للاحتفال

اليوم الاول :

ينقل العشاء من قبل خال العروس وزوجته : ويكون العشاء مكوناً : من كبة برغل (كبة موصل)

اليوم الثاني :

ينقل من قبل عمها وزوجته : ويكون العشاء : رز ودجاج

اليوم الثالث :

ينقل من قبل عمتها وزوجتها : ويكون العشاء دولة (بيرخ) وهكذا تستمر هذه العملية اي عملية نقل العشاء المتأخر لمدة ثمانية أيام .

وفي الايام الخمسة الباقية ينقله بقية افراد عشيرة العروس بالتسلسل حسب درجة قرابتهم لاهلها .

١٨ - الصبحية :

عبارة عن مبلغ نقدي يقدم الى العريس في اليوم الثاني من الاحتفال بعد تقبيل الاكليل المشدود برأسه وهو عبارة عن قطعة حرير حمراء :

اللون مطرزة : تشد برأس العريس أثناء اجراء المراسيم الدينية : والمصاحفة اليهودية بعد تقديم التهاني والتبريكات والدعاء الى الله بان يجعل زواجه سعيداً والرفاء والبنين - المبلغ الذي كان يقدم سابقاً كان ضئيلاً جداً يتراوح بين الربع دينار والنصف دينار - واما الآن فيتراوح بين الدينار الواحد والخمسة دنانير : والغرض من هذه الصبحية عبارة عن مساعدة مادية لاهل العريس لما يتكلفونه من مصاريف ونفقات .

١٩ - اختفاء العريس وذهاب العروس الى دار والدها -

في الصباح الباكر من اليوم الثالث للاحتفال يختفي العريس مع اشبينه في احد بيوت اقاربه او اصدقائه وينفس الوقت تأتي امرأة مسن اقارب العروس لتأخذها الى دار والدها لتتقضي النهار كله هناك .

فيبدأ المدعوون بالبحث والتفتيش عن العريس وعن محل اختفائه فينتشرون في طرقات القرية واقتطعها ويبثون العيون هنا وهناك مستفسرين من هذا وذاك بغية العثور على محل اختفائه فإذا اكتشف محل اختفائه يقتحمون الدار المختبئة بها - فعند ذلك يتحتم على العريس ان يقدم للذين وجدوه دجاجة او ديكاً وعدة قناني من المرق - ويخرج الجميع من تلك الدار بالاغاني والرقصات الانفرادية : بعد ان يكونوا قد حضروا فرقة الموسيقى (الطبل والزرناية) - ويعود الجميع الى دار العريس وتبدأ الرقصات الجماعية (الدبكات)

(ملاحظة)

ذهاب العروس في اليوم الثالث للزواج عند اهلها يسمى (شعرعلا)

قبل غروب الشمس بساعة أو ساعتين يخرج الجميع بما في ذلك فرقة الموسيقى (الطبل والزرناية) ويوجهون سيرهم نحو دار العروس لاعادتها الى دار الزوجية وتتبع في ذلك نفس الطرق والاساليب كما جرى في صباح اليوم الاول من الحفلة ولكن هذه المرة لا يجدون الباب الرئيسي للدار مقفلاً بل مفتوحاً على مصراعيه وبعد العودة الى دار العريس تستمر الحفلة الى ما بعد غروب الشمس بعدة ساعات ويذهب كل الى داره : وتنتهي الاحتفالات .

٢٠ - ذهاب العروس الى دار والدها في اليوم التاسع للزواج :
في صباح اليوم التاسع للزواج وعادة يصادف يوم الاثنين نأثسي امرأة من اقارب العروس وتأخذها الى دار والدها لتقضي النهار كله عند أهلها - وعند عودتها مساء الى دار الزوجية تزود بسلة مملوءة بمختلف الكرزات والحلويات ومفطاة بقطعة قماش جيدة لتعمل منها فستاناً لها .

تقاليد اخرى

- ارايا دتخونا دداوا -

(تهيئة الحنطة وتنظيفها لطحنها للعرس)

قبل بدء الاحتفال بالزواج بسبعة ايام تقريباً تهيأ الحنطة بتنظيفها من الشوائب وذلك لفرض طحنها وجعلها دقيقاً لاجل خبزها - ويقوم بهذه العملية النساء والبنات بالاغاني والزغاريد والتي تفنى عادة في مثل هذه المناسبات وبعد الانتهاء من تنظيف الحنطة تنقل الى الرحى لطحنها وهي موجودة في قرية بنداوي والتي تبعد حوالي خمسة كيلومترات غربي القوش - وذلك لعدم وجود طواحين ميكانيكية سابقاً - واما الآن فتحطن بالطاحونة الميكانيكية الموجودة في القرية .

- ايايا دليخما دداوا -

تبدأ عملية الخبز بمدة مناسبة قبل بدء الاحتفال وتخبز القرصص (بخانا) وتوزع قرصة واحدة على كل عائلة من المدعوين - والعائلة التي قدمت لها (قرصة خبز الزواج) تقدم بدورها غربالاً مليئاً بالحنطة وفوقها عدة رؤوس من البصل او مليئاً بالجريش (سيمبني جريسي) لتطبخ (خوصتا) آكلة تشبه الحامض كبة - ولكن الكبة في هذه الطبخة تكون كروية الشكل - وتوزع القرص الى المدعوين يرمز الى شيئين :-

اولاً : لمشاركة العريس وأهلها - الخبز والملح .

ثانياً : كمساعدة عينية بما يجتمع عنده من الحنطة والجريش :

ملاحظة : تستقبل حاملة الغربال من قبل أهل العريس بالهلاخ

لدى دخولها دار العريس .

حلاقة رأس العريس :

بعد ظهر اليوم الذي يسبق الاحتفال تبدأ مراسيم حلق رأس العريس وذلك بدعوة كافة الشبان وعادة العزاب منهم ليحلقوا رؤوسهم وذقونهم هم أيضاً وذلك بأن يدعى الحلاق الى دار العريس : ويبدأ الحلاق بحلق العريس أولاً ثم المدعوين وأثناء حلاقة العريس يرسل النسوة زغاريدهن وهلاهلن .

حمام العريس :

(مَصْخُونِي دُخْشِنَا) بعد الانتهاء من حلاقة كافة المدعوين يدخل العريس الى الحمام بينما يقف المدعوون من الشبان والبنات والنساء من اقربائه خارجاً وتأخذ الجميع بالغناء والهلاهل - ويخرج من الحمام وهو مرتبياً الملابس التي سوف يرتديها طيلة أيام الاحتفال .
• واما العروس فتتهيأ للحفلة وتزين في بيت خالها .

السنن الاجتماعية عند اليزيدية

ممتاز حسين سليمان خلو

الزواج

الزواج عند اليزيدية يبحث من ناحيتين :
من ناحية السنن ، ومن ناحية الاحكام .

فمن ناحية السنن

يتم الاتفاق بين الراغبين في الزواج في اغلب الاحيان ، وهو لا يخرج عن كونه اتفاقا شخسيا . بعد هذا الاتفاق يتقدم الاب لكي يخطب الفتاة التي يرغب ابنته الزواج منها . فاذا وافق والد الفتاة وامها يذهب والد الفتى مع كبار رجال القرية الى دار الفتاة ويذهب بدمهم مباشرة اقرباؤه واصدقاؤه يصحبهم الطبل والزناي ويدبكون في دار الفتاة ثم يرجعون الى دار الفتى ويدبكون ويرقصون أيضا أما اذا عارض والد الفتاة أو امها ولم يوافقوا على الخطوبة فان الفتى يضطر ان يخطف الفتاة ويتزوجها وهذا الزواج هو زواج شرعي ثم يدفع المهر بعد ذلك والمهر محدد عند اليزيديين ففي منطقة سنجار لا يجوز ان يزيد عن (١٥٠) دينارا مع بعض الهدايا التي تقدم الى الفتاة وكذلك الحال في قضاء الشبيخان اما في بعشقة وبحزاني فهو محدد ايضا ولا يزيد عن (١١٠) دينار في أي حال من الاحوال ويشترط على الفتى ان يقدم ايضا هدية - وتكون عادة من الذهب - الى الفتاة .

بعد ان يدفع المهر يحق للفتى ان يتزوج خطيبته ويستمد لذلك وتقام الحفلات عادة سواء الرقص او الدبكة مع الطبل والزناي وقصد تقام هذه الحفلات قبل الزواج بيومين او ثلاثة وفي يوم الزواج يذهب المشاركون في الحفل الى دار الفتاة يصحبهم الطبل والزناي والرقص ومن

ثم يرجعون وهم العروس الى دار الفتى (الختن) • وتستمر الحفلة عدة ايام ويقدم خلالها العرق وغيره من المشروبات •

اما من ناحية الاحكام

فيحق لليزيدي ان يتزوج ما طاب له من النساء مثنى ، وثلاث ورباع ، ولكن نادراً ما يتزوج اكثير من واحدة • ويحرم الزواج من زوجة اخيه او زوجة عمه او زوجة ابن عمه بعد موتهم • كذلك يحرم الزواج من اخت زوجته بعد طلاقها او موتها •

الزواج غالباً ما يكون من سن الخامسة عشرة فما فوق فقبل هذا تكون الفتاة صغيرة ونادراً ما تتزوج الفتاة قبل هذه السن •

والفتاة بعد زواجها لا ترث عن ابيها • ويحق للفتاة ان تبقى عانسا وتبقى في خدمة ابيها مدى الحياة ، واذا مات زوجها ترجع الى دار ابيها بعد فترة من الزمن اذا لم تلد له ولدا • وقد تبقى تمشي مع اطفالها وفي بعض الاحيان تترك اولادها بعد وفاة زوجها وتذهب الى دار ابيها ويحق لها الزواج ثانية ولا ترث زوجها المتوفى •

ولليزيدية في الزواج طبقات يتميزون بها ، فلا يجوز لابناء الشيوخ منهم ان يتزوجوا غير بنات الشيوخ ، كما انه لا يباح للعامة ان يخطبوا بنات الشيوخ • فتاة من طبقة البير •

اما الطلاق فنادراً ما يحدث عند اليزيدية ويحق لليزيدي ان يطلق زوجته اذا علم انها تقوم باعمال غير شريفة او بسبب اعمال اخرى تحدث بينهما

الختان

من السنن المتبعة عند اليزيدية الختان فيقيم يختنون اطفالهم كالمسلمين • ويكون الختان غالباً بين السنة الثالثة والسنة العاشرة من عمر الوليد • ويشترى ولي الولد الالبسة الفاخرة والاحذية وغيرها من الهدايا ويوزعها على معارفه واصدقائه ليشهدوا حفلة الختان • وقد يصحب زواج احد افراد العائلة ختان اولاد تلك العائلة والختان لا يكون يوم الزواج بل بعد الزواج بخمسة او سبعة ايام وتقام الحفلات والدبكات في كلا الحالتين ايضاً ويقدم الى الضيوف العرق والمشروبات وخاصة بمسد انتهاء الختان • وبعض اليزيدية يختنون اولادهم في احدى المستشفيات دون حفلة او غير ذلك من العادات • وفي اثناء الختان يتخذ في بعض الاحيان للولد (كريف) وهي من انبل عادات اليزيدية ويتخذ اليزيدي من معرفه او صديقه كريفا وذلك بان يضع طفله في حجره (اي حجر الكريف) اثناء ختانه ويصبح بذلك مؤاخياً له ويضحي الكريف او والد الفتى بحياته من اجل الآخر ويكون يده اليمنى في اوقات الشدة

والضيق ، وغالبا ما يكون الكريف (مسلم) اي من احد المسلمين وقد يكون يزديا واذا كانت الكرافة بين يزديين فقد يدخل الواحد في محرمات الاخر ولا يجوز لاحدهما ان يتزوج من عائلة الاخر ويكونان بمثابة آخرين

المحرمات عند اليزيدية

لليزيدية محرمات كما لبقية الاديان فيحرم اكل الخس واللحمة لان هذه الخضروات تسمد بدمرة الانسان . ويحرم على اليزيدي ايضا النظر الى وجه المرأة غير اليزيدية . ومداغبة المرأة التي حرمتها الشريعة عليه من جنسه ويحرم على اليزيدية ايضا ارتياد محلات الانس والطرب (الملاهي) . اما ما يذكره بعض الباحثين في معتقدات اليزيدية وعاداتهم من محرمات فهي مخالفة للواقع وبيافون في ذلك اشد المبالغة ومنهم السيد عبدالرزاق الحسيني في كتابه «اليزيديون في حاضرم وماضيهم» يذكر تحت عنوان المحرمات في الصفحة ١٠٨ بانه يحرم على اليزيدي ان يتغيب عن بلدته اكثر من سنة فاذا اضطر الى ذلك حرمت عليه زوجته . ولكن في الواقع هذه غير حقيقية فكثير من اليزيدية يتغيبون عن بلدتهم عدة سنوات ثم يرجعون دون ان تحرم عليهم زوجاتهم ، ويذكر ايضا انه لا يجوز لليزيدي ان يدخل مساجد المسلمين ولا مدارسهم الدينية ، ولا ان يشرى المسلم يؤدي صلاته لا في هذه المساجد ولا في غيرها من مواضع العبادة . وهذه الفكرة ايضا خاطئة فمثلا المرات دخلت بنفسي الى المساجد ويوميا اشاهد اخواني او اصدقائي يؤدون صلاتهم امامي كما اننا نسمح لاصدقائنا المسلمين باداء صلاتهم في بيوتنا الخاصة - ويذكر بعد ذلك انه لا يجوز لليزيدي ان يحلق عند غير اليزيدي ، ولا ان يبيع ملكه لغير يزيدي . - الخ وكل هذه الاشياء المذكورة لا يمكن تصديقها مطلقا وهي افكار غير حقيقية . ويحرم على اليزيدية ايضا لحم الخنزير . اما بقية اللحوم مثل لحم السمك والدجاج ولحم الغزال فهي محملة كما جاء في العدد الحادي عشر لمجلة التراث الشعبي لسنة ١٩٧٢ وكما يذكره عبدالرزاق الحسيني ايضا في كتابه آنف الذكر في الصفحة الثامنة بعد المائة .

الموت والجنائز

لليزيدية وضع خاص في احتفالات الجنائز ، وتبدأ مراسيم الجنائزة بالموت ، فاذا احتضر يزيدي حضره شيخه ، فيذيب الشيخ شيئا من تراب مرقد الشيخ عمدي في قليل من الماء . ويشرع في صب قطرات من هذا الماء في فم المحتضر ورش قطرات اخرى على وجهه ، على نحو ما يفعله المسلمون ، حالة احتضار موتاهم ، فاذا مات المحتضر سكب الشيخ الماء على جسده ويفسله غسلا دينيا ، ثم يفر على مقاديمه شيئا من التراب المذكور ، كما يذر المسلمون الكافور على مقاديم موتاهم ، ثم يربط رأسه بمنديل ابيض . ثم يكفنه بقماش ابيض ، ويخاط الكفن عليه ويشد عند رقبته ، بعد ذلك

يرفع على عودين معددين في ماء زمزم ، ويسار به الى مثواه الاخير ، يتقدمه قوالان ، يضرب احدهما على دفة بنغمات الحزن ، ويشاركه الاخر بشبابته (آلة للفرز الديني من نوع خاص وهي ما يطلق غالباً عليها النساي) بالنغمات ذاتها ، والمشيوعون خلفه ، من الرجال وبعضهم النساء . وبعد الوصول الى المقبرة ينزل الميت الى قبره . وينصرف المشيعون الى دار الميت ليقدموا التمازي لاهله واقربائه . ولا يجوز نقل الميت من داره الى مثواه الاخير لا بعد غروب الشمس ولا قبل شروقها .

وتقع قبور الموتى بالقرب من المزارات المقدسة . وهيئة هذه القبور لا تختلف عن تلك التي لدى المسلمين .

ولا تنقطع مراسيم الجنازة عند دفن الميت . بل ان المناحة تستمر سبعة ايام متتاليات تذهب النساء مرتين في اليوم الى قبر الفقيد ، يتقدمهن الدف والشبابه .

الاعياد الدينية

عيد يزيد

وهو العيد الذي يأتي بعد الصوم مباشرة ويسمى عيد الصوم ايضا حيث يصوم الزيديون ثلاثة ايام ، وتقع هذه الايام في يوم الثلاثاء والاربعاء والخميس التي تسبق اول جمعة من شهر كانون الاول الشرقي اقصر ايام السنة ، ويكون اليوم الرابع (الجمعة) عيداً عاماً وتقام الولائم والافراح في هذا اليوم ويتبادلون اطيب التهاني والتبريكات ويحتسون الخمرة بافراط ايضا . ١

عيد الجماعة :

يبدأ هذا العيد يوم الثالث والعشرين من شهر ايلول الشرقي (٦ تشرين الاول الغربي) وينتهي في الثلاثين منه (١٣ تشرين الاول الغربي) ويذهب الزيديون من مختلف المناطق الى مرقد الشيخ عدي وتجري مراسيم دينية (يطول شرحها هنا) خلال هذه الايام ثم يتفرقون عائدين الى محلات سكنهم .

عيد الاضحى (عيد الحج)

يقع في اول يوم من حلول عيد الاضحى عند المسلمين ، ويذهب رجال الدين الى مرقد الشيخ عدي . وهناك تجري المراسيم الدينية المتبعة ، بعد ذلك ينصرفون الى ديارهم .

عيد رأس السنة

تبدأ سنة الزيدية في اول شهر نيسان الشرقي (١٤ نيسان الغربي) ويقع عيد السري صال (عيد رأس السنة) في يوم الاربعاء الاول من الشهر المذكور . وتقام الحفلات الدينية والماراسيم في هذا اليوم وتذهب النساء الى قبور الموتى ايضا .

تقاليد واعراف من تكريت

سليم طه التكريتي

مع ان كل المدن والقصبات العراقية يسودها الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية الا ان لكل منطقة او مدينة تقاليدھا واعرافھا الخاصة بها ومناسباتھا الميزة لها والتي يحس بها السكان في حياتهم اليومية الاعتيادية فهناك تقاليد للافراح واخرى للاحزان والالام

والملاحظ ان الكثير من الاعراف التي كانت تحتفظ بها سائر القوميات المختلفة في العراق منذ قرون عديدة قد زالت الان او اضمحلت الى درجة كبيرة وذلك نتيجة التطور الذي طرأ على المجتمع العراقي في السنين الاخيرة والتغيرات الكبيرة التي اصابته حياة الافراد تبعا لتبدل اساليب العيش والثقافة والعمل وما شابه ذلك .

وتكريت ، وهي واحدة من اقدم مدن العراق قد حافظت على الكثير من التقاليد والمادات التي لازمت حياة سكانها في مختلف العصور . وبعض هذه التقاليد وان كانت قد ضعفت في الونة الاخيرة الا انها ما تزال تحتفظ بالكثير من سماتها المميزة لها :

فمن التقاليد الباقية في تكرت بالنظر الى المناسبات المفرحة ، الحفلات الشعبية التي تعقد في مناسبات الزواج والختان وغيرها . ومع ان الشباب المتعلم قد تخلى الان عن هذه التقاليد الا ان البقية ما زالوا متمسكين بها .

فما ان تعلن خطوبة احدهم ويحدد موعد «الدخلة» حتى تعقد في بيته حلقات الرقص «الدبكة» التي تسبق زواجه بعدة ايام وهذه الحفلات تكون عادة على نوعين احدهما خاص بالشباب والاخر بالفتيات . ذلك ان اقارب العروسين واصدقاهما وكل محبي الطرب والانس من ابناء المحلة التي ينتمى اليها العريس والمحال الاخرى ، ينتظمون في حفلات الرقص هذه ويرقصون على نغمات «المطبق» والناي والطبل . والوقت المفضل لمعقد هذه الحفلات هو الفترة القائمة ما بعد صلاة الظهر حتى غروب الشمس .

ولا يكتفى احيانا بمعقد حلقات «الدبكة» هذه وحدها بل تجري فيها لعبة «الساس» المعروفة ، وهي تسمى لدى اهل تكرت بـ «الترس» لعبة «الدرك» - بالكاف الاعجمية - جمع «دركة» وهي «الترس»

اما في الارياض المحيطة بتكرت فقد تقام الى جانب هذه الالساب حلقات سباق الخيل كل ذلك ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة . وتطلق العيادات النارية اثناء حلقات الدبكة وغيرها ، ويتعاطف اطلاقها حين يزف العريس الى مخدع العروس

وقبل ان ينتشر خبر عقد القران وتعقد اولى حلقات الدبكة تطلق في بيت العريس عدة اطلاقات نارية متتالية وذلك اعلانا بمعقد القران وايدانا ببدا حفلات الرقص والساس وما سواها

والاعتاد ان تستمر هذه الابتهاجات مدة ثلاثة ايام لكن كثيرا ما يحدث ان يطول امدها لاسبوع كامل

وفي ليلة الدخلة، يزف العريس وسط اقاربه واصدقائه في موكب تتعالى فيه اصوات الطلقات النارية من كل جانب الى ان يدخل بيته حيث يتجمع كل الذين جاءوا معه في صحن الدار او في غرفة ثم ينتظرون خروجه بعد دخوله على عروسه حتى اذا ما انتهى من العملية خرج اليهم وفي يده منديل ملطخ بالدم واذا ذاك يبداون بضاقه واحدا اثر واحد وينصرفون الى اهليهم .

وكذلك تعقد حلقات الدبكة والدرك وغيرها في مناسبات ختان الاولاد وتستمر مدة ثلاثة ايام او اسبوع كامل ايضا .

وقبل ان تنتشر المدارس ويم التعليم كان في تكرت - كما في غيرها من المدن الاخرى - تقليد الاحتفال باكمال احد الصبيان قراءة القرآن الكريم

فما ان يكمل الصبي قراءة القرآن حتى يستمد اهله وزملاؤه في اكتساب للاحتفال به فيرتدي احسن ملابسه ويضع مصحفاً على «رحلة» فوق راسه ثم يسير هو وزملاؤه في الشوارع والطرق وهم يرددون بعض الاغانى او الاناشيد الخاصة عند المناسبة ويعرف هذا الاحتفال باسم «الختمة» وقد انقرض هذا التقليد ولم يعد له من اثر قط في الوقت الحاضر وكان اخر موعده على ما اتذكر اواخر سني العشرينات

★ ★ ★

ومن تقاليد الافراح ما يحدث في ايام عيدي الفطر والاضحى المباركين فبالاضافة الى خروج الاطفال والشباب ذكورا واناثا الى مشهد «الاربعين» للزيارة والاستئناس تقام في صبيحة اليوم الاول من العيدين المذكورين ولائم في بيوت عديدة في كل محلة من محلات تكريت ويطلق على هذه اللائم اسم «العيدية» وذلك ان كل من يقصد صاحب البيت لتهنئته بالعيد لابد له ان يتناول الطعام هناك ويشرب القهوة ايضا حتى وان كان قد طاف ببيوت اخرى اقيمت فيها مثل هذه اللائم التي تبدأ في باكر الصباح وتستمر حتى الظهر ولا تزال عادة اقامة هذه اللائم موجودة الى الان وقد اتسعت اكثر مما كانت عليه قبلا نظراً لتحسن احوال المعيشة وزيادة موارد الرزق وكذلك يجري السباق على ظهور الخيل والدواب في ايام العيدين الشهيدين الفطر والاضحى ايضا

وما اعتاده الشباب في تكريت وظلوا متمسكين به حتى الى ما قبل ربع قرن من الزمن ، هروهم الى نهر دجلة للسباحة فيه بعد صلاة العشاء من ليلة اليوم الاول من عيد الاضحى ويطلقون على هذه السباحة «الاغتسال في ماء زمزم» تيمنا ببشر زمزم في مكة المكرمة وكان هذا التقليد يطبق على نطاق واسع في السنوات التي يقع فيها عيد الاضحى في مواسم «الصيف او اوائل الخريف واواخر الخريف

وكان «الاحتفال بليلة «الحية» من التقاليد العريقة في تكريت وليلة الحية هي النصف من شهر شعبان وكلمة «حية» مأخوذة من «احيا الليل ساهرا» .

وكما يحدث حتى الان في بغداد وغيرها من المدن الاخرى يتجمع الشبان في الشوارع والساحات ويتبارون في اطلاق الالعب النائية من امثال «الطرقات» ، والزناير وعين الشمس وشخظ رحلو وما شاكل ذلك لكن شبان تكريت لا يدورون في الشوارع ليلاً مثلما يفعل شبان بغداد ذلك وانما يتجمع عدد كبير منهم للمبيت في بيت «الملا» اي صاحب الكتاب الذين

يدرسون فيه حيث يجلب كل واحد منهم فراشه معه ويقضون الليل
ساهرين وهم يقنون او ينشدون بعضا الاناشيد الخاصة ، ويلعبون بعض
الانعاب ، ويجتهدون في ان يظلوا يقظين حتى الصباح ذلك لان الاسطورة
التي كانت شائعة لدى العوام وما زالت هي ان ابواب السماء تفتح على
مصاريعها في تلك الليلة وان من يبقى يقظا ويشهد لفتح ابواب السماء
ويدعو الله بشيء آنذاك تستجاب دعوته وتقضى حاجته

* * *

وللمناسبات المؤلفة كالوفاة أو المرض تقاليدها ايضا فكما هو باق
حتى الان في بغداد وغيرها بالنسبة الى الاصابة بمرض الحصبة ، يلف
الطفل المصاب بقماش احمر اللون ويطاف به الشوارع ثم يذهب به الى
«المجزرة» التي تعرف في تكريت باسم «قصابخانة»

اما في حادثة الوفاة فبعد الانتهاء من مراسيم التشييع والدفن وتوزيع
الخيرات عن روح الميت وهي عادة تتكون من الخبز والتمر وبعض النقود ،
يعام مجلس الفاتحة ويكون قيامه مستمرا من باكر الصباح حتى الساعة
الثاسعة او العاشرة ليلا ويستمر مجلس الفاتحة عادة مدة ثلاثة ايام وقد
يمدد احيانا الى مدة اسبوع وتقدم فيه القهوة والسكريا ونجد موائد الطعام
عند الظهر وبعد المغرب وذلك بخلاف ما هو جار الان في بغداد حيث لا يعقد
مجلس الفاتحة الا مساء ولا يقدم الطعام فيه الا في اليوم الثالث من انعقاده
او فضلا عن ذلك تتلى الصلوات من قبل عدد من القراء بعد الانتهاء من
 تلاوة القرآن الكريم كل مساء ويشترك في هذه الصلوات معظم الحاضرين
في المجلس وتختم بعد زهاء نصف ساعة بقراءة سورة الفاتحة . وكثيرا ما
قام عدة مجالس للفاتحة عن شخص واحد في نفس تكريت بالإضافة الى
امانتها في المدن التي يوجد للمتوفى فيها بعض الاقارب من امثال بغداد
والشرقاوط وبيجي والموصل

والاعتاد في تكريت ان يعين عدد من حفظة القرآن ، وكلامهم من العميان ،
لقراءة القرآن على قبر الميت منذ الساعة التي يدفن فيها حتى صبيحة يوم
«جمعة المقبل» . ويشترك اكثر من ثلاثة او اربعة قراء في هذه القراءة
وتتنصب لهم خيمة فوق القبر اوعلى مقربة منهم ويرسل اهل الميت اليهم
طعام ويزودونهم بالقهوة وادواتها بالإضافة الى الاجور التي تدفع اليهم
ثناء ذلك

وعند مرور اربعين يوما على الوفاة يتلى القرآن الكريم بكامله في
مجلس يعقد في بيت اهل المتوفى ويحضره حفظة القرآن وغيرهم ممن

يجيدون قراءته حيث يطلب الى كل واحد من هؤلاء ان يقرأ «حزبا» مخصصا له من احزاب سور القرآن ، حتى اذا ما انتهى من اتمام تلاوة القرآن اختتم بالدعاء وبقراءة سورة الفاتحة ووزع على كل واحد من الحاضرين رغيفا من الخبز وشيئا من التمر لينصرف كل الى اعله بعد ذلك . والمعتاد ان تكون القراءة في هذه «الختمة» سرية وبلا صوت

ويحتفل بمرور السنة الاولى من الوفاة باقامة «المولود» اي قراءة قصة المولد النبوي الشريف وتلاوة القصائد والمدائح على دق الدفوف . والقصة المفضلة للمولد النبوي هي قصة الشيخ البرزنجي الذي نظم قصة مولد النبي من اولها الى نهايتها باللغة العربية الفصحى وعلى روي واحد وقافية واحدة . ويستمر هذا الحفل الى ساعة متأخرة من الليل تبد بعدها موائد الطعام المؤلفة من «الدولة» و«الحلاوة» المصنوعة من انسكرو والرز

وكان يستغاض قبلا عن الرز بالبرغل لقله اسعاره وندرة وجوده ، كما يستغاض عن الحلاوة بنوع من المرق مصنوع من اللحم والزبيب والحصى يطلق عليه اسم «حامض حلوه»

وكتيرا ما يعمد بعض اصحاب الطرق الصوفية الذين يحضرون مثل هذه «المولود» الى ممارسة «المعزات» المعروفة عنهم كضرب بطونهم بالخناجر والسيوف ، او حمل وعاء مليء بالجمر باسنانهم وما شابه ذلك من الخوارق

ويقيم اهل تكريت احيانا قبابا فوق قبور موتاهم تقوم على اركان اربعة وتكون جوانبها الاربعة مفتوحة حيث يخرج اهل المتوفى ، ولاسيما النساء منهم لزيارة القبر صبيحة كل يوم خميس او جمعة وفي اليوم الاول من عيدي الفطر والاضحى

* * *

هناك اعراف لها مدلولها البارز في احداث اللفة بين المواطنين وزيادة التعاون فيما بينهم ، ومحاربة الفقر والعوز بطريقة عملية .

من هذه الاعراف توزيع الطعام في كل مساء على الجيران ويطلقون على ذلك اسم «الطعمية» فكل بيت يطهو شيئا من الطعام يوزع قدرا منه على جيرانه ، كما يتلقى ذلك البيت ذاته «الطعمية» من جيران آخرين له . وهكذا نجد الفقير والعوز الذي لا يملك قوت يومه ولا عشاء له وقد توفر لديه اكثر من لون واحد من ألوان الطعام في كل مساء ولهذا كان من النادر ان

نجد بيتا واحدا في تكریت مهما كان معوزا يخلو من الطعام في امسية من الاماسي ولا يقف توزيع الطعام عند هذا الحد بل يتعداه الى الفقراء والاغراب الذين يجدون مأواهم في المساجد حيث يرسل اليهم الطعام ومن انواع عديدة كل مساء

ومن تقاليد «التكارتة» الحميدة الباقية حتى اليوم ، توفير الطعام والماوى لكل قاصد او عابر سبيل وذلك في الدواوين العديدة في البلدة . ولا تزال تكریت حتى الوقت الحاضر من المدن الذي ينعم فيها بوجود مطعم او فندق ، لان ما يحتاج اليه الزائر او المسافر هو ودايته من طعام وماوى يجده في هذه الدواوين التي ستفرد لها بحثا خاصا في عدد قادم من هذه المجلة .

ومن التقاليد الاخرى ايضا تقديم العون في كثير من المناسبات ومنها بناء البيوت ، وحصاد الزرع ، وزراعة الشواطىء وما شاكلها . وتصرف المساعدة التي تقدم في مثل هذه المناسبات بنسم «الفزعة» فما ان يعلن احد من ابناء المحلة عن نيته في بناء دار له حتى يهرع كل اولاد المحلة الى مساعدته في ذلك حيث يستمر العمل المجاني هذا عدة ايام على ان يهيئ صاحب البناء طعام الفطور والغداء لعماله المتطوعين هؤلاء ومثل هذا يحدث ايام الحصاد ايضا وكذلك عند زراعة الشواطىء التي يطلق عليها اسم «شطبية» وجميعها «شطيطى» باللهجة التكريتية . و «الفزعة» في الشواطىء تبدأ حين يشرع بنسعيد الزرع حيث تحفر الارض الملاصقة للشتلات الى ان يظهر الماء فيها وقد يكون عمق الحفرة اكثر من متر أحيانا ثم يؤتى بالسماد فتملا به تلك الحفر ويطلق على هذه العملية اسم «التقويو» الذي يبدأ العمل به عصرًا ويستمر طيلة الليل حتى صباح اليوم التالي .

واعتاد اهل تكریت وما زالوا حتى اليوم ، ان يستقبلوا الحجاج العائدين بالدفوف والاعلام والمذائح من المحطة في الايام التي كان الحجاج يستقلون فيها القطار من بغداد ، حتى بيوتهم ، وحين فضلت السيارات على القطار صار الاستقبال يجرى على مسافة عدة اميال خارج البلدة . ويتبع هذا الاستقبال اقامة «المواليد» في بيوت الحجاج لقراءة المنقبة النبوية والقصائد والمذائح .

كذلك اعتاد اهل تكریت في السنين التي كان أخطر ينحبس فيها ان يقوموا بعملية الاستسقاء حيث يتجمع عدد كبير من «الماللي» واصحاب الطرق الصوفية بعد اداء صلاة الجمعة مع جمهور غفير من الرجال والفتيان فيخرجون في شكل تظاهرة شعبية الى خارج البلدة وهم يقرعون الدفوف

وينشدون قصائد التضرع الى الله بان ينزل عليهم رحمته من المطر ويستمر
الركب في سيره هذا حتى يبلغ مزار الاربعين وبعد ان تصل في المزار صلاة
خاصة بالاستسقاء يعود الجميع من حيث اتوا . وقد ضعفت هذه العادة في
السنوات الاخيرة كثيرا حتى انقرضت مثل غيرها من العادات والتقاليد
الآخري .

وإذا اضاع احدهم حاجة او سرق منه شيء يستخدم احد «المنادين»
ليجول هذا في شوارع البلدة وليعلن عن نوع الحاجة المفقودة او المسرقة
وعن اصحابها ويطلب الى كل من له علم بها ان يدلّه عليها او يخبر اصحابها
عنها

وكثيرا ما يحمل هذا المنادي مصحفا على كتفه ، وذلك ليكون وقعه
شديدا على سامعي النداء ، فيسير في الدروب وهو ينادي قائلا : .

هذا الدين يبقاه رب العالمين . عالشفات عيتو ، عالسمنت اذنو ،
عالمندو علم بيت «فلان» انصفقت منو صلفية مبيضة يدها مبطيعة الي
يقدما او يخفي عتنا لولو الاجر والثواب ومعنى هذا النداء هو « ان هذا
هو الدين ، اي القرآن الكريم ، فوكة رب العالمين فمن رأت عينه ومن
سمعت اذنه ومن له علم فليعلم بان بيت فلان قد سرقت منه مشربة نحاسية
مطلية ويدها مكسورة فمن يردّها او يخبر عنها له الاجر والثواب »

ومن تقاليد التكاثر الباقية حتى الان توزيع جزء من حاصلات
الشواطي على الاقارب والاصدقاء وتكون الكميات الموزعة من هذا الحاصل
تبعا لكثرتهم وجودته . وبالإضافة الى ذلك اعتاد صبيان تكريت حين تجزى
ثمار الشواطي وذلك في اواخر شهر تشرين الاول وتعرف عملية الجنسي
هذه باسم «التشريط» اعتاد هؤلاء الصبيان ان يقفوا في تقاطع الطرق التي
يسر بها الاشخاص الذين ينقلون الحاصل ويخاطبونهم بكلمة «الحديسة»
- يتشديد الياء - فيصمد كل واحد من الناقلين الى توزيع شيء من الرقسي
والبطيخ على اولئك الصبيان

كذلك يتم توزيع جزء مما يجلبه الناس القدامون من سفر من مأكولات
«كالحلويات وما شاكلها على الجيران ايضا وتعرف هذه باسم «المصوغة» . كما
يوزع اهل المتولى كميات من اول ثمر جديد ينزل الى السوق على الجيران
وغيرهم ومن التقاليد التكريتية التي لا تزال برقية منها حتى اليوم «صوم
الخرساني» الذي تصومه الفتيات والذي يعرف في بغداد باسم «صوم
البنات» حيث يصمد عدد كبير من الفتيات الى صيام يوم اول «احد» من شهر

رجب المبارك وعدم النطق ولو بكلمة واحدة طيلة اليوم ولهذا سمي ذلك
(صوم الخرساني) اي «الخرس» الذي لا يتحدث الا بالاشارات

وكما كان يجري في بغداد قبالا في الايام التي يحدث فيها خسوف
القمر او كسوف الشمس ، كان الناس يضربون الطبول والايوانى النحاسية
والمعدنية الاخرى فوق السطوح ، او يطلقون الاطلاقات النارية احيانا
بالاضافة الى الاذان والتكبير في المساجد الى ان يضربوا الطبول والايوانى
النحاسية والمعدنية الاخرى فوق السطوح ، او يطلقون الاطلاقات النارية
احيانا بالاضافة الى الاذان والتكبير في المساجد الى ان يزول الكسوف او
او الخسوف

واعتاد كثير من اهلنا تكريت في الايام التي لم يكن العلاج معروفا
او متوفرا فيها ان يأخذوا المصاب بالتهاب في عينيه الى احفاد «حسين النجم»
صاحب القصة الشهيرة مع «السعلاة» في تكريت ليعالج ذلك الالتهاب بتفلة
من قم احدى الحفيدات او الاحفاد *

تقاليد الفرح والحزن في سامراء

عبد الجبار محمود السامرائي

عندما يريد شاب أن يتزوج فتاة ، يرسل امه أو اخواته الى بيت الشابة التي يروم الزواج منها لأجراء مشاورات معها ومع والدتها بصدد الموافقة . ومن أولى مهمات الام واخوات الخطب فحص الفتاة من قمة رأسها حتى أخمص قدميها بغية الوقوف على درجة جمالها وتفاوتها من كل عاهة أو عيب جسماني .

وبعد أن ترضى الأم واخوات الشاب على الشابة . يخبرن بدورهن الشاب بانها جميلة وحلوة ... ثم بعد ذلك تتخذ الترتيبات لمفاتيح ولي أمرها . وتلمب أم الفتاة الدور الرئيس والفعال في المسألة . وعندما يوافق ولي أمر الفتاة . يقوم الشاب بتهينة جماعة من اقاربه البارزين ثم يذهبون الى دار الخطيبة . وعندما يقدم لهم الطعام . ثم يبدأ أوان الحوار . والاتفاق على مقدار الصداق (المهر) وإذا ما طلب ولي الامر مهراً غالياً . يطلب منه الحضور أن يتنازل لكل واحد منهم عن مبلغ من المال . فضلاً يقول له (زيد) : وكم تتنازل لخاطري ؟ فيجيبه ولي الامر عشرة دنانير ، ويعقبه (عمرو) وكم تتنازل لخاطري أنا الآخر؟ فيجيبه (عشرة دنانير) ... وهكذا ... حتى يبرم الاتفاق على الصداق ويأخذ صيفته النياية . ويحدد المهر الغائب (المتأخر) .

وقبل عملية (الصباغة) جرت العادة أن يجلب للشابة خاتم الخطوبة (الدبلة) لتلبسه في يدها اليمنى مع (صوغة) دسمة ٠٠ ويجرى بعد ذلك حفل نسوي في بيت الشابة تحضره صديقاتها المهنئات .
وحينما يتم عقد القران في دار الفتاة توزع الحلوى (الشربت) وتتلو زغاريد النسوة وتقام حفلة للعروسة تغني فيها الفتيات ويرقصن رقصات الفرح .

وحيث يقوم اهل الشاب بأعداد ملابس الزواج (جهاز العروس) يقوم اهل الفتاة بشراء المصوغات الذهبية للعروس ٠٠ وبعد الانتهاء من هذه الترتيبات يحدد موعد الزواج .

وفي يوم الزواج الذي غالباً ما يكون ليلة الخميس على الجمعة او ليلة الاثنين ٠٠٠ يقوم اهل العريس بأعداد الوليمة للاصدقاء والاقارب فيدعون اليها هؤلاء لمشاركتهم الافراح .

والشائع في سامراء اقامة حلقات الديكة المعروفة بـ (الجوي) في الريف ونصب (الحوافة) اي غرفة الزواج التي تبنتي من قبل الزوج عادة على مقربة من الدار ٠٠ حيث يجتمع المحتفلون بالقرب منها يرقصون ويغنون على ايقاع نغمات (المطبخ) ولهم في ذلك اغانٍ شجية عذبة حلوة .

اما النساء فيقيم بعملية صبغ يدي العروسة بالحناء في (ليلة الحنة) التي تسبق ليلة الزواج بعد خروجها من الحمام ٠ ويرافق هذه الليلة حلقات من اغانى البنات الشعبية .

وعندما تأتي ليلة الزفاف يقوم اصداقاء العريس واقرباؤه وذووه بزفافه ٠٠ وجرت العادة ان يخفي العريس عن الانظار ٠٠ ثم يبحثون عنه وحينما يجدونه يذهبون به الى الامام علي الهادي (رضي) ليقوموا بتزويده ٠٠ ثم بعد عودتهم به من الزيارة يحملون معهم المشاعل وهم يهزجون (مبارك عرسك ياخونة) ٠٠٠ الى أن يصلوا به الدار ٠٠ حيث يسكنونه عن اليمين وعن الشمال وسط هدير اطلاق الميارات النارية في الجو تعبيراً عن الفرحة الفامرة ٠٠ وهم يهزجون مختلف الأغنيات الشعبية والهوسات التي منها (شايف خير ومستاهلها) و (صقن يا بيبي شهود إلنا) و (لو هلهلتي هلهلناج) ٠٠٠ الخ من الاهازيج الشعبية الطريفة ٠٠ وعندما يقترب المركب من باب غرفة الزواج حيث يتم زفاف العريس تبدأ بعض العمليات الخبيثة التي يقوم بها اصداقاء العريس من العزاب والمتزوجين ، ومنها عمليات (القرص) والنقش وما اليها ٠٠٠ وحين يدخل العريس عتبة عش الزوجية جرت العادة ان يضعوا تحت قدميه خنجرًا دلالة على منع الشيطان من الدخول الى العش ، لان الشيطان يخشى المواد الجارحة .

وعندما يدخل العريس الى الغرفة يجد العروسة عندئذ بانتظاره ومعهما جمهرة من النساء اللواتي يخرجن ولا تبقى منهن سوى امرأة صوبحة الوجه ، فالعادة والتقليد يقضيان أن تكون هذه المرأة حنة تنظر كسي تقوم بمسكة العريس والعروبة اليدين ومن ثم تخرج الى حان سيبلها وتفتح الباب على العريسين .. بينما تقوم العروس بمحاولة سبق زوجها بوضع قدمها على قدمه اعتقاداً منها بالسيطرة عليه بعد الزواج .

وبعد فترة وجيزة من دخول العريس على العريسة التي بعد التماسك بالأيدي جرت العادة أن يخرج الى اصدقائه وزفاته لكي يصانحهم ويشكرهم على حضورهم حفل زواجه ثم يعود الى قفلة احلامه .. ويرجع يحتفلون الى بيوتهم ليحضروا له الهدايا في اليوم التالي .

وفي الصباح الاول للزواج يتقاطر الناس على بيت العريس حاملين معهم الهدايا منها (صواني الشكرله) ومنها (الخرفان) ومنها (الحلويات) و (الفوريات) وغيرها من الهدايا العينية والمزينة .. وهناك عريسة مالية يقوم العريس باعطائها للعريسة تسمى (النصيجة) كما تقوم أم العريس ووالده أيضاً باعطاء العروسة هدايا مالية اي (نصيجة) . ومن تقاليد النساء اللواتي يأتين لتبئنة العروسة وضع غلام من الأطفال في حضنها لاعتقادهن بأن وضع الغلام دلالة على انه ستحمل غلاماً! فالغلام مفضل على البنت .

هذه أبرز تقاليد وعادات الزواج في سامراء .. سواء في المدينة أو في الريف .. ولا تكاد تختلف الا في بعض الاشياء الطفيفة لا أنها لا تختلف من حيث الجوهر ... ولعل النقطة الوحيدة التي نستطيع ان نعتبرها فرقا بينا ، هو أن اهل المدينة يجلبون الحاكم الى بيت العروسة لتصدق المهر ، اما في الريف فالجاري أن (الملا) هو الذي يتولى عقد القران وكفى .. ثم يتم الزواج على مبر الملا .. ويسمى (مهر العرب) .

الوصلة

عندما يموت شخص ما يجري تشييعه ودفنه وتوديعه وفق مقتوس دينية وعادات وتقاليد خاصة نذكرها هنا بشيء من الإيجاز :

إذا كان الفقيد شاباً أو وجيهاً أو ذا مركز مرموق في القبيلة او العشيرة تجري له مراسيم توديعه معينة .. تليق بمقامه ومنزله بين المجتمع . حيث يتحمل في بعض (تابوت) من بيته الى المسجد الجامع ، حيث تقام صلاة الميت على روحه .. وبعدما يتجهون به الى حضرة الامام علي (ع) انفاذي وحسن العسكري في سامراء ليؤدبوه .

بعد الانتهاء من الزيارة يخرجون بالنعش متجهين صوب المقبرة حيث يوارى فيها التراب ... بينما تتهاافت الناس وتشربق نحن جزء من

اقسام: الثابت ٠٠ مرددين كلمة المزاء (لا اله الا الله ٠٠٠٠) وعيون الناس مفضلة بالدموع ٠٠ وهناك عن يمين النعش وعن شماله زيد وعمرو من اقاربه واصدقائه وخلاته يصبون جام غضبهم على وجوههم ورؤوسهم وهم يبكون ويخشون وجوههم ٠٠ فيما تتعالى اصوات المياريات النارية متتابعة لتشق عنان السماء ٠٠ ويختلط دوي النواح بأزيز الرصاص ٠٠ فيما ترى الاهازيج والهوسات من افواه المشيعين ساردة مآثر وخلال وفضائل الفقيده الراحل ٠

وعندما يصل النعش الى المقبرة يوضع الميت مسجى باتجاه القبلة (الكعبة) ثم يقوم (الملا) بتلاوة القرآن على مقربة من رأسه ٠ وبعد الانتهاء من الحفرة ينهض الرجال لموارثته بالتراب ٠٠ حيث يتوسطهم (الملا) بتلاوة بعض الطقوس الدينية المعروفة ثم يدفن الفقيه ٠٠ وتوزع على قبره الدراهم والنقود كرامة لروحته وثواباً له ٠٠ وبعد هذا يرجع الناس الى بيوتهم بينما يذهب اهل الفقيه الى دارهم ليعقدوا مجلس الفاتحة التي تنصب لمدة ثلاثة ايام او سبعة ايام بليلاتها حيث تقام مآدب الطعام وتوزع القهوة والسجائر ٠

ذالى جانب مجلس الفاتحة الذي يقيم الرجال ، فان النساء يقمن من الاخرى بالمناعة والتعديد والنمي وشق الجيوب والخدود وجزر الشعر ٠٠ وغير ذلك من المظاهر المؤلمة ٠

ومن عاداتهن استكراه (عداة) مختصة بفن التعديد ٠٠ حيث تقف هذه العدادة بينن مرودة اشعاراً حزينة بكائية تقطع نياط القلب ٠٠ وحيث بدأ التعديد والمطه والدم تمنطقت النساء بأنطقه ٠٠ وجعلن يرددن اللازمة مع العدادة ٠٠ وتبلغ بهن درجة الهوس الى (صفق) اليدين الى الأعلى وابراز بعض ممارسات الرقص الحزائني الخاص حيث يرفعن اجسامهن ويلوحن ؛ (الافواط) ذات اليمين وذات الشمال ٠٠ ويطلقن (الزغاريد) والهلل مع الرقص الحزائني ، ويطلقن الضحكات ايضاً ٠٠ وبمعنى آخر اقامة (عرس) للفقيه ٠٠ اذا كان شاباً ٠٠ حيث يحملن صورته ويقمن له العرس ان لم يكن من المتزوجين بعد !!

وحيثما يأخذ التعمب والارهاق من النساء اللاططات مأخذه ٠٠ يستقطن على الارض وقد اغمي على بعضهن ٠٠ من شدة الاعياء وتنام هؤلاء المسكينات على الأرض بلا فراش ، وتستمر هذه الحالة حتى انتهاء (الجبانة) ٠

وجرت العادة لدى النسوة اقامة حلقات النمي ، حيث تقوم (الناعية) باطلاق تماير شعرية حزينة وفق قواعد خاصة بالنمي مصحوبة بولالات وتشنجات على وتيرة واحدة ٠٠ والنساء يضمن (الخمار) على وجوههن حتى يتنقع من الدموع ٠

واللباس او الزي للنساء عند الجانية هو السواد فقط ، ولا يحق
لاية امرأة تأتي للتعزية وهي ترتدي ثوباً ليس اسود .. كما لا يحق
لها ان تأتي الى العزاء وهي حاوية في جيبها قلادة أو يحيط باصبعها
(محبس) أو يحيط يدها (سوار) .

ومن تقاليد النسوة بعد وفاة فقيدلهن ، عمل (حلاوة) من التمر ،
تمجن بالدهن والطحين ، ويوزعها على الاطفال فقط ، شريطة ان لا تأكل
النساء منها ، كما يوزع الكمك والشوكلاته والحلويات على الاطفال أيضاً ،
معتقدات بأن الفقير الشاب سوف لن يذهب الى الحياة الآخرة وفي نفسه
لهفة الى هذه الاشياء كان قد حرم منها في دنياه !

ومن عادة ذوي الفقيد البقاء ملتصين بلا حلاقة لوجوههم ، مدة سبعة
أيام .. وهنا جرى العرف بأن يتبرع احد اقاربهم بالذهب بهم الى الحلاق
لحلاقة شعرهم .. والمعروف ان غزارة شعر الذقن تدل على الاسى والحزن
والكآبة .

وبعد مضي مدة سبعة أيام على وفاة الفقيد أيضاً ، جرت العادة أن
يقوم اهله بعمل طعام وتوزيعه على الفقراء طلباً للثواب من الله تعالى لتفقد
الراحل .

وبعد مضي مدة اربعين يوماً على الوفاة او اكثر ، جرت العادة إقامة
(المولد النبوي) حيث تتم قراءة المنقبة النبوية الشريفة في المولود بالإضافة
الى ترديد الاغاني الدينية الحزينة التي تسمى (الفراقيات) المثيرة للمواطف
والمؤجبة لها ، ويدعى هذا المولود : (مولود الحزن) .

اما في الاعياد ، فالجاري من التقاليد ، ذهاب اهل الفقيد من الرجال
الى ضريحه لمعايدته وزيارته والبكاء عليه ونثر الدراهم او غيرها على قبره
طلباً للمثوبة له .

كما اعتادت النساء الذهاب اول يوم العيد منذ الصباح الباكر وعند
الفجر الى الضريح معتقدات بأن الميت يراهن اذا ما ذهب وقت الفجر ،
حيث تنصب (المعادة) وتشتغل (الجانية) حتى يظهر .
ولهن عادة أيضاً ، تعليق صورة المرحوم وتزيينها وإيقاد الشموع
وحرق البخور وبث اكاليل الزهور على اركان القبر .. اكراماً للفقيد
العزیز .

هذه اضمامة من عادات وتقاليد مدينة سامراء في افراح أهلها وأتراحهم
.. كان الفضل الاول والاخير لوالدتي في تدوين تقاليد الانسراح ... في
سامراء على الاخص .

عادات وتقاليد الزواج في الكاظمية

مهدي حموي الانصاري

كانت عادات وتقاليد «الزواج» في الثلاثينات والاربعينات حافلة بالطريف الشائق وكانت لهذه العادات والتقاليد ، أيام مشهودة ومشهورة تملأ المجالس الشعبية غناءً وطرباً حتى الصباح ، وتصطبغ - الصفحات - والردات - الحلوة - الساذجة في قلوب طيبة ساذجة عن اغان وعادات - ذاب اكثرها - وكانت عادات متدفقة ثرة بين دنيا الناس ايا مذاك .

وكانت مواعيد زفاف العريس بهيجة مرحلة تسعد هؤلاء الناس وتمتع قلوبهم في سويحات نشوى بسماع «المربعات وسط الهلهل والصفكات» وقد ذهب احد الكتاب الفولكلوريين «الى انه قبل نصف قرن وملا بعد ومع اغفاءة الشمس في صفاء الليل تبدأ الاقدام مسرعة نحو دار معينة في تلك المحلة او ذلك الطرف للمشاركة في احياء حفلة موسيقية غنائية راقصة شعبية تقام بمناسبة قرب زواج احد ابناء المنطقة او ختان احد اطفالها وعلى «الدواشك» و «المخاديد» يجلس المشاركون لاحياء هذه الحفلة بروح مواطنة سامية ومثالية .. موسيقى الحفلة «الدنايك» و «الزغاريد» وأغانيها و «المربعات» و «بستات» وتبدأ الاكف تلثم بعضها برتابة حلوة على نفحات مطرب «المربعات» المرافقة طرقات «الدنايك» ويجيب الحاضرون وتنتشر

النسوة المتلفعات ، فوطهن «وچراغدهن» و «الزغاريد» و «الهلاهل» من امكنتهن فوق السطوح وتستمر الاكف ثلاثين بعضها والمطربون الواحد تلو الآخر و «الزغاريد» تنشرها النسوة دفعة دفعة حتى مطلع الفجر وبعض «الصفقات» تستمر لثلاثة ايام وبعضها لمشرة وبعضها لسبعة وبعضها لاربعين يوماً حسب الحالة المادية والاجتماعية لصاحب الدار

ولا تزال بعض العوائل الشعبية «الكلماوية» الى يومنا هذا تمنى بذلك عادة وتقليداً و اسلوباً شعبياً طريفاً في دورة الحياة .

ان العادات والتقاليد التي تناولها العقل الشعبي في مناسبات فولكلورية اثيرية توارثها «الكواظمة» عادة وتقليداً خلفاً عن خلف حريصة بالتسجيل والتدوين خشية نسيانها واندثارها . ان لكل مدينة في القطر طابعها المميز من العادات والتقاليد ، ربما تشابهت وقد لا تتشابه بل مرة كمادات وتقاليد «الزواج» وهو صلب موضوعنا هذا ..

خطبة العروس - المشيه

اذا رغب والد الفتى تزويج ابنته من بنت الحلال بعد ان صار (رجال) «اكمل العشرين» وشواربه بيديه وهم يقسمون بـ «الشورب» وانه باستطاعته ان يعمل عمل والده عند غيابه يكلف والده زوجته ، ام الفتى على ايجاد بنت الحلال . تتشاور ام الفتى مع قريباتها وجاراتها لايجاد الزوجة المهيودة وقد يقع الاختيار بعد مشاورات طويلة على فلانة بنبت فلان ، او على غيرها من بنات الجيران . ترتدي ام الفتى افخر الثياب وتزين بالخشيلات الذهبية كالترابي والمحابس والكلادة وتذهب مع قريباتها على غفلة او تخبر بالزيارة . فتستقبل ام الفتى من قبل الجيران بلترحاب البالغ ويقدم الشاي والبqvصم والشربت والجكاير للام وصويحاتها ويدخلن في ثرثرة طويلة وام الفتى تنظر الى الفتاة وهي تمنى نفسها بان تكون زوجة لابنها . تطلب ام الفتى قدح ماء . ثم تقول «عيني بالفرح انشاء الله » وهذه اولى علام الخبطة في الوسط الشعبي . تحدث ام الفتى والدة الفتاة بالموضوع السعيد او تؤجل ذلك الى اليوم التالي في تزويج فلانة لابنها فلان . تعود الام الى بيتها وهي فرحة مستبشرة فتواجه ابنتها لتقول له «عيني شفتلك مره العين عين غزالة الغد تفاح عجم ، شطيه الخشم نوژه الحلك عقيق ، الشعر اصفر ، الركبسه بلور ، بيضه مثل البرف ، عيني عبالك كطاية ، الخ)

ومن الطريف ان الفتى كان يتزوج على وصف امه او شقيقته او احد قريباته اذ لا يمكنه مشاهدة الفتاة ، اذ يحرم على الفتى رؤية خطيبته . ثم تعود والدة الفتى الى بيت الفتاة ثانية وتحديثهم برغبة الفتى ترحب ام الفتاة بذلك وتدعو الزائرات للجلوس لشرب الشربت وتكون جلسة

فرح وسرور ، تبشر الأم بموافقة الحجي والد الفتاة على تزويج ابنته ثم
تردد ام الفتاة ٠٠ داهه ابوها وافق على زواجها هاي بنتي كميها وأخذها
بلا فراخ والمسرات

تقديم الحك

يذهب والد الفتى مع جمع من الاقرباء و - ختيازية المحلة - الزوجه .
الى دار الفتاة المنوي زواج ابنه منها ، يفتح الاب الكلام ويقول لوالد الفتاة
(حجي فلان ٠٠ عائلتنا تحب تشرف بقرايتكم) يرد عليه والد الفتاة
تشرفنا ونعم العائلة انتم الحاني جبراني تاج واسي ويسال والد الفتاة
عن عائلة الفتى و اخلاقيته وسلوكيته في الحياة ثم تأتي والدة الفتى على
والدة الفتاة للاتفاق الاخير على مقدار المهر المقدم والمؤخر تعود والدة الفتى
في اليوم التالي الى دار الفتاة ومعه جمع من قريباتها يحملن «البقي» وفيها
ينف الحذاء «القباق» والحناء - الحنة - والمصوغات كالحجل والتراحي
ويقدم «الحك» في جفينة الى والدة الفتاة وهناك من يقدمه الى والد الفتاة
والجدير بالذكر أن خاتم الخطوبة «النيشان» لم يكن مرفوقاً ايام زمان .

عقد القران

تكون مراسيم عقد القران «الملاچ او المهر» في بيت العروس حيث
ينظف ويكنس ويفرش بالحصران اذا كان الوقت صيفاً و «الزوالي» اذا
كان الوقت شتاء وترصف التخوت «ام الزمانة» وتوضع عليها «المخاديد»
و «المنادير» وتصف الكراسي بجانب التخوت للجلوس . وفي التقليد
الشعبي لا يحضر في حفلة عقد القران والد العروس وشقيقها، وإنما يستقبل
الحضار والد العريس والعريس وأثناء اجراء العقد توزع «الشرايت» على
الحضار ومن ثم المناديل - الجفافي - التي تملأ به الحامض حلو والمصقول -
وانچكليت وقد تطورت هذه العادة وصارت توزع الملعب المعدنية أو
الزجاجية .

تجري عادة حفلة عقد القران ايام الخميس والجمع وفي المعتقد
الشعبي ان هذه الايام مباركة ميمونة يحضر القاضي ووكيل الزوج
وشاهدان من ختيازية المحلة وتبدأ مراسيم العقد في ترتيب سور كريمة
من القران الكريم ثم يوقع الوكيلان والشاهدان ويزود الزوج بنسخة من
العقد ويسمونه «أذن نامه» ونسخة منه يعطى الى اهل العروسي والعقد هذا
يحمل موافقة الزوجة على الزواج من فلان بن فلان على مهر مقدم كذا ومؤخر
مؤجل وتحمل الاذن نامه ايضاً تواريخ مختار الطرف والقاضي والشهود
والزوجة والزوج . يأخذ القاضي السجل الى قسرب باب تجلس وراءه
العروسي ليأخذ القاضي من لسانها الكلمة المنقمة - نعم !! يقول القاضي
لعروسي هل انت موافقة على الزواج من فلان بن فلان على مهر مقدم ومهر

مؤجل كذا... القاضي يكرر ذلك مرات عديدة هل انت موافقة ؟ هل انت موافقة ثم تجيب العروس اخيراً بصوت خفيض «نعم» يبارك القاضي والحضار للعريس ثم تتعالى الهلاهل والزغاريد وتشر النسوة الحامض حلو والچكليت والمصقول على العروس . ويوقدن شمعة ويضعنها في صينية تملأ بـ «الورد» و «الأس» و «الحنة» وتبقى هذه الشمعة متقدة حتى انتهاء مراسيم العقد وتطفأ وهم يحتفظون بها لحين ولادة العروس لتوقد ثانية ويعتقدون ان ايقاد الشمعة «شمعة العرس» دلالة على اليمن والاقبال وهم يعملون عند العطار صينية يسمونها «صينية المهر» يجمعون في هذه الصينية مواد عطارية عديدة توضع هذه الصينية جوار صينية «الحنة» والشمع» وذلك ايضاً من دلائل اليمن والاقبال عندهم .

وعند اجراء مراسيم العقد تمسك امرأة من قريبات العروس قنينة فيها مادة الزئبق وهي تخضها مرات عديدة . وفي المعتقد الشعبي ان في خض «القنينة» يزداد العريس محبة لمرسته وكذلك تمسك امرأة اخرى «كلة قنده» لتكسرها نصفين فوق رأس العروس و «تفركه» ليتساقط على وصلة قماش وضعت على رأس العروس لتجميع السكر «الشكر» المتساقط على رأس العروس وفي اعتقادهم ان العريس اذا تناول من «حلاوة» يعملونها من السكر على رأس العروس، سيسمن قلبه ويزداد محبة لزوجته

ليلة حنة العريس

ليلة حنة العريس تكون عادة يوم الاربعاء والزفاف في يوم الخميس حيث يدعو العريس اقاربه واصدقائه الى داره فيتقاطرون وفي وسط الدار يجلسون على تخوت «ام الرمانة» التي وضعت عليها «الدواشك» و«المخاديه» ومن يجلس على الارض المفروشة بالحصران اذا كان الفصل صيفاً وبالزواالي والبسط اذا كان الفصل شتاءً ، تتلأل في الدار اضوية الفوانيس واللوكسات والشموع المتقدة في الصواني والتي وضعت على كرات من الطين وعند حناء العريس تتعالى زغاريد النساء وتكون ليلة حنة العريس ليلة من ليالي العمر ، كلها غناء وفرح وطرب حتى الفجر ، يقدم الطعام ويسمونه «التمتوعة» وهو عبارة عن اكلة شعبية «كالدولمة» و «كبة البرغل» ثم تقدم الحلويات والفواكه والكرزات . . الخ ويتقدم كبير العائلة لتخضيب كفوف «جفوف» العريس بالحنة وفي لحظات المرح ينثر الحامض حلو والچكليت والمصقول على رؤوس الحضار من السامرين ثم يغنى عند حناء العريس مقام «الصبا» لينتشي الحضار طرباً وفرحاً . ويقف من يغني ويقرأ «المربعات» امام العريس بين تصفيق القوم وزغاريد وهلاهل النسوة وتكون ليلة الحنة ليلة طرب وفرح حتى الفجر وهناك الكثير من «المربعات» التي تغنى في الاعراس عند حناء العريس نذكر منها على سبيل

كم وكم اعكول بالشامه خلعت غصن لوتمشي وكوكب لولحت
لولحت كوكب ومن تمشي غصن تلتفت كالريم يارب الحسن
غافلت رضوان بالحيلة اظن وانه للدينه من الجنه اطلعت

* * *

طالع انت اتراوي للناس العجب والمسلحه مايبها بغدك لعجب
قادر الله الخلك وجناتك فب وترجس اعيونك عيشي اتكلت

* * *

ليش تتكل وبعيونك حور ومن جبينك دد على الوجه انتشر
خسر كلن شبه اوصافك كمر بالكمر اوصاف مثلك ما شفت

* * *

بالكمر اوصاف مثلك ما اشوف فتر اعيونك ولك تزكي الحتوف
انجان يوسف طلع بحسنه الحلوف انت كثر اكلوب يشكر مغطت
مطعت اركاب وجلوف او رؤوس وفارغت ابدان كثره من النفوس
انجان اهل العلم تلهي بالدروس انتة يدلل تره درسي صرت

* * *

انت درسي صرت بس بسبك الحج ومن وجناتك حون نار او لكج
ارحم ارفق لا تغليني اهج بوسه من خدك على الشامه ودت

* * *

ردت على الشفه اضح فاي وامر ابدل المطلوب يزي من العرص
لا تظن هذا بشريتنا تكسر كم وكم اخذود غرك قبلت
ويردد مفي «مربع» آخر وسط عاصفة من الصفكات والاهل

حسنك وهاني والجسم منك عليل ليش ملبك ما يحن لي ويميل
ارجو منك انتحي بوصلك قليل هائم بحسنك تايه راح اجن
هائم ابحسنك يا بو طول العدل لا تغليني بفرايمك منجتل
ابعينك الوسعات ترميني نبيل من تلايني واشوفك انفتن

* * *

من تلايني واشوفك من بعد بيبك كل الحسن صاير موجود
تاخذ الكاري وعكلي يناقصد ارتهب من حيث تحجي بلون
ارتهب من حيث تحجي بالنظام جم شباب الطاح بيبك من الفرام
ما يصح طبعي الفرك والمرام ماتخون ويأي كل فكري اظن
ما تخون ويأي موعود وامر يلدي ما ينمحي حبك ابد
مبل ما تنمو اودك بالمهد نوب اهز ونوب الولي ونوب اون

* * *

من وثيني تحن «المطومه»^(٢) وتهيم بالبراري بكل ارض ما تستقيم

تشوف حالتي شبه الحال السقيم
كلي انت واجب عذابك حلال
بيا شرع خللت هجري وحرمت
ساعة ما اصبر وتدري اتعلمت
شوصف اخبذك شبه الجلتار
جل تبارس لوضون نحوه بهار

وقاري يعني (المربع) التالي وسط الصفحات

طول الدهر آنسي بفكر
نودج يشع منه البدر
يمنه اصل يمشي وسر
لمن نظرت الوجنت

* * *

نودج تشفشع والتهب
لمن اشوف شالسبب
تيزاب خدج من ذهب
تاخذني رعد رعد ورجفات

* * *

لمن اشوف من بعد
اتحر ومنج اصمد
عكلي يطير وينفقد
اجفل وجر الحشرات

* * *

اجفل شبه طح: الخفك
سهم الرغز يسه دلك
شاف الصكر بالجو شهك
من الحفر عنج نظرات

* * *

عينج مثل ريم اللسه
مثلج فلا واحد حله
جسمي عن ودادج سله
يعيني رسومه كمالات

* * *

غرج فلا يهوه الكلب
بهواج تيهت الدوب
لا والخلك شرك وغرب
ذيب الشبه ناعت شاه

* * *

منعوت غصبين بالآه
بالحسن دلاكي انجوه
مكسوم ما بيدني نوه
مكد اجوزن هيهات

* * *

هيهات من عندج الر
يزهر جيتج چل بدر
الفرج فلا كلبسي يسر
وخلدود عندج لالات

* * *

لالات خدج يابنت
كليسي ابكه لشنوكت
لمن شفته اتسودنت
ما ضووك منهن لدات

ويردد معني «مربع» آخر وسط عاصفة من الصفحات والاهلام :

زفاف العريس

كان العريس يذهب الى «الكهوه» المقهى وبمعيته جمع من اقربائه واصدقائه وبعد استراحة ساعة يتناولون المرطبات والشاي ثم يفسدون «الكهوه» ، للذهاب الى الضريح الكاظمي للزيارة والزفافة ، يرددون الصلوات على محمد وآله ثم يعودون مع العريس الى «الكهوه» ثانية ومن هناك يزف حيث يحيط به «صردوجيه» و «الزفافة» يحملون اللوكسات وهم يرددون الاغاني والمربعات وعند وصول العريس الى داره يزاد صخب وصياح الزفافة وينثر المصقول والحامض حلو والجكليت على العريس من قبل النسوة ومن مشاهير زفافة الاعراس في الكاظمية الحاج عبد الكريم الجلبي الملقب بـ شيخ الاسلام والسيد رشيد اسماعيل آل كنعان ونذكر شيئاً من الاغاني والردات التي كانوا يهزجون بها عند زفاف العريس الذي يتصدر عادة موكب الزفافة وهم يغنون ويصفقون له ، وفي بدايته الزفاف الشهير شيخ الاسلام اللازمة التالية : -

صل وسلم يا فتى	علي التبيسي المصطفى
هذا النبي العربي	فخر بنسي المطلب
هذا النبي المؤمن	جد الحسين والحسن

ويرددون :

فاطمه الزهراء	فاطمه الزهراء
خير النساء	خير النساء
نودها قد علا	نودها قد علا
فوق السماء	فوق السماء
اعطني ربي مطلبتي	يا الهي يا نبي الهاشمي العربي
سيلي سيني	انني مفرم انني مفرم

وينشدون وسط عاصفة من الصلوات	علي محمد وآله الاطهار الابرار
حب علي بن ابي طالب	احل من الشهد الى الشراب
ماكنت إلا يوسف يا فتى	ماكنت إلا يوسف الثاني
لوفتشوا قلبي رأوا وسطه	سطران قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب	وحب آل البيت في جانب

• وينغنون وسط الصفكات •

ياضبي النفسود	خلي عنك الصدود
ياضبي الوهاد	خلي عنك البعاد
داوني بالودود	حيث انت الودود
سيف لحظيك ماضي (٣)	فاض من بين المواضي
فاقضي ما انت قاضي	قد ملكك الكبود (٤)

ويرددون بتطريب مليح وسط الهلال والصفكات :

هله ويانور عيني يا هليه
جبيبي من وره الشباج شفته
عسى لا جان عاشته ولا شفته
يا خالي من تمر سلم عليه
غمز لي بعاجبه وعضلي بشفته
ولا يوم الفسه مروا عليه

* * *

وخذني وطير بيته للسماء
وكل الناس صاروا لي عداوة
وإذني ابكاع ما بيها نداوة
حتى الوالدة العزت عليه

* * *

وخذني وطير بيه للجديدة
أريد أصبح بأقله جديده
وما يتفتنون به لي زفاف العريس قصيدة شعبية للشاعر الشيخ عبدالحسن الكاظمي :

شكفا جوى الملتاح
ريح الصبا الفيحاح
وعطفر النواحي
من جانب القطان

* * *

روح - لـ لـ لك
يوليد لا تـ لـ نه

* * *

يا اخذا بشاري
من كل ذي عذاري
خذه من الصغار
عذري فيه بان

* * *

من فاضل وحمود
وصالح وداود
وماجد وداود
أخلى الهوى ميدانه

* * *

كم من قتل مثلي
عاد سليب العقيل
يحيى بذكر الوصل
لسا راي هجرانه

* * *

كم لي بذات الأثل
راح بوادي الرمل
رشا مليح الكدل
يتشده غزلانه

* * *

يا صاح ادن منه
وفي قتلبي اعنه
وسل فؤادي عنه
لا أخاف من اعانه

* * *

ناظره كحيل
وخصره نحيل
وغيره اسيل
وعينه وسنانه
انحلتني هواه وشفتني نواه
ان الذي الساه

على ما الآله

سبحان من سواه به البرايا تاهوا
يا ما احلى لاه تلبية ما في العانه

* * *

لما راه كسرى وخلفه محمرا
شبه فيه البندرا اهلى له ايوانه

* * *

استلفت في عطفيه وصارمي لحفيه
وصدغه عليه فانقلبوا اعوانه

* * *

يوليبد لا تبالنه روح لهلك
وقد يصطخب الزفافة عند دخول دار العريس حيث تتعالى زغاريد
وعلاهل النسوة وتنثر الحلوى على رؤوس الزفافة وهم يرددون : -
شايف خير ومستاهلها زوجناه وخلصنا منه
وهذا اليوم الجنة نريده

وانت اوليبد وهي ابنيه
و يا حيدر يا عزنا وسود النسا
حيدر من منكر يحميننا حبه للجنة يودينا
هو مولانا وهادينا

ثم تتعالى الصلوات على محمد وآله أخيراً ثم يودع العريس اقرباءه
واصدقائه فرداً فرداً ..

زفة العروس

تزف العروس يوم الخميس بعد ان تجمل من قبل الماشطة
- الحفافة - وامام العروس يسير طفل يحمل «شمعة» وآخر يحمل «مراة»
وهم يتفادلون من حمل الشمعة و «المراية» وفي المعتقد الشعبي ان حظ
«بخت» العروس «سيكمنه اذا اوقدوا لها الشمعة» وفي الزفاف يضعون
على وجه العروس برقعاً «برقع» ابيض من قماش «التور» وقبل دخـل
العروس دار الزوج يجب ان تدوس على كيس نقود ثم تضع قدمها واحدة
في «طاسة ماء» وهم يمتقدون ان في ذلك دليل يمن واقبال وتخضب احد
النساء السعيدات في زواجها يد العروس وتردد زفافات في زفاف العروس
الردودات التالية : -

سمد وسعود وياها من باب المنوش تلگاها
و بنت الم لابن الم جيناها هو الرادها وهو التماها
واحمد طفلى الكلوب خدها يشع وبه الروپ
واحمد جيناك مره من غير حمرة محموره

وجيئها وجت ويانه من داسي العمد فرحانه معه العروس

تبقى العروس سبعة ايام في دار زوجها من العصر حتى غروب الشمس
تتفرج عليها النساء وعلى جهازها وتسمى «معدة العروس» تجلس العروس
على كرسي كبير وضع في جانب من الدار . ووسط الهالاهل والصفقات
والزغاريد تقوم العروس لتبدل ثيابها وهي تسير ببطء - والملاهي يغنين
الاغاني الملاح وينقرن على الدفوف وتعالى طرقات الدنايك والعروس
جالسة وفي يدها شدة ورد وتقف الى جانبها امرأة من اقربائها وهي تمسك
ماعون فرغوري على رأسها لتجمع ما يتناثر على رأسها من حامض حلو
- وچكليت - ومصقول وفي اليوم السابع - الاخير - تردد الملكة
- الشوباش - لتجمع الهدايا والنقود وتردد اغاني حلوة وبطرب مليح
نذكر شيئاً منها على سبيل المثال لا الحصر

مخيه ايدج والرجل
چا اچ رگبه من الأبل
وتسوين امي وكل هل
معلوم حدج لاينه
ممشووت ومخيه ترف
عكرب بلا ذنيابه
واللي الدغه مات وعكف
من الخدود امورده
امحتمره
روايتيه

بيده قلم فضه
صعدوا عروسته لي ميته^(٦)
باب الشبيب

جته حمول الشام فاستعجلي
إلا يجني القايش^(٧) من الصايغ الي

عروسة كل معاني الحسن ربيها
عروسة والحبايب زايها
ممر بين الكواكب
عروسة والحبايب زايها
منهها وعليها
يا حاسديها

يا حلوه يا مخيايه
ويلوك الچ لبس الحجل
تسوين كل هلايه
وحك اچتل خيبر علي
مملول جبدي من الزلل
اشكر ذهب يلصف لصف
عكرب على الصابر وكف
مطروح ويناتي اشجره
وشوفي الحلوه
وعيونها
وتغني الملكة للعريس وتردد اسمه
بين الشبيب احمد
ويكتب كتاب
نزعهها بدلتها

وتغني الملكة للعروس ايضاً :

گومي انزلي گومي انزلي
گالت فلا انزل ولا يهمني
ثم تغني الملكة وسط هالاهل النسوة :
عروسة والحبايب زايها
حلو ثوب العرس لايك عليها
مشت وبه الحبايب
حلو ثوب العرس لايك عليها
والبدلة بيقه يا حسن
بانه دصلوا على التبي

كومي انزلي بيدي لاستمجلي
حنه حنه بيدها حنه بيدها

سبت الحســــن
تاج الورد فوك الشعر لايك عليها

الصبيحه

في يوم «الصبيحه» يجلب اهل العروس «الحلاوة» و «الخبز» وفي اليوم الثاني الكيس «المسل» ثم يكلم اهل العروس العريس عن عدد الذين سيدعوهم «بمزمهم» لطبخ الطعام الكافي ويوم «الصبيحه» يقام ظهراً او مساءً حيث يذهب العريس مع اصدقائه وأقربائه الى بيت اهل العروس لتناول طعام الغداء او العشاء وفي ذلك اليوم يقبل العريس يد عمه والد «العروس» ويقدم له عمه هدية وهي عبارة عن ساعة جيب مع زنجير ويقبل العريس رأس والدته زوجته وفي اليوم الرابع ياتون بملابس عائلة العريس وملابس الزوج لتقوم العروس بفصلها وفي اليوم السابع تكون العروس واهلها واهل العريس في بيت العريس ليتناولون طعام الغداء. وفي ذلك اليوم تتزين العروس وتأخذ مكانها في باحة الدار على كرسي لتفرج عليها النساء .

يوم السبعة

بعد اسبوع على دخلة العريس تتزين العروس بأجمل الثياب ، تضع «النون» في عودة ويسمونها «الخطاط» فوق انفها على الكفة ثم تتكحل بكحل من مكحلة صغيرة مفضضة لتتفرج عليها النساء ثانية ثم تفرجهن اي «العروس» على جهازها وثيابها الموضوعه في الصندوق الخشبي ويتفرجون على الهدايا التي قدمت لها ولزوجها من الاقارب والاصدقاء ، ثم يتفرجون على المصوغات الذهبية ومنه حبل فيه كرايش فضية ، تنشر عليه العروس ملابسها وهذا من ضمن جهازها المتيد، وعصر ذلك اليوم تكون النساء من اهل واقارب العريس في بيت العروس ، لتناول المربطات والشاي ، وفي ذلك اليوم الميمون تنتهي مراسيم «الزواج» حيث يذهب الزوج الى عمله وتنصرف الزوجة لادارة شؤون ومتطلبات البيت

حنة الثبات

عند نهاية يوم السبعة « ثبات » تبقى أم العروس في بيت بنتها لتخضيب كفوف « كفوف » بنتها به « الحنة » وفي صباح اليوم الثاني ترمي العروس به « الحنة » الى سقف الغرفة وقد تلصق « الحنة » في سقف الغرفة وفي المعتقد الشعبي ان « الحنة » اذا الصقت في السقف فستثبت العروس في بيت الزوجية .

قطوف

— عند وصول العريس الى داره يستقبل عادة بالزغاريد والهلاهل من قبل النساء المتجعدات في الدار ، ثم تصافح العريس والعروس امرأة سعيدة في زواجهما ،

— وهم يتشاهمون اذا صادف مكب زفاف العريس والعروس مرور

جنارة ويعتقدون ان ذلك علامة نحس

— جياز العروس يتألف من « جرباه » ام الكله وكنطور ومنضدة مدورة وسلة لوضع العريس والعروس ملبسهما في الكنتور والسلة .

— في ليلة العرس التي تصادف يوم الخميس تحضر الماشطة « لتزوين » تجمل العروس .

— ينبغي على العروس قبل دخولها دار الزوجية ، ان تدوس على كيس نقود وفي المعتقد الشعبي ان ذلك دليل يمن واقبال

— توضع امام العروس صينية وفيها قرآن مفتوح على سورة « انا فتحنا لك فتحا مبينا

— تزف العروس يوم الخميس الى دار العريس ، (عربة الريل) ايم زمان . وفي ايامنا الحاضرة تزف بالسيارات

تغطي العروس وجهها ببرقع « شفاف من قماش » النور ابيض اللون وترتدي عادة بدلة بيضاء وعلى العريس ان يرتدي ملابس بيضاء كالصداية والزبون والجبنة وذلك ايام زمان .

وهناك جهاز اخر للعروس « جهاز الحمام » وهو عبارة عن اللكن والبريك و«انشفه والمفرش والكيس والليفة وزكية حمام » من الصخر توضع بها ادوات الحمام المكونة من الكيس والليفة والصابونه

— يقدم «الحكك » الصداق ، في « چفيه » حرير الى الاب او الى أم العروس .

— عند حضور القاضي لاجراء مراسيم عقد القران « الملاج » يبعث اهل العريس الى بيت العروس صواني « الشكر » وشمعة كبيرة لتوقد في ذلك اليوم .

— يضعون « حنه وشمع ولبن وخبز » في صينية : وفي « طاسة » يضعون اوراق آس وعلى عتبة الدار وقبل دخول العروس « تدفر » بجرجلها طاسة الماء وفي المعتقد الشعبي ان ذلك دليل يمن واقبال

— تحضر الماشطة (الامراة التي تجمل النساء) في ليلة الحنة لتحف العروس و « تزوكها » اي تجملها

— يتفاءلون من جلب الهدايا للعروس وبخاصة الحلويات والسكر « الشكر » والحاجيات ذات اللون الابيض .

(١) الحكك : الصداق المقدم للعروس .

(٢) الطوكه : الحمامة .

(٣) ماضي : حاد قاطع .

(٤) الكبود : القلوب .

(٥) القطانة : « القطانة » كما يلفظها العموم — مهلة شهرة في الكاظمة .

(٦) كيته : غرفته .

(٧) العايش : حزام ذهبي تنحزم به العروس .

عادات وتقاليد المحلية في العقم والولادة

صباح نوري مرزوك

الحلة ، كاية مدينة ، لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها ، وقد تتنقي مع مدن اخرى ، متجاورة أو متباعدة بعدد من تلك العادات والتقاليد ، وقد شمل هذا البحث ما يتعلق بالعقم كظاهرة "يتلى" بها كثير من أعضاء مجتمعنا ، ودراسة سبل علاجه ، وما يتعلق بالوحم كعلامة من علامات الحمل مع دراسة مظاهره والأغراض المصاحبة له وتفسيره ، ثم دراسة احتياطات وتجهيزات الحمل وذكر ما يتعلق بالأجهاض مع ملاحظة الأغاني التي يمارسها الحمل ، ودراسة الأمور المتعلقة بالوضع وأستقبال النولود ، وينتهي البحث بدراسة الخلاص والحبل السري * .

ان دراسة جانب معين ، مختصر ، له فوائد كبيرة ، منها مسح المجال لأكبر عدد من الباحثين ، ولغرض السيطرة على المادة وملاحظة جميع جوانبها وقد ثبت الآن ان كثيراً من الدراسات العامة المطلقة قد وقعت في أخف - متعددة وسبب ذلك يعود الى ضخامة الموضوع وتنوع جوانبه .

المقم

ان المرأة التي لا تنجب أو لا تلد بعد فترة من زواجها ، يمكن ان يعتبر عنها بأنها :

عاقرة = عاقر ،

جدع ،

خشبة ،

ثور بوال ،

وهنا توضع اسباب عديدة لهذا المقم ، وهل ان الزوج هو السبب ، ام الزوجة اذ يقال :

مَدْرِي الْعَوْتُ مِنْهُ مَدْرِي مِنْهُ) • أي لا تدري سبب المقم منها

ام منه •

ويقال : - (هَوَ وَلِيدٌ وَهِيَ ابْنَتُهُ ، اِثْنَيْنِ مَا مَجْرَبَيْنِ) أي هو ولد ، وهي بنت ، والاثنان غير مجربين ، وذلك لجهل سبب المقم من كليهما •

على ان تحديد كون المرأة عاقرا يكون بعد مرور سبع سنوات والا (بعد ما يبهر رجته) أي ليس هناك أمل أو رجاء من ان تلد •

ويقال : - (مَا خَفَضَ دَارَهُ) أي بقي دارها من غير اطفال ، واللون الاخضر دلالة على الاطفال • ويروى عن امرأة انها حملت بعد احدى عشرة سنة •

والمقم من كليهما ليس شيئا معيباً بالمرء ، أبداً ، لأن الاطفال (رزق) من الله ، واذا قطع الله الرزق لا تبالي الزوجات بذلك ، اما نتائج ذلك على الزوجين فانه متوقّف على طبيعة الانسان فاذا كانت المرأة عاقراً فقد يتزوَّج زوجها غيرها وبالعكس •

واذا اريد اكتشاف عقم احد الطرفين ، فيكون ذلك اما في التحليل عند الاطباء المختصين أو اذا تزوّج واحد منهما ولم ينجب ، وقد يكون هناك صراع بين جانب الزوج وجانب الزوجة على نسبة المقم للطرف الآخر وخاصة اذا تزوج احدهما ولم ينجب • لذا حرصت النساء على الوقاية من العظم فانهن يمانعن من دخول امرأة كانت قد ولدت وليداً توفاً عليها لانها (تجسّسهنه) وكذلك الحال بالنسبة لدخول القطط عليها ولا اثر للمأكولات الخاصة أو ذبح الذبائح أو عمل الاعمال أو زيارة الاولياء والصالحين أو قراءة الادعية أو الوصفات الطبية أو توقيت الاتصال الجنسي أو عبور مجاز مائية أو عبور خربة في المقم •

طرق علاج العقم :

١ - تربط المرأة نفسها إلى أحد الأولياء أو الصالحين (وخاصة الإمام الحسين والإمام العباس والحمة والقاسم وآخرين هنا وهناك) وتندّر له فذوراً وهي تفي بهذا النذر إذا (خضّر داره) أي إذا رزقت بمولود .

٢ - تتبول بين قبور اليهود (مقابر خاصة في الحلة ، اندثرت وطمست الآن) .

٣ - تذهب (للمغسيل) وهو مكان تفسيل الميت (في الحلة عند مقام الخضر أو في النجف في المغسل العام) وتتبول على سديته ثم تبلع - وهي هناك - خرزة صغيرة أو نمعة أو مرجانة أو شيئاً من بقايا الميت .

٤ - تفتح عين الميت توّاً وتقول :

- يَهْلُ الميت إذا صار عدي جاهل أسوئك عشه .

- أي أيها الميت إذا رزقت بمولود سأعمل لك عشاء ثواباً لرحمتك .

٥ - إذا غُسل الميت فإن الماء الساقط من جراه تفصيله هذا يسقط على المرأة العاقر التي تكون في هذه الحالة تحت جانب من جانبي السديّة ، وتندّر بعدئذ عشاءً ، تفي به عند تحقيقه .

٦ - تأخذ قطعة القماش التي كان قد ارتدأها (المطهر) وهو الذي يضرب رأسه (قائمة) أو خنجر أو سيف كأعراب عن حبه للحسين ، والحسين براء من ذلك ، فيسقط الدم على هذه القطعة ، حتى إذا جف سبحت العاقر في ماء فيه هذه القطعة من القماش .

٧ - تأخذ قطعة قماش من امرأة قد تزوجت حديثاً وتسبح بمائها .

٨ - تكسر رأساً من البصل ثم تتبول على المنصبية (وهي

الحجارة التي يقوم عليها طهي الطعام) التي ترجع لمرأة متزوجة بشرط أن تكون هذه المرأة هي التي دخلت عليها أي (النفوسة) وسببت لها العقم، وبعد مرور ثلاثة أيام تحلب المرأة المنصبية للعقم على كتف وراس وتسدي وظهر المرأة العاقر ، ثم يجمع تراب من سبعة أماكن لتسبح بها بشرط أن تسكبه عليها بنت لم تتزوج بعد ، (بت بيت) وبواسطة رحي ، أي واحدة تمسك الرحي وأخرى تسكب الماء ، على أن يجري الحوار التالي على التوالي بين البنت غير المتزوجة والمرأة العاقر :

- شسج ٩ (ما أسمك) .

- جيسه .

- انفلتت الجيسه (ذهب سبب العقم)

- شسج ٩

- فاكه (ناقة) .

- انفلتت الفاكه . (أي انفك المائق) .

- شمسج ؟

- فانوسى .

- انفلتت حبيسة العروس .

٩ - الاستماعة بالسحرة (فتاحي الغال) .

١٠ - يؤتى بقنينة، ويوضع فيها نموذج من بول الزوجين، وتمطى الى الزوجين الذين تزوجا معهما في نفس الوقت ، ويجري حينئذ الحوار (الخاص بالفقرة الثامنة) باستعمال (طين راس) .

١١ - هناك نبات يسمى (الحليبة) ، يؤخذ جزء منها و (يسهى) بوضعه على النار مع جزء آخر يبقى لقطراً ، يندق ثم يخلط بالدبس وتشربه المرأة الماقر وقد توضع (كبابة) فيها ، (والكبابة مادة تشتري من المطار) . (وهذه الوصفة من وصفات القابلات) .

١٢ - لتبول على البناء الجديد الذي لم تُدق فيه حجارة (أساس) .

هذه هي طرق العلاج ويلاحظ ان هذه الاعمال تقوم بها المرأة دون الرجل ، وهي تعمل المستحيل لفرض ان تلد وتباهي النساء بمولودها ، ويبدو ان العائلة هي التي تبدأ باطلاق صفة المقم على المرأة اذ تقول لها ، **بحسج بجمالج ، ثوربوآل ، يثله ناخيل** له فتره) أي : بحسبك ، بجمالك ، ثور بوآل ، اننا سنأخذ له زوجة جديدة ، وهكذا يتضح الامر جلياً في كون الرجل يبقى - في اكثر الحالات - صابراً ، لان التفسير العام للمقم هو امر من الله تعالى .

ومن غرائب حالات المقم : ان امرأة كانت تظن انها حامل في شهرها الخامس او السابع وتقول لاهلها بذلك ولكن النتيجة ليس هناك شيء ، ولكنها في احد المرات لم تقل لاهلها شيئاً حتى ولدت وليداً جديداً . ومن النساء من تلد مرة واحدة فقط ، ويقال ان المرأة الماقر اذا انجبت - بعد لاي - بنتاً ولم تلد غيرها فهي سبب المقم واذا انجبت ولداً ولم تلد غيره فان الأب هو سبب المقم .

أما الاغاني المتعلقة بالمقم ، فيقال في اشارة الماقر .

تيسثر روخته وتقول حيله وما ميش بالطن غريج يدربله

تقول : تقول .

حبله : مامن شيء ، ليس .

غريج : غريك .

يدبلة : يا دبلة ، والدبلة الفاظ .

وتقول الماقر الى مقابلتها :

اتمناج يادوحي تينسين وخبالة سته وظلوه سنتين

واجيبه ياخذ البين كله ولاعبار النساءين

- أتمناج : أتمناك •
- طلوكة : حالة الولادة •
- أجيب : الده •
- البين : الموت •

النساوين : النساء

أي أنها تنادي نفسها وتتمنى أن تنسى وتكون مدة الحمل سنة وحالة الولادة سنتين ثم تلده ويأخذه الموت وهي تفضل ذلك على المار الذي يأتي من النساء في إثارتهما

الوحم

إن حالة الوحم تدل على أن المرأة (حامل) أو (حيثه) أو غيره (شي) أي أنها حامل ، و (يشي بالطريق) ويقصد بذلك الوليد الجديد . وتختلف النساء في شعورهن بالحمل فمنهن من يسكتن ولا يخبرن أهلن ، أو يضحكن لصديقاتهن - دلالة الحمل ، أو تقول لأهلها ، وفي جميع الحالات لا تذهب المرأة الحامل إلى أهلها (بيت أبيها) ، ومراد ذلك الخجل .

أما الوحم فيعبر عنه بآثها (تَوَحْم) أو (تَتَسَّس) ، ومظاهر الوحم هي

- ١ - أنها تشتتهي الأكل كثيراً •
- ٢ - تكون نفسها ميالة إلى القي •
- ٣ - رأسها يصاب بالصداع •
- ٤ - تخلخل رؤية عينيها (تسورب) •
- ٥ - تبقى نائية (مَهَسَّتْه) •
- ٦ - تكره بعض الأشياء •
- ٧ - تحب بعض الأشياء •
- ٨ - تكون مختلة القوى •

لذا ، تتخذ المرأة وقاية نفسها لئلا في الأعراض المصاحبة للوحم :

١ - تبتعد عن رؤية خسوف القمر (وعند الرؤية يظهر على وجهه أو عليها الطفل أثر وردي اللون) •

٢ - حتى (لا تنفيس شي) أي أنها لا تشتتهي شيئاً إلا ويعمل لها حالاً وإلا فآثها بعد حاك جسمها في أي موضع فإن اثرأ سيظهر في موضع الحكمة والآخر يثل الشيء الذي اشتتهته المرأة بعد أن بلغت ريقها •

وتفسير الوحم ، يكون على أنه من الله تعالى ، وتكون هناك مضغفات أو أخطار تنتج من عدم استجابة رغبات المتوححات •

إحتياطات وتجهيزات الحمل

ليست هناك إحتياطات تراعى أثناء الحمل ، لا بالنسبة للزوجة ولا لنزوج ، لكن عملية تفسير الحمل وتطور الجنين عندهم هي أنه أولاً يسير (كالسكبوح) ثم كلكما يكبر (يلبط ، يرف) ثم (يعجس) أي تظهر له عكوس ، مرافق . وهناك قصص ونوادير غريبة عن الحمل ، فقد تلد امرأة خنزيراً أو حصاناً أو غيرها على أنها حيوانات مشوهة .

أما الأجهاض فيسمى (الطريح) ويفسر الناس سبب إجهاض الجنين بأن (حملها ثقيل) أو (ظهره رجيح) أي ظهرها ركيك ، أو عن ضربة أو (عليك يكله) أي يدون سبب معلوم ، لكن الشيء المؤكد عليه أن الأجهاض يكون بسبب تعرض المرأة لما يثقل عليها .

ويمكن التنبؤ بجنس الجنين قبل ولادته إذا كان الولد (يرف) في الشهر الرابع من حمله ، والبنت (ترف) في الشهر الخامس ، مع ذلك فإن أسئلة ليست قياسية .

ولا بأس للمرأة التعامل أن تسمع أنواعاً من الحكايات على أنه يستنكره أمامها ذكر الأربب والشطب بل حتى رؤيتهما لأنهما مبعث هموم كما في اعتقاداتهم ، على أن المرأة الحامل لا يجوز لها الاشتراك في العزاء وزيارة المقابر ، ولا تأثير للالوان عليها فأنها ترتدي من اللابس أي لون يعجبها .

وحسناً لو لم تسمع المرأة الحامل قصة فلانة التي أجهضت جنينها . وتمنع الحامل عن الخروج من بيتها في شهرين الأخيرين ، وتمنع من كس الأرض وغسل المواعين لأن ذلك يؤثر على ما في بطنها . وقد اعتاد أهل الزوجة على الاستعداد والتجهيز لأول مولود تلده بنتهم .

الوضع

إذا وضعت المرأة وليدها فهي (دجيب) وأنها (تطنكك) أو (توليد) ، وهنا تبرز جملة استعدادات في جلب اليانسون والحلبة والحبة الحلوة (مجموعات من النباتات) ، وكل ذلك يغلى ثم يعطى إلى الطفل في مدة ثلاثة أيام من ولادته أو (يشطع) دبس ودهن ، أو دهن وسكر أو يانسون وكمون ، وكل ذلك لكي يفرز الحليب بعد أن تكون الأم قد شمرت بحسب وعليها أن (تلهنم) لوز ونبات لكي يقوى قلبها (تليزّم كلبها) بشرط أن لا يؤثر عليها أو حتى الاصوات تؤثر عليها وعلى الحليب بالتالي .

ولا يعتقد مطلقاً في وجود افعال وممارسات معينة تسهل عملية الوضع ، أما العلامات المعروفة للوضع الحقيقي فتحددها القابلة أو

احدى قريبات المرأة فتقول : (كل شيء مأكول ، يتناسى) للتي لا شيء
في بطنها لذا (يُدْرَسُوهَا بِدَهْنٍ) .

ولا تفضل امكنة معينة دون غيرها لأجراء الوضع فقد تكون في
منزل الحامل الخاص أو عند أسرته أو في منزل والدي الزوج وإذا
(عُسْرَتْ) فحينئذ تلد في المستشفى ، ولكن الملاحظ حالياً ان المستشفى
أصبحت هي المكان الذي تلد فيه أكثر النساء لأنها علامة من علامات
السلامة .

وبالنسبة لطعام الحامل الوالدة تؤا فيحق لها ان تأكل كل ما
تشتهي وبالنسبة للشرب فيمنع عنها الماء البارد ، وإثناء عملية الولادة
تكون هناك مساعدة للقابلة ويختار لذلك امرأة كبيرة خبرة في شؤون
الولادات ، نعم ، تقرأ سورة الكرسي ويوضع القرآن على رأس المرأة أو
تشجع بالكلام ، وتقدم لمساعدة القابلة جدية اعتاد اهلي تقديمها وهي
دينار واحد وللقابلة ثلاثة دنانير وتسمى القابلة : (جَابِلَةٌ) أو (حَبِيبَةٌ)
أو (كَبَالَةٌ) بلام مفتحة .

وإذا ولد أذن في أذنه اليمنى وإقليم (من الإقامة) في أذنه اليسرى
ويكون ذلك بعد قطع الحبل السري وتلبس الطفل .

والمرأة التي تموت أثناء الولادة هي في نظر الناس دخلت الجنة ،
أما التي تلد ويموت أطفالها عند الولادة فهي عندها (قايضة) وهي نفسها
(عَشْبُوعَة) وهناك لابد ان يفتش عن (جُرَيْتَيْهَا) أي قرينتها التي سببت
لها كل ذلك ، فتربط نفسها لأحد الأولياء بغية استمدااد نفسها للولادة ،
وقد تعالج بان تلبس في قَدَمَيْهَا نعل حصان ومعه سبعة مسامير (بشرط
ان يكون من مسامير الجسور) وتكون على هيئة خلخال ، وإذا توفيت
الأم فيسكون الابن في رعاية أهل زوجها على الأعم أو عند أهل الزوجة حتى
إذا كبر التحق عند أبيه ، وهناك عبارات تقال للتي وضعت تؤا :

— حَمَدَ اللهُ عَلَى السَّلامَةِ (= عَسَلَامَةٍ) .

— اللهُ يَخْلِيهِ (للذكر) ، يَخْلِيْهِ (للأنثى) .

وعند ولادة بنت يقال لامها :

— حمد الله عَسَلَامَهُ وإتمامَت الخِلْقَةُ ، بطن التجيب البنية

تجيب الودك .

ومعناها الحمد لله على السلامة وتمام الخلقة وبطن البطن التي انجبت

بنثاً تنجب ولداً .

ومن حالات الوضع القريبة ان امرأة قد ولدت توأمين ملتحمي الظهر

وذوي وجهين .

الوليد :

بعد ان تكون الأم قد وضعت وليدها - ذكراً كان أم انثى - يُقدّم إليها اليانسون والكمّون • وهناك نبات يُسمّى (جفّ مريم) يوضع في الماء فحينئذ ينتشر وهو في الماء وقيل لي انه يستورد من السعودية أثناء الحج •

أمّا بالنسبة للزوج أثناء وضع زوجته فان الملائكة (تُلهّفي) له • والخلاص والجبل السري عند العامة هو (السير) أو (الضرة) ويتخلص منه بأن يُقصّ بمقدار ثلاثة أصابع والباقي يبقى مع (الجارة) ويربط من تحت بقطعة من القطن الطبي •
هذه حيدود مقالتنا ، بعدها يستمر الوليد في النمو والبلوغ •

ملاحظة :

لقد استفدنا من المنهج الذي عرضه الدكتور محمد الجوهري وعبد الجبّيد حواس والدكتورة علماء شكري مؤلفو كتاب، (الدراسة العلمية للمعادن والتقاليد الشعبية) •

مراسم المآتم في الفرات الاوسط

زينب حسن شبريه

الانسان دائم الصراع من اجل الحية والبقاء فيها دون زوال ، ولكن ... لابد للانسان من الزوال لقول الله تعالى في آياته الكريمة : «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ليتترك مكاناً لنزلي الانسان فمهما كانت قدرة الانسان وتحصيناته لا يستطيع ان يمنع وصول الموت اليه فقد قال الله سبحانه وتعالى : «ايضا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » وعن الموت قال الشاعر :

كل البشر بالكون الربيه مطلوب
جوه التراب يصير بكستته مكتوب

لقد تعددت أسباب الموت فمنها الحرق والقتل والفرق ومنها الامراض المختلفة وهي آفة البشرية فنرى ان هناك موتاً فجائياً وموتاً غير فجائي ولندع الاول ونبحث الثاني .

الوصية

عندما تسوء صحة المريض (تتراده) يجلس بجانبه الاهل والاقرباء فيكتبون وصية فان كانت له ثروة يوصي بها مقسماً اياها حسب

ما يريد وان لم تكن له ثروة يوصي بالمحافظة على اهلها واطفاله ويكسبه
في وصيته اسماء الائمة .

الشهادة

يمدد المريض على الارض منبطحا على ظهره وقدميه نحو القبلة
الاسلامية ويديه مبسوطتان الى جنبه ثم يبدأ احد الجالسين من ارجاله
الاخيار حيث يقول له قل :

أشهد أن لا اله الا الله فردد المريض خلفه
وأشهد أن محمدا رسول الله فردد المريض خلفه
وأشهد ان عليا ولي الله فردد أيضا خلفه
وان لم يكن رجل بجانب المريض يحق للمرأة أن تتلو الشهادة .

ساعة الموت

عند موت المريض (طلعت روحه) تمض عيناه من قبل ضرب الحاس
اليه وان بقي ينازع سكرات الموت (يعالج) يجلس بقربه رجل من الاخيار
ثم يقول له :

ابو فلان - هاي الدنية مقفور العنة - ليفريك ابليس - انعمه
لبليس ابلك - گول نعلتله على الشيطان - حظ الرحمن انكسك
لتخاف - ردد اسماء الائمة التتمش - الدنية بعد متفيدك ولا تنفعت -
هاي الدنية للفناء وهناك البقاء - هناك ايضرك ابو الحسن

وعند موت المريض يغطي بغطاء نظيف فتبدأ النساء بالصياح (جو)
والعويل لحيهن الشديد للميت واخبار الجيران بموته فيرسلن على
العدادة (الله) قبل حمل الجنازة فتأخذ العدادة بالتعديد ويخلسف
التعديد (والنواعي) حسب شخصية الميت فمن التعديد على الوالد تقول :

يا بوي ياسنسول حيه ويا خيمه ونعمد بقيه

وعلى الام تقول :

يهل الواغمه طولج صباه وياغرنقله براس العصابه
ويا شايله راس الكرابه

وعلى الشباب تقول :

برمله علي فرش عبيهم ووذوا على الشاعر يجيهم
وعرايس ومحنين ايديهم
رملة علي صارت ضمان وبيها حيادي وجمع نسوان.

وعلى الاطفال

رملة علي فرشوا بواي وخذوا فرش وخذوا زوالسي.
ونصبوا سرير الصبي عالي

اعلان الموت

يفرش الرجال (الحصران) على جانبي الطريق قرب بيت المتوفى معلنين بذلك موت احد نزلاء الدار فكلما جلس رجل على (الحصيرة) تمال بصوت مرتفع الفاتحة فيقرأ الجالسون الفاتحة بصوت منخفض وفي اثناء ذلك توزع السكاير

إخراج الجنائزة

يأتي الرجال بتابوت من المسجد ثم يدخلون به البيت ويضعون فيه المتوفي ويحملونه فمل كل (عتبة) تصادفهم عند خروجهم من الدار ينزلون ويحملون الجنائزة ثلاث مرات حتى تكون عاقبته خيراً عليهم - فيتعالى صياح النساء ويحاولن مسك النعش وعدم الخروج به ولكن الرجال تبعدهم عنه

تفصيل الميت

يفسل الميت رجل ان الميت رجلاً وامرأة ان كان الميت امرأة فيفسل الميت بالصايون فينظف تنظيفاً جيداً بالسدر ثم يوضع في حوض الكر لشطفه ثم يوضع الكافور على جبهته وفي راحتي يديه وعلى كافة أنحاء جسمه وهذا التفصيل اما ان يكون في البيت وهذا نادر جداً واما في كربلاء في مكان خاص يسمى (المفيسل) وهذا هو المنتشر الان ثم يكفن وذلك بلفه بقماش (خام) ابيض بعد ان يوضع قماش على جسمه مشتوق من المنتصف ليدخلوه فيه فيسمى (بغيره) ثم يضعون على رأسه عصاية بيضاء و (وزره) على نصفه الاسفل هذا اذا كان رجلاً اما اذا كانت امرأة فيضعون لها (وزرات) بعدد ازواجها ثم تلف بقطعة قماش بيضاء بعد هذا ان كان رجلاً اما المرأة فيضعون عليها (الجبره) وهي قطعة قماش بيضاء مكتوب عليها آيات قرآنية ثم يرش على الميت ماء (الزمزية) وهو ماء من بشر زمزم في مكة

تبقيات الجنائزة

وعند الرجوع بالجنائزة من كربلاء الى بيت المتوفي يأتي احد الاقرباء فيخبرهم بقدوم الجنائزة فيتعالى صياح النساء ويبدان اللطم اما الجنائزة فاما ان توضع في اقرب مسجد واما في البيت وهذا هو الافضل عند اهالي الحلة لقولهم :

تِيَال مِيْن مَاتْ وَبَيْتَه بَسَاتْ

لان هذه الليلة تسمى (ليلة العمر)

تلطم النساء

(تلطم) النساء باوقات معينة من لحظة الوفاة الى يوم الاربعين فاقوات (اللطم) هي :

- ١ - (تلطم) النساء عند اخراج الجنازة من الدار فتمزق بعضهن ثيابهن وينثرن شعرهن
- ٢ - (تلطم) النساء عند الدخول بالجنازة بعد تفصيل الميت
- ٣ - (تلطم) النساء عند الخروج بالجنازة لدفنها
- ٤ - (تلطم) النساء عند رجوع الجنازة
- ٥ - (تلطم) النساء في الصباح والظهير والمساء لمدة ثلاثة ايام او خمسة ايام او سبعة
- ٦ - (تلطم) النساء عندما تأتي لهم نساء من مدينتهم او من غير مدينتهم ومعهم (مله) ويسمى هذا اللطم (مواجهة) او (ملاكة)
- ٧ - (تلطم) النساء في البيت وعلى قبر الميت بعد مرور اربعين يوماً على الوفاة
- ٨ - تلطم) النساء بعد مرور سنة كاملة على الوفاة

طريقة اللطم*

تقف نساء اهل الدار والاقارب على جهة واحدة ومن تأتي من النساء تقف امامهم
فالنساء الكبار يرتدين (الهاشمي) و (البويمه) والشابات يلطمن بالملايس الداخلية فقط

تلاوة القرآن

عند المجيء بالجنازة بعد تفصيل الميت يأتون بقارئ ليتلو عليه سور القرآن الكريم في المسجد ان كان الميت في المسجد وفي البيت ان كان الميت في البيت
تحمل الجنازة

وفي الوقت الذي يتفق عليه تحمل الجنازة على الاكتاف من قبل الرجال ذاهبين بها الى المكان المخصص لوقوف السيارات حيث تسير خلف الجنازة مجاميع الرجال وكل واحد يسارع الى حمل الجنازة لفترة ليصيبه الثواب أما الجالسون على جانبي الطريق الذي تمر فيه الجنازة فتراهم يقفون اجلالاً للميت واحتراماً له
فان كان المتوفى شاباً وضعوا صورته في مقدمة النعش وكللوهما بجموعة الورد

التشيع*

يتقدم الجنازة بعض الرجال يسمون (المشيعين) وهما اثنان في أكثر الاحيان فكلما انتهى احد من تشيعه بدأ الآخر واما نص التشيع فهو :

لا اله الا الله
وحده لا شريك له
وحده لا شبيه له
وحده لا مثيل له
له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير

صلاة الميت

عند وصول الجنائز بالجنائز الى النجف الاشرف يدخلون به الى مرقد الامام وهم يقولون : لا اله الا الله . وعند دخولهم المرقد يدورون به حول المرقد ثلاث مرات قائلين أيضا (لا اله الا الله) عدة مرات ثم يخرجون به الى الساحة المحيطة بالامام (الحضرة) فيصلون عليه كما عملوا ذلك في كربلاء .

والصلاة على الميت هي خمس تكبيرات حيث يتلون الشهادتين بعد التكبيرة الاولى والصلاة على محمد وآله بعد التكبيرة الثانية والدعاء للمؤمنين بعد الثالثة والدعاء للميت بعد الرابعة وبالخامسة تتم الصلاة .
بعد ان يحفر القبر يعمق (كاهه ورفعة ايد) وعرضه حوالي متر مربع يحفر الحفار على أحد الجوانب (لعم) يسمى (اللحد) ويكون عرضه شبر واربعه اصابع وطوله بطول الميت . وقبل انزال الميت في القبر يدخل أحد اولاد أو اقرباء المتوفى ليرى جودة الحفر ثم ينزلون بالميت الى داخل القبر ثم يوضع في اللحد فيضمون تحت رأسه طابوقة ثم يفتحون ربطات الحفن الثلاثة الموجودة قرب الرأس وعلى البطن والقدمين ثم يضمون كله الايمن تحت خده الايمن

التلقين

يخرج الحفار بعد ذلك من القبر فينزل فيه الملقن (رجل مؤمن) فيكون التلقين على نوعين :

التلقين للرجال وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم
اسمع واعلم وافهم يا عبد الله وابن عبده
اذا اناك الملكان المقربان
فقل لهما بلسان عربي فصيح

الله دمي جل جلاله
 ومحمد نبيي
 وعلي امامي
 وفاطمة سيدتي
 والحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة امامي
 وعلي بن الحسين امامي
 محمد الباقر امامي
 جعفر الصادق امامي
 موسى الكاظم امامي
 علي موسى الرضا امامي
 محمد الجواد امامي
 علي الهادي امامي
 حسن العسكري امامي
 (الحجة) صاحب الزمان امامي
 عجل الله فرجه • يضمون ايديهم على رؤوسهم

ب - التلقين للنساء
 يختلف تلقين النساء عن تلقين الرجال بنص واحد ففي تلقين الرجال
 يقول الملقن :

اسمع واعلم واتهم يا عبد الله وابن عبده
 اما في تلقين النساء فيقول الملقن :
 اسمعي واعلمي يا أمة الله وبنت أمة الله
 ردّ التراب على القبر*

يخرج الملقن بعد التلقين فيدخل الحفار فيفلق فتحة (الحد) بالمطابوق ثم يخرج ويرجع التراب الى الحفرة حيث يقول والواقفون ايضا
 (رحم الله من اهل التراب) بعد ذلك ترجع الجنازة الى اهلهم *

الثالث* (الفاتحة)

يأتي ابن المتوفى أو أحد اقربائه بالقاريء ليتلو الآيات القرآنية في
 المسجد مستقبلين المعزين لمدة ثلاثة أيام أو خمسة أيام فيوزعون في
 أثناء ذلك القهوة والسكريا وعند دخول المعزي يقول الفاتحة بصوت مرتفع
 فيبدأ الجالسون بقراءة الفاتحة بصوت منخفض
 اما الواقفون لاستقبال المعزين ويطلق عليهم (الواقفة) فيأتون لهم
 بطعام من اهل الميت

العِدَّة

شروط العدة

- تحتّم العدة على المرأة التي توفي زوجها الاول (رجل اصباحه)
- ١ - وجود من يتكلف اعادة صاحبة (العدة) *
 - ٢ - مدة (العدة) ٤ أشهر وعشرة ايام *
 - ٣ - تبدأ (العدة) اما بعد مرور اسبوع على الوفاة واما بعد مرور اربعين يوما لكي تذهب معهم لزيارة الميت في الاربعين او تبدأ (العدة) من ثاني يوم الوفاة *
 - ٤ - لا يجوز لها ان ترى ذكرا الا ابن اخيها وابن اختها ونسيبها واخاها واباها واولادها وعمها ابا زوجها وعمها *
 - ٥ - اذا شاهدت غير هؤلاء بغير تعمد تزيد على مدة (العدة) عشرة ايام
 - ٦ - لا تخرج من الدار الا بعد انتهاء مدة (العدة)
 - ٧ - لا يجوز مشاهدتها للحامل
 - ٨ - لا يجوز ان تحمل الابريق للتوضؤ به وانما تحمل (شربه)
 - ١٠ - توطئ صوتها عندما تتكلم
- ومن معتقدات اهلالي الحلة ان المرأة التي لم تلتزم (بالعدة) وعليها واجب العدة فانها تطوق رقبة زوجها بطوق من حديد الى يوم تموت حيث يخلعون طوق زوجها ويضعونه حول رقبتها *

الصدة

اما اذا انعدم الشرط الاول وهو عدم وجود من يتكلف اعادة زوجة المتوفى فلا تستوجب (العدة) بل تستوجب عليها الصدة
شروط الصدة

- ١ - ان تخطف تحت الجنابة ثلاثة مرات عند رفع الجنابة
- ٢ - لا تخرج كثيرا
- ٣ - تزيد حجابها
- ٤ - لا تنظر الى الذكر كثيرا (مجاوس ابوجه)
- ٥ - لا تطيل التعامل عند الشراء

جميع الميت

الجمعة الاولى :

يدعون الرجال على ان ياتوا لتناول العشاء عندهم فيذهبون (العكيكه) ويطبخون انواعا من الطعام ثم ياتون بقاريء ليقرأ الآيات الكريمة وبعض التواشيح الدينية قبل البدء بالطعام حيث وضعت امامه

صينية فيها الشسوع والبخور وماء الورد بعد ذلك يهدي (الهدية) الى الميت وعندما ينتهي كل شخص من الطعام يقول الفاتحة فيردد الباكون بصوت منخفض تلاوة الفاتحة .

اما الجمع الباقية التي تأتي قبل الاربعين فيوزع فيها الطعام على الجيران والفقراء و (الملالي)

الاربعين

يعمل اهالي الميت الحلاوة من الرز كما يعملون معها الكليجة (الخفيفي) او (الجرك) فيرسلون طباقاً من الحلاوة وعليها (الخفيفي) او (الجرك) الى الاقارب والجيران والاصدقاء ليخبروهم بان يوم الاربعين قد حان وتسمى هذه من قبل مستلها : (الحواله)

فتأتي (الله) فتتلى لهم أولا ثم تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله الحمد ، خمس مرات والجالسات يرددن بعدها وتسمى هذه (الهدية) ويضعون في صينية شموغا وبخوراً وماء الورد ثم يرش ماء الورد على الجالسات بعد ذلك تقرأ سورة من القرآن الكريم ثم يقوم اهل الدار والناس للطعم فيأتي الناس لهم لمراجعتهم .

بعد انتهاء الطعم او في اليوم الثاني يذهب اهالي الميت والاقارب وبعض الاصدقاء الى قبره (فيلطوا) عليه ويوزعون الطعام والماء يرشونه على قبره بثوابه و (يشعلون) الشسوع والبخور على قبره

سنة الميت

عند مرور عام على الوفاة يعملون الحلاوة و (الخفيفي) ويوزعونها على الناس و (يلطون)

في رمضان

وفي الأيام الثلاثة الاولى من شهر رمضان يعملون (كعمه) أي تجلس النساء وتتلى (الله) لهن وهن باكيات .

في عيد الاضحى

وفي عيد الاضحى يذبحون له بقرة وتسمى (ضحية) ويوزعون طعامها على الناس

العقود والتقليد

١ - يعملون حلاوة التمر مع الخبز ويوزعونها على مصلي المسجد وقت الغروب (اصفرار الشمس) حيث تقرأ عليها احدى الجالسات قبل توزيعها سورة ياسين حيث تمطر في اليوم الاول ثلاثة ارغفة مع الحلاوة وفي الثاني خمسة ارغفة وفي اليوم الثالث سبعة ارغفة .

٢ - وضع شمعة موقدة عند مكان المتوفى لمدة ثلاثة أيام .

٣ - تجلس النساء باكيات مرتين في الاسبوع او مرة فتسمى هذه (الكعدة) الى يوم الاربعين .

- ٤ - لا يجوز ان توزع السكاير احدى نزيلات بيت المتوفي
 ٥ - لا يجوز كنس الدار المتوفي فيه من نزيلاته
 ٦ - تعمل نساء الجيران الشاي و (ورد ماوي) ليساعد النساء على البكاء وحتى لا (يشوطون) آتين به الى أهل المتوفي
 ٧ - تبقى ثلاثة ايام تلطم على نفس الشاكلة من (نزعت ثوبها) خلعت ملابسها ونثرت شعرها
 ٨ - يرتدي أهالي البيت وبعض الاقارب والجيران الملابس السوداء لمدة اربعين يوماً او لسنة كاملة
 ٩ - لا يحلق اولاد المتوفي وبعض الأصدقاء ذقونهم الا بعد سبعة أيام او اربعين يوماً

اسم الراوية : مله عباسيه

العمر : ٦٠ سنة

محل الولادة : حلة - محلة الكراد

اسم الشهر : مله عبيسه

المهنة : ملايه - عدايه

اسم الراويه : مله وزيره تاج الدين

العمر : ٥٦ سنة

محل الولادة : حلة - محلة المهدية

اسم الشهر : مله وزيره

المهنة : ملايه - عدايه

اسم الراويه : مله فوزيه

العمر : ٤٠ سنة

محل الولادة : حلة - محلة الجبلوين

اسم الشهر : مله فوزيه

المهنة : ملايه - عدايه

اسم الراويه : سيد تقي

العمر : ٦٧ سنة

محل الولادة : حلة - محلة المهدية

اسم الشهر : سيد تقي

المهنة : قاري - عاقد قران (مومن)

اسم الراويه : هاشم علوان

العمر : ٦٠ سنة

محل الولادة : حله - محلة التعميس
اسم الشهره : ابو علوان
المهنة : عامل كهربائي ومؤذن

اسم الراويه : السيد كريم عبود
العمر : ٥٥ سنة
محل الولادة : حله - محلة التعميس
اسم الشهره : ابو محمود
المهنة : عطار

اسم الراويه : سعيده حسن
العمر : ٤٢ سنة
محل الولادة : حله - محلة الطاق
اسم الشهره : ام حسين
المهنة : حفاة

اسم الراويه : السيد محمد السيد عبدعلي
العمر : ٤٧ سنة
محل الولادة : حله - محلة الجباوين
اسم الشهره : ابو جاسم
المهنة : مصور شمسي

فلسفة ما بعد الموت في الفكر الشعبي في الفرات الأوسط

شاكر هادي غضب

ان الانسان محتاج في فهمه للعالم المحيط به لفهم ذاته من جهة وفهم ما وراء هذا العالم من جهة ثانية . وفهم الصلات بين العوالم الثلاثة : عالم الذات وعالم الطبيعة وعالم ما وراء الطبيعة . فتنشأت من جراء ذلك علوم لكل هذه العوالم - وقد رفض بعض العلماء تسمية العالم الاخير - اي عالم ماوراء الطبيعة - بالعلم ، ويرون تسميته بالفلسفة . فاصمينا هذا البحث بـ «فلسفة ما وراء الموت» لأن الموت يشغل حيزا كبيرا في عالم ما وراء الطبيعة . وعندني ان هذا الوجود حقيقة عامة واساسية في كل محاولة لفهم الانسان والتعرف على احواله العقلية ونزواته العاطفية وحقيقته كقيمة روحية هي جزء من العالم المكون من شيئين : الوجود والعلم ، الحياة والموت ، الطبيعة وماوراء الطبيعة .

يقال ان اسهل العلوم هي العلوم الطبيعية ، واصعب العلوم هي علوم ماوراء الطبيعة ، اما علم الذات فهو وسط بين سهولة ذلك وصعوبة هذا . والذي نريده ان حياة ما بعد الموت هي جزء من هذه العلوم مجتمعة، فالموت علم من العلوم الطبيعية وعلم ذات وعلم غيب روحي - ان صح هذا التعبير - وكما اسلفنا ان الاخير اصعبها وهو الذي نريده في هذا البحث . والعلاقة بين الموت وهذا العلم هي علاقة محسوسة لا ملموسة . نتوصل

اليها لا عن طريق التجربة والكشف بل عن طريق الاستقراء والاستنتاج والتبصر . فلذلك كثيراً ما نوقشت هذه المسألة على افتراضات دينية وفلسفية متعددة . فشاعت من جراء ذلك اعتقادات ونظريات على المستوى الفكري والعلمي . والاخير مايمكن ان نسميه «الاعتقاد الشعبي» وسنعود الى ايضاح هذه النقطة بعد ذلك .

ان الموت - كما قلنا - يشغل مساحة واسعة في فكر العالم وليس فقط «الفكر الشعبي» فالت في ذلك الكتب العديدة التي تحوي افكاراً مختلفة لفلسفات هي بعض علوم ماوراء الطبيعة التي اشترنا اليها . ولعل أكثر مايشغل العالم هو «الخوف من الموت» حيث تصوروا انه مجموعة من الآلام أو الشقاء . فلقد قال الفيلسوف شوبنهاور : « الله مما أعجب الموت لا يكاد يمس الحي باطرافه الباردة حتى تنقلب تلك القوة المفكرة المدبرة الفعالة الى جمود الصخر ، يلقي بها في جوف القبر الصامت وكأنها بعض تربته ! » ويروي عن سليمان بن عبدالمك ان سال يوماً ابا حازم ، قال : يا ابا حازم ما لنا نكره الموت ؟ فاجاب : لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم ، فكركم ان تنتقلوا من عمران الى خراب . وقد قال الامام علي ع : «استميتوا بالموت فان مرآته من خوفه » . وحينما بلغ الفيلسوف الساخر برناردشو الثالثة والتسعين من عمره قال : « ان الموت يطرق الباب وهو ضيف لا أرفض الترحيب به » .

والموت في الفلسفة الاسلامية حياة أخرى أفضل من الحياة الدنيا بكثير اذا توجت بسلوك معين ، وأتمس منها اذا وضعت ضمن اطار خاص . فوضع الله للاولى ثواباً هي الجنة وللثانية عقاباً . هي النار . ولا ادري ماذا تريد القيم الروحية بهاتين الكلمتين ، فهل تريد النار مجردة او شيئاً غير ذلك ، والجنة هل تعنيها كما نفهمها في الظاهر ام انها لتدل على مفهوم معين ؟ هذا ما سنتركه للفلاسفة يتمذهبون به . وما اتينا على هذا الذكر الا لكي يدرك القاري العلاقة الواضحة بين البحث والفلسفة الاسلامية ورأيها بحياة ما بعد الموت .

ظروف وميادين البحث :

ينتمي بحثنا هذا الى منطقة الفرات الاوسط وبالاخص المنطقة التي تقع بين محافظتي بابل والقادسية . ولا كان سكان هذه المنطقة يدينون بالاسلام ويتمذهبون بالتشيع ، اي الشيعة الامامية ؛ نود ان نوضح - وبدون اي تعرض من جانب البحث للدين او مذاهبه اياً كانت - ان لهذا علاقة فيما سنقف عليه من عقائد بحياة (مابعد الموت) على مستوى الفكر الشعبي . طبعاً لا ننكر ان العامة ، كمادتهم في اي شأن ، يزدنون الحقيقة خرافة، ويخلقون ما يرونه موافقاً لمقيدتهم وتفكيرهم من اعتقادات

معينة • بل ويهلون ويبالقون دون أي حساب لاتجاه معين • وما قمنا به من البحث الاحصاء الميداني فقط ولم نعلق الا في مواضع نراها بالسة بدون هذا التعليق •

مصادر العقيدة الشعبية بحياة ما بعد الموت :

قلنا ان سكان مناطق هذا البحث يؤمنون بالدين الاسلامي • لذلك فان ما يعتقدون به نقل اليهم عن عدة طرق اهمها : -

- ١ - قراء المجالس الحسينية والوعاظ وغيرهم •
- ٢ - الكتب الدينية الجيدة والرديئة دون حساب لتقييمها • المهم انها تشبع فضولهم •

- ٣ - ما وضعوه انفسهم وتناقلوا اخباره شفاهاً •

واعجب ما في الامر انهم لا يعرفون حقيقة الفلسفة الاسلامية ورأيها بالموت والحياة الاخرى • والاعجب من ذلك انهم يعتبرون معلوماتهم هذه صحيحة وكاملة - على تناقضها - ولا يقلون الجدل فيها على اساس انها حقائق دينية ! التلمذ بها من بعض الكفر **البداية :**

قبل ان نبدأ باحصاء ما استطعنا الوقوف عليه من عقائد الفكر الشعبي بحياة ما بعد الموت ؛ علينا ان نبين بعض القضايا المتعلقة بها كامتداد لحديثنا • فعندما يبدأ الشخص بوجود انفاسه يقولون عنه انه **(يعاليج)** (١) فيبادرون الى ملقعة صغيرة يشربونه بها الماء على شكل دفعات متقطعة • وتسمى هذه بـ **(التنقيط)** (٢) قال الصوت الشعبي :

لا تظن عيني إتمام وطبكك جننها
مثل التنكط الماي يشكر لينها

ويكون احد القراء قربه ليقرا له بعض الايات القرآنية والادعية المسندة عندهم **(العديلة)** • وثم آخرها يكون قد رددتهم **(الشهادة)** وهي : « أشهد أن لا إله الا الله • محمد رسول الله • علي وأولاده المصومين بالحق اولياء الله » • وعندها يصبح في عداد الاموات حيث يقوم اقرب الناس اليه بـ **(تنقيض)** عينيه ، ثم تقرأ له سورة (الفاتحة) • ويبدأ حينها النواح والويل وشق الثياب ولطم الصدور وتبضيح الخدود بالاطافير • وإذا كان الشخص رجلاً عملت له **(عراصة)** (٣) يهزج فيها الرجال بـ (الهوسات) ، ويرافق ذلك اطلاق النار • وعندما تمر فترة من الزمان ، قد تطول او تقصر تبعاً لظروف معينة ؛ يبدأون **(يتشيع)** الجنائز ووضعها في **(تابوت)** خشبي أو (شريحه) من القصب المنسوج بالحبال الممد بشكل بساط يلف به الميت بملابسه • ثم تلف بغطاء يسمى عندهم

(البرده) وبعضهم يستعيض عنه بـ (الايزار) أو (الشف) . وينقل الجنازة في التشبييع اربعة رجال يتبادلون بشكل غير انتظامي اذ كل يحاول المشاركة في ذلك رغبة منهم في اداء جميل لأهله أو مشاركة في العزاء . وموكب الجنازة ترافقه النسوة بمويلهن والاهازيج والاطلاقات حتى مسافة معينة تطول بحسب مكانة الشخص الاجتماعية واليوم جعلوها حتى موضع السيارة التي تحمله . اما في السابق فيرافقونه حتى مدينة النجف حيث المقبرة العتيقة . وسواء ركبوا في سيارة لم ساروا معه فانهم يطلقون عليهم اسم (جنازه) ، وعلى اهل الميت عمل وليمة لهم في ليالي الجمع التالية بحسب ان هذا الذي يأكلونه يعتبر ثواباً للميت .

عَلَيْشْ • اَتْنُوحْ • والدَتِي وَنَاحِي
أَخُوتِي • اَجْتُنُودْ • بِالْأُنْتِي وَنَاحِي
لَا تَفْرَحْ • يَهَا لَشَامَتْ • وَنَاحِي
إِفْرَحْ • قُوسَرَه (٤) • اَلْجَنَازَ • بِهِ

وبعد وصوله المدينة المقدسة يتم تسويله وتطهيره (المتفصيل) المكان اليهود - اعاذنا الله واياكم منه - ويكون هذا التطهير بطريقة خاصة بفصل الميت بالماء والكافور والسدر مع بعض القراءات . وقد استحدثت عادة قريبة العهد ، ربما لا تتجاوز الستينات ، هي غسل الميت في كربلاء قبل تشييع الجنازة .

ويتبع الفصل (التكفين) بقطعة قماش بيضاء يلف بها جسده بطريقة خاصة . ثم ينقل الى صحن الامام علي ع حيث تقرأ له صلاة الموت من قبل القراء المعنيين . ثم يطاف به على الضريح ثلاث مرات ، وبعدها يذهبون به الى المقبرة . وفي هذا الاثناء يكون متعهد الدفن المشهور باسم (بهلول) و (ابو إصبيح) وغيرهم قد كلفوا بعض عمالهم بحفر قبر للميت في المكان الذي يختاره اهل الميت . ويجب ان تنقل الجنازة الى القبر بثلاث نقلات يسونها (التلث حطات) :

خَيْرُ تَجْ (٥) المَخْلُوق
عِنْدَ التَّلِثِ حَطَّاتْ • وَوَحْيِ اللَّهِ بِبَلَّاجْ •
وَأَنْتِي بَرِّجْهِ إِنْ سَوَّاجْ •

ويقرا له (الدفتان) بعض الادعية والتعويذات . وعندما يُنْزَل الى القبر توضع يده اليمنى تحت خده الايمن حيث يجب ان تلامس التراب . وهنا يقول الجميع : « وَحَمَلْتَهُ وَتَدَيْتُهُ مِنْ وَدِّ التُّرَابِ » حيث يشارك الحاضرون بأزاحة التراب في القبر ، ويعتبر هذا العمل عندهم ثواباً . وهم لا ينسون ان يضعوا على تراب القبر قطرات من المياه كرمز لبعث الروح .

ولا يعود الجميع الى بيوتهم يكون اهل الميت قد صبغوا الثياب :
جَبَّوْهُ جَدْرَ التَّيْسِ خَلَّ اصْبَغَ الثَّوْبَ
تَوَّه (٦) اِنْتَهَى الدَّلَالُ مِنْهُمْ فَرَدَ ثَوْبَ (٧)

ونصبوا العزاء الذي يستمر سبعة ايام مع اعداد الولائم حيث يسمن ذلك **(فاته)** (٨) او لثلاثة ايام ويكتفى بالشاي والقهوة والسكاكر حيث يسمنها **(ترجيم)** • وللنساء عزاء من المطر : **(الشواحي)** والبكاء والندب و **(التشهير)** • • • وكل ذلك يعتبر نوعاً من المجاملة والواجب اما القبر فيبنون عليه بعد مضي حول او بعض الحول بناء دائرياً من الاعلى وله وجه كتب عليه بالحجر : « انا لله وانا اليه راجعون هذا قبر المرحوم فلان بن فلان توفي في اليوم الفلاني • الفاتحة » وقد تزايد هذه الكلمة بآيات واشعار وحكم ومراثي • وكلما كان بناء القبر عالياً دل على مكانة صاحبه • وبعض من صاحبهم ضيق ذات اليد فانهم يتركون قبور موتاهم بدون بناء حيث يطلق عليها اسم **(دواوس)** (٩) وهي في نظر الكثيرين او على الاقل عند هؤلاء الفقراء اكثر جزاءً وثوباً آخرة ، والله اعلم •

الليلة الاولى :

يعتقد العامة ان الليلة الاولى في القبر من اصعب ليالي حياة مابعد الموت على اعتبار انه لم يعتد الحياة في حفرة صغيرة مغلقة ليس فيها منفذ لهواء ، ولا مانس لحزمة ضوء • يحيط به التراب من كل الجهات بل ويكتم « انفاسه » ويقلق نومه الازلية • وقسم كبير منهم يعتقد ان الحساب يبدأ في هذه الليلة • بل ويذهب الآخرون الى ان ملكي الحساب « منكر » و « نكير » يأتیان اليه ، وهما يذكرانه بالحياة الفانية ، والاعمال التي قام بها خلال حياته الاولى ، والويل له اذا كان من ذوي « السوابق » وارباب الذنوب • ويروى عن هذين الملكين ان احدهم يحمل سوطاً والآخر يحمل عموداً من الحديد ، وجميعهما اعدت للموتى تبعاً لاعمالهم • قال الصوت الشعبي :

يَعَايِنِي اِتْرَفَيْنِ كُودُ الله يَسْتَتِرُ
تَتَحَاسِبِينَ وَيَتَايَ صِرْتِيْلِي (١٠) مُنْكَرُ

ملك الموت :

ان ملك الموت ، او كما يلفظونه **(ملك)** (١١) « الموت » ، عندهم هو الطيب المذكور (عزرائيل) او كما يلفظونه (عزرايين) وفي أمثالهم : **(عزرايين هم ينظي منكته)** ويضرب للمجول • وعزرائيل هذا يقبض الارواح ويذهب بها الى خالقها ، وهم يعتقدون ان الميت يراه بل ويكلمه ساعة الوفاة • وتصل السداجة بعضهم الى تصور ان عزرائيل

يلدح الموتى ذبيحا بسكين • وانه يعذبهم قبل ان يأخذ ارواحهم ، لذلك قالوا عن الشخص الذى يعالج سكرات الموت : **(يعالج بالمزير)** او **(ينزاع ابنزوحه)** • قال الصوت الشعبي :

شَتَجَمَسِلْ يَا تَدَلَالَهْ رَيْتَهْ الله يَنْبَلَاهْ
وَأَنْتَهْ إِبْنَزَاكْ الْمَوْت وَتَحِينْ عَلكَ أَهْوَاهْ

واطرف ما سمعته عن عزرائيل ان امه لامته على قبض الارواح باعتبارها مهنة ليست فيها رحمة • وان النساء - لاحظ ان هذه الحكاية تعتبر من متداولات النساء - سوف يدعون الله عليه ليقبض روحه • فقال لها ان الذنب ليس ذنبه ، وبماكانها ان تتأكد بنزولها الى الارض وتسال • فكان ان نزلت وسالت فما وجدت لابنها ذكر اذ كان يقول كل منهم السبب لوفاة اهلهم ، فهذا مات بالجدرى وآخر بالتيفلويسه وثالث غرق ورابع قتل ... وهكذا اطمانت على ابنها من دعوات النساء ان هذه الحكاية بالرغم من سداجتها المتناهية فانما تدل على ايمان الفكر الشعبي ببند من بنود الفلسفة الاسلامية المتمثلة بالآية الكريمة : «وجعلنا لكل شيء سببا» ، ولتؤكد فيما تذهب اليه حراة الدعوات على المتسبين بضرر الناس وظلمهم ايهاهم •

ويروي ان عزرائيل سألوه عن الموقف الذى ابتكاه خلال قبضه لارواح الناس ، فلذكر لهم انه جاءت امرأة ومعها طفلان الى شاطئ نهر تريد عبوره خوفا • فكان ان حملت احد الطفلين على ظهرها ووضعتة على الشاطئ الآخر ، وعادت لكي تحمل الثاني • فأمرني الله بقبض روحها فماتت وانحدر جسمها مع التيار وبقي الولدان يكيان من رزئين حلا بهما ، الاول موت والدتهما والثاني بعد احدهما عن الآخر •

وعن الموقف الذى اضحكه قال : ان عاد بن شداد لما بنى جنته المبهودة واكمل مرافقها واستعد لدخولها متكبيرا مفرورا طامعا بالغيث • وما ان وضع قدمه على سلم باب الدخول أمرني الله ان اقبض روحه • فضحكت وروحه بين يدي على كل باغ لا يطيع الله ولا ياتمر بامر • قال الصوت الشعبي :

يَتَوَكَّلِي يَتَوَكَّلِي (١٢) يَا تَتَوَهْ (١٣) دَاوَجْ (١٤)
حَتَّى وَيَهْ عِزْرَايِينَ دُونَكْ لَمَارَجْ (١٥)

الروح :

تعتبر عند العامة مادة قد لا تفصل عن الجسد في بعض الاحيان • وقد يتصورون انها بعض من الجسد • رأس مثلا او عين • ولا اهمية عندهم للتفريق الفلسفي بين الجسد والروح • وهم لا يعلمون ان الروح

ليست مادة ، بل هي نوع من الاثير كما يقول الفلاسفة . . . والا فلماذا يعتقدون ان الموتى احياء جلوس في قبورهم ؟ وفي احيان اخرى يعتقدون ان الروح يقبضها ملك الموت السالف الذكر عزرائيل لتذهب الى السماء ، ويخصون بها الذات القدسية . فهم يقولون في عباراتهم (أَخَذَ رُوحَهُ الله) ورغم هذا لا يمكنهم التصور انها بعيدة عن الجسد .

كما يؤمن الهندوس بتناسخ الارواح يؤمن البعض من العامة بسان روح الانسان تذهب الى انسان آخر يولد او سيولد ، وان هذا له علاقة بالعقاب والثواب .

وبعضهم يقول ان الروح تذهب الى القبر ، تأخذها الملائكة قبل ان يصل جسد المتوفى . وآخرون يذهبون الى ان روح الميت تبقى قرب اهله مدة من ائمن حتى تطمئن عليهم . ويطلقون ذلك بتعبيرهم : «إله نفيس» .

الجسد :

ومن اعتقاداتهم ان الجسد يفنى بينما الروح باقية . وهذا مطابق لواقع الفلسفة الاسلامية . وهم يقولون ان اللحم ياكله السدود ، وفي ايمانهم العامة : «وَدَاعَتْ عَيْنِي إِلَيَّاهَا الدُّودُ» ومن امثالهم : «اللحم لِّلدُّودِ» او (كثير (١٦) ممدود وكثير للدود).

اما العظام فباقية وهي التي تحيا عند البعث ايماننا منهم بالقول المأثور : «يحيي العظام وهي رميم» قال انصوت الشعبي :

يَا وَلِيَّيْ هَا نَسَاكِيْشْ (١٧) كَمَرَّمْ (١٨) الْغَمَامِ
لَمَنْ تَمُرْ وَتَكُوْلُ لِمَنْ هَا الْعِظَامُ ؟

وهم يعتقدون بان الانسان اذا قتل غدرًا ودفن لابد ان تلفظ الارض جسده لانها لا تريد ان تشترك في غدره والتستر على المجرمين .

القبر :

«الموت حق والقبر حق» هكذا يقولون في قراءاتهم عندما يدخلون الميت بكفنه الى القبر . فللقبر عندهم مكانة رهيبة هي في اغلب الاحيان صنوة للموت ، لذلك فهم يخافونه ليلاً ولا ينوسون عليه في سيرهم :

الْأَرْضُ لِمَنْهَا أَرْوَاحُ خُفْ مُشِيَّتِكَ
حَتَّى عَلَى الْمَيِّتِيْنَ عَمَّتْ أَذْيَتِكَ

والقبر يعتبرونه سرًا من الاسرار الالهية لاحاجة فيه لابن الدنيا سوى ان يقف عنده ويندب . ان هناك احساسا طبيعيا لديهم بان القبر لا يحوي جسما فقط بل روحا ايضا بما عندها من اعمال صالحة وطالحة .

حيث يقولون في امتثالهم : **(الكَبِيرُ صَنَدُوكَ الْعَمَلِ)** ، وقالوا كذلك :
 (ازهد الزاهدين من لم ينس القبر) . وفي الدعاء يقولون : (اللهم يسر علينا
 الموت ونجنا من عذاب القبر) .
 وعالم القبور عند العامة قائم بذاته ، ربما اعتبروه مدينة تسكنها
 الاموات او ارواحهم وهم جلوس فيها يعلمون بما يدور في الدنيا وينتظرون
 الثواب ويستزقون للاهل .
النية (١٩) :

في رأي العامة ، او لنقل في رأي بعضهم ، ان الانسان يحاسب في
 الحياة الاخرى على «نيته» في العمل . وهو رأي اسلامي لان رسول الله (ص)
 قال : «انما الاعمال بالنيات» وهذا يعني : (ان الانسان الذي يجب عمل
 قوم يشرك معهم) على حد تعبير امامنا زين العابدين (ع) لجابر الانصاري
 عندما لم تسمح له الظروف بالمشاركة في واقعة كربلاء المشهورة . وفي
 مجتمعنا الان نماذج تحاول المتاجرة والخداع بما يسمى عندهم بـ (الحيل
 الشرعية) في الربا والبيع والشراء . . ولا غرو انهم واهمون لان الله يعرف
 ما في القلوب .
الحساب :

ان يوم «القيامة» هو يوم الحساب عند المسلمين . وفيه لا يبقى حي
 على وجه البسيطة ، بل يتغير كل شيء . ويقال ان الارض تصبح منبسطة .
 ويجتمع الخلق كل في انتظار دوره ، وحينها تشهد جوارحه عليه باعماله
 في دنياه لينال جزاءه ثوابا او عقابا . ويرى العامة ان الشخص المحاسب
 يحسب على (الضراط المستقيم) وهو عبارة عن خيط دقيق - على حد
 اعتقادهم - فاذا كان الشخص من المثابين اجتازه وان كان غير ذلك سقط
 باعتباره من اهل النار .

ويرى آخرون ان الله يحاسب العبد على كل شيء فعله مهما كان
 صغيرا . ويرى في هذا المجال ان احد اهل الجنة كانت فيه علامة سوداء
 فسألوه عنها فقال لهم انه كان صالحا تقيا طوال حياته فلما مات ادخله
 الله الجنة . وبعد مدة اخذوه الى النار ، وهناك سألوه ان كان عليه ذنبا
 يحدق احدهم . فلما انكر واجهوه مع رجل من اهل النار قال له انه مسر
 يوما على دار ذلك الشخص فاخذ عودا لنبش اسنانه . فعلى هذا يجب
 ان يطفىء به احد اصابعه . وهكذا دس اصبعه المحترق بجسمه فظلمت
 تلك العلاقة السوداء .

البعث :

تبدأ القيامة ببعث الروح واحياء العظام وهي رميم . ومن اولى
 علامات هذا اليوم ظهور (الصّاحِبِ) او (صاحب الزمان) او (المهدي)
 او (المُنْتَظَرِ) او (الغائب) او (الحجّة) ، وهو الامام الثاني عشر

الذي غاب ويعود في آخر الزمان . وبعد ان ينفع الله ربحاً يعدم فيه كل وسائل الحياة الحديثة ومنها ادوات الحرب . فيحارب الامام الكفار بسيفه الذي يقال انه سيف جده الاعلى علي (ع) المعروف بـ (ذي الفقار) او (سَيِّفُ الْفَقَّارِ) كما يلفظونه . ويملاً الارض عدلاً بعد ان ملئت ظلماً وجوراً ، فمن اتبعه نجا ومن خالفه هلك . وان رسالته هذه الى جميع العالم .

وفي زمانه يظهر شخص يقال له (الاعورُ الدجَّارُ) او (الاعسور الدجال) ، وهو يغوي الناس ضد الامام الحجة بوسائله الشيطانية لانه الشيطان نفسه على ما يعتقدون .

ويقال ان الحجة يحكم العالم اما ثلاث سنين او ثلاثين سنة او ثلاثمائة سنة . وبعد هذا تطوى الارض طي القرطاس لتبعث الموتى ويكون الحساب .

المسخ :

قد يعتبر هذا العنوان غريباً بعض الشيء ، ولكن العامة يعتقدون بان الشخص المتوفي اذا ارتكب في حياته اثماً كبيراً فانه لا يدفن في النجف بل يمسح الى حيوان عند وصوله الى منطقة قريبة من النجف اسمها (جيري سيده) . لذلك فهم يقولون لصاحب الآثام : (اذهبك ما تلوصل جري سيده) ولا ادري مم تصوروا وهم يدفنون موتاهم بأيديهم وينزلونهم الى القبر جنباً باردة ؟

التشفع

يرى العامة ان النبي محمد (ص) يتشفع للمسلمين عند ربه يوم القيامة . وهو لا يترك احداً يمهذبهم . وحتى يقال انه لا يدع احداً يدخل النار اللهم الا اذا كان قد طفحت جعبته من كثرة الذنوب . ومن هذا قالوا في امثالهم : (كل الناس اتصيح يا روحي بس محمداً يصيح يا أمّتي) . ومن المتشفعين الآخرين الائمة الاطهار وخاصة الامام الحسين (ع) الذي يتشفع لزائري مرقدہ وللباكين على مصيبتہ . وفي هذا المجال يقول العامة ان اي باك على الحسين لا يمكن ان يدخل النار ولا حتى ان تمسه . وان كل قطرة من الدمع سكبت بسبب تلك النكبة لا تقدر بشئ .

والعجيب ان البعض يعتقد ان الجنة والنار بيد الائمة يدخلون اليها من شاءوا دخوله . والدليل على ذلك هذا العاشق الذي يريد الذهاب الى الامام المباس حافياً لكي لا يدخله الجنة ، فقط يمن عليه بمعشوقه ،

قال :

أَرَدَ امْشِي لِلْعَبَّاسِيْنَ حَافِي إِعْلَى ظُلْفِي
الْجَنَّةَ مَرْدَتْهَا شِسْ يُكَيِّسِي وَكْفِي

والدليل الكبير على إيمان العامة بتشفع الأئمة ، دفنهم موتاهم في مدينة النجف التي تعتبر مقبرتها من أكبر مقابر العالم ، ان لم تكن أكبرها أطراد . وفي هذا يرون ان الامام علي لا يمكن ان يترك ضيفه يدخل النار .

وصف الجنة :

يصف العامة الجنة بأنها حديقة كبيرة غناء فيها ما تشتهي الأنفس وتسرى القلوب من فواكه ومأكولات . وان فيها سواقي تجري بمشارب لذينة كالماء واللبن والخليب والخمر وغيرها . وفي الجنة (حُورٌ يَّات) ليس لهن شبيه ، يختار المؤمن منهن ما يطيب له ، ويقمن له مقام الزوجات . وفيها ايض فصور ، لكل شخص واحد منها ، وتتبع عظمة القصر درجة ايمانه . وبعضهم يقول انه في الجنة تجمع الخلان . وحارس الجنة اسمه (رضوان) . قال احد الشعراء :

لَوْ لَحِثْتُ كَوْتُكَ وَمِنْ تَمْشِي غِيصِنِ
تَلْتَفَّتْ جَاكِرِيْمٌ يَاوَبُ الْحَسَنِ
غَافَقَتْ رَضْوَانُ بِالْجَنَّةِ اظَن
وَأَنَّتْ لَدُنِيَا مِنَ الْجَنَّةِ اظَلَعَتْ

وصف النار

ومما يصفون به النار انها شديدة الحرارة تنقد دوما ، وان حطبها الكفار أنفسهم ، او كما يقولون عن الكافر انه (حطب جهنم) . وان سكنتها بعضهم يأكل من لحم بعض طعاما اسمه (الفسلين) . وانهم يستنجدون بالله درما ويقولون أعدنا لنعمل صالحا . وفي النار حراس قساة غلاظ القلوب لا رحمة لديهم . ويعتقدون ان للنار درجات أشدها (السعير) وبعدها (صقر) و (جهنم)

وان لكل نوع من الكفار نار تتبع مدى اغراقه في الاثم . ومما يقال عن اهل النار انهم يحاولون الاتصال باهل الجنة فلا يجدون لذلك سبيلا في حين ان اهل الجنة يستطيعون مكالتهم . وهم لا يكلمونهم الا في سيئاتهم الماضية واعمال دنياهم ويلومونهم لوما عنيفا يقال ان ارواحهم تزهق منه فيضاف ذلك الى عذابهم .

الاحكام :

لبعض احكام دخول النار نهاية . فبعضها يوم واخرى شهر وثالثة سنة او عدة سنين . اما صنف هؤلاء الذين يدخلون النار لمدة قصيرة فهم مؤمنون ارتكبوا آثاما قليلة . ولا تنتهي مدة الحكم يأخذونهم الى حوض

فيه ماء مقدس يزيل تفحم اجسامهم نتيجة احتراقها في النار . وبعد ذلك يدخلون الى الجنة وفي اعناقهم - وبعضهم يقول في ارجلهم - علامة سوداء لتدل عليهم .

مجمال عن الثواب والعقاب :

اريد هنا ان اتكلم عن مجمل للقيمة الفلسفية لمادة «العقاب» و«الثواب» عند العامة على اساس علاقتها التفصيلية بحياة ما بعد الموت للوصول الى «الخلود» الذي تبتغيه معظم الفلسفات الدنية . ولا اريد تحقيق خاصية معينة في هذا المجال لان تقييم العلاقة بين الانسان والاله كثيرا ما سارت على طرق مختلفة - عند العامة خاصة - تبعا لوضوح رؤياهم العقائدية والاجتماعية والمنافع في ذلك فوضعت اصولا لا علاقة لها بالحقبة .

فالصلاة تعتبر الوسيلة الخيرة لتقبل الاعمال ، والصوم المكمل لها ، وبعد ذلك تدخل الاخلاق الحميدة . ورغم ان الاسلام اهتم بتنظيم الدولة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، الا انه وضع لذلك حدوداً ، تخطيها - في رأيهم - رغم تغير الظروف يعتبر خطيئة . وللخطيئة عندهم مكان واسع ضمن هذا الموضوع ، فمن استنكار الصفات الى التساهل في الانسجام الكبيرة على اساس المغفرة بعد التوبة الصحيحة والخوف من الله . نرى مثلاً انهم يقولون بان الرجل الذي يقارب «الخمرة» لا يمكن ان يرى الجنة ، او بتعبيرهم : «**فصلتوه عنه**» **عنه تجيس** (٢١) **الجنة** وسار هذا الحكم على ناقلا وبانها والمستتر على شاربها . اما حائل لحيته فكالفاعل بامه في «الكعبة» . وحتى حرّموا سلام المؤمن على غير المؤمنين . واستبشعوا مقارنة المتدينين بالاديان الاخرى ... وفي جانب آخر نراهم غفروا لشخص قتل مائة نفس لانه عمل عملاً ... حتى انهم لم يتصوروا ان عنتر بن شداد سيدخل النار فاختاروا له مكاناً يأمن شر غائلها .

وللمغفرة عندهم ابعاد يصح ان نقول عنها انها معادلة كيميائية يجب ان تكون جزئياتها متساوية ليحدث التفاعل ، فالمغفرة هي عبارة عن عملية تعادل بين الايمان والكفر ، وتحاول ان تضع الحل النفسي للكثير من مشاكل مجتمعتنا افراداً وجماعات .

اما الايمان فهو العلاقة الحقيقية بين الانسان وربه رغم ان تقييمها ليس من السهولة التي توضحها هذه العبارة ، فالمؤمن عندهم قد يكون فاعل خير او متصوف او كثير العبادة او مجاهد او صاحب عمل مجيد او قارئ قرآن ... الخ . ورغم ان الصلاة واسطنتهم لهذه الاعمال مجتمعة الا انهم احياناً تهون لديهم نظراً لـ (رَحْمَةِ الله الواسعة) على حسد تعبيرهم .

في الاحلام :

يقال ان الاحلام وسيلة الانسان للتعبير عن رواسب وأسرار مما يشغل باله ولا يستطيع الإباحة بها . ولا كان الموت والعقاب والشواب والجنة والنار ، أهم ما يشغل بال العامة ، فلذلك انطلقوا في احلامهم يرون مالا يستطيعون رؤيته في الحقيقة . فمما يذكر انهم يرون الجنة وسكنتها . وربما يؤولون ذلك ، فاذا رأوا شخصا بملابس بيضاء فانهم يقولون انه من اهل الجنة . وكذلك اذا رأوه يعمل عملاً صالحاً ، او في حديقة غناء ذات شجر وماء .

اما اذا رأوا الميت في ارض قاحلة او بحالة رديئة او يعذب او يحمل حاجة لا يستطيع حملها . . قيل انه من اهل النار .

واذا طلب منهم الميت حاجة عرفوا انه بحاجة الى ثواب فعملوا له وليمة وقرأوا له (الفاتحة) او تصدقوا له بتلك الحاجة .

واذا قال للمحالم اريد فلان فان ذلك يعتبر تنبؤاً بوفاة الرجل المطلوب .

عند الأئمة :

يتصور العامة ان ائمة المسلمين (ع) لازالوا في قبورهم احياء ، وان المقننين منهم لازالت دماؤهم نازفة كأنها جرحت اليوم . يحكى ان احدهم حفر احد قبور الأئمة ، يدفعه لذلك ايمانه او ربما حب استطلاع ، فوجد الامام وفي يده قطعة قماش اراد حل عقدها ليأخذها للتبرك ، فوجد الدماء لا زالت نازفة ، فتركها وهرب .

ورغم تسليمنا بفضل الائمة وكراماتهم الا انني لا اصدق هذه الحادثة . ولا بد هنا من توضيح حقيقة هي ان للائمة مكانة مقدسة في نفوسنا جميعا على ان لا نتصورهم في الحالة التي وصفتهم بها الحكاية المذكورة .

زيارة القبور :

عندما يزور العامة قبور اهلهم في المناسبات وغيرها فانهم يتكلمون معهم ويتعاطبون مع قبورهم كما يتكلمون مع الاحياء ، ويصاحبها العويل والبكاء . ولم افرق يوماً بين هذه المشاهد ما تشاهده في المسرحيات التراجيدية .

وفي هذه الزيارات يتصدق الاحياء لموتاهم ويعقدون مجالس العزاء والفاتحة ، ويوزعون المأكولات والفواكه ، وما ذلك عندهم الا ذكر للموتى وهو في حسابهم ارضاء لارواحهم بينما هو في حقيقته «تحقيق ذات» لا اكثر .

ما قالوه في امثالهم عن هذا الشأن :

(لا اظنّ لتلكمجرة ولا اسمع بنواحي) . (٢٧)

الثواب :

للثواب منزلة كبيرة عند العامة فهم يعملون ولائم باسم المتوفى في أيام معينة وحتى سنوات عديدة ويعتبرون ذلك وسيلة لإبعاد الذنوب عنه وواسطة لدخوله الجنة . والأصل فيها أن يتصدقوا له على الفقراء بالماكولات ، إلا أنهم جعلوها ولائم عامرة يتجاملون بها فيما بينهم ويتسامرون على موائدها اللذيذة .

• ويقال للثواب ايضا (تَرْحِيمٌ) (٢٣) وهم يقرأون فيه سورة الفاتحة . ويعتقدون انها تأتيه على هيئة ضوء في ظلام قبره الدامس ، او على هيئة نسمة هواء عذبة ؛ فيسأل الميت عنها فيقال له ان اهلك ذكرك ، فيقول : (يَذْكُرُهُمُ اللهُ) .

اما اهم ايام الثواب عندهم ومناسباته : -

١ - ايام (التَرْحِيمِ) وهي ثلاثة ايام او سبعة بعد الوفاة مباشرة .

٢ - ثلاث ليالي جُمع بعد الوفاة . ويدعى لها الذين ذهبوا في موكب الجنائز . ويوزع في هذه الليالي تمر معد بطريقة خاصة ويسمونه (حَلَاوَة مَيِّتٍ) .

٣ - بعد مضي أربعين يوما ويطلق عليها اسم (الاربعين) .

٤ - بعد مضي سنة كاملة ويسمونها (دَوْرَة السَّنَةِ)

٥ - في رمضان وبالأخص ليالي الجمع وليلة القدر وليلة وفاة الامام علي بن ابي طالب وليلة (الخَوَارَةِ)

٦ - (العَقِيْقَةُ) وهي ذبيحة تعمل كوليمة كبيرة . وليس لها مناسبة معينة . ويجب ان يهمس (الملا) في اذن الذبيحة كلمات خاصة .

٧ - (الفِطْرَةُ) وهي عبارة عن طبيخ الحليب بالتمر ويسمونه (بَحْتٌ) لثلاث سنوات في كل عيد فطر .

٨ - (الضَّحِيَّةُ) وتعمل في عيد الاضحى على ان تمر على الذبيحة ثلاثة اضعاف اي ان يكون عمرها ثلاث سنوات . ويجب ان يكون جنسها موافقا لجنس المتوفى .

٩ - ثواب الائمة : ويكون هذا في مناسبات وفياتهم ، وهي اما ان تكون ندورا او تقربا ، وفيها يقرأون الفاتحة الى كل المؤمنين .

١٠ - عند زيارة القبور في المناسبات وغيرها .

١١ - (السَّبِيلُ) وهو ايجار قلة ماء بارد لتوزيعها على الزائرين وغيرهم في الاماكن المقدسة . وبائعو هذه القليل يسمون واحدهم (السَّق) .

داي آخر في الثواب :

• بعض العامة يقولون ان ما يُعمل للميت من ولائم وقراءات ... وغيرها من مظاهر الثواب ؛ لا يصل اليه لانه ليس مما يطبخه هو من

ماله الخاص • لذلك فالثواب يعتبر لصاحبه الحي يسجل له كعمل جيد يفيد في آخرته • ويذهب آخرون الى ان الثواب نوع من التظاهر الاجتماعي ليس للميت فيه حصة •

تفميط العيون :

قلنا ان الميت يغمضون عينيه ، وهذه عادة معروفة في معظم انحاء العالم • الا ان فكرنا الشعبي له في ذلك رأي • فهو يعتقد ان الميت اذا لم تغمض عيناه بقي في العالم الآخر وهو ينظر الى مكونات قبره فيفرغ • او تبقى كما يعبرون عنه (عَيْنُوْته مَشْبُوْحَه) حتى يحين موعد الساعة • قال الصوت الشعبي :

مَجْلُ الْمَيِّتِ يَوْمَ وَتَحْضُرُنِي يَهُوَّيْ
تَقْمِضُ أَجْفُونِ الْعَيْنِ وَتَنْكُطُ الْمَايْ

الميتة عن عمر ولادة :

تعتقد النساء ان التي تموت منهن نتيجة اصابتها بعسر الولادة وتذهب دارها الباقية تقوم (حوريات) الجنة بتوليدها •
الحديث :

ينفر العامة من سرقة الحاجيات الحديدية لانهم يعتقدون انها سوف تحمى في العالم الآخر ويعذب بها سارقها • وكذلك الحال بالنسبة للحطب والبتروليات وكل ماهو ذو علاقة بها •
الشتائم :

الشتائم والسباب هي الدعاء بلعن الروح بالفاظ خاصة على اعتقاد منهم ان ذلك يكون سببا لا يذاء المتوفي نتيجة لحادثة من الحوادث المتعلقة به او بأهله • والشتائم عكس الدعاء بالرحمة لروحه • • وهي ان كانت متعاكسة المعنى فهي متعاكسة الغاية ايضا • وبعضهم يعتقد انها تؤذي المتوفي والاخرى تفيد به بينما يعتقد آخرون انها عبارات اجتماعية لا اهمية لها عند الموتى فعقابه وجزاؤه معلوم تبعاً لأعماله لا الى علاقاته الدنيوية •
ليلة القدر :

يقول العامة ان الموتى ينتظرون ليلة القدر بفارغ الصبر لانهم فيها يجتمعون وتأتيهم فيها (رَحِمَاتٌ) (٢٤) من الدنيا حيث ان اهلهم يعملون (تَوَكَّأً) بتوزيع المأكولات وخاصة (تَمْرٌ الخَسْتَاوِي) المزوج بالطحين والدهن ، ويسمونه (تَمْرٌ كَدْرٌ) • وتذبح في مثل هذه الليلة في كل بيت العديد من الطيور • لانهم يرون موجبا لاراقة دم لكل ميت من اهلهم وخاصة من كانت وفاته قريبة •

الخنزيرة :

وهي ليلة رمضان الخامسة عشر ، وهم اطلقوا عليها اسم (خنزيرة) لان الموتى فيها (يخنزون) اي يترددون الى اماكن بعضهم ، وعلى سبيل النكتة يقول البعض ان الموتى (يتمازكون) في هذه الليلة وعلى اهله عمل ثوابه من (كسور) الذبيحة اي مفاصلها ليتزود بسلاح جيد لينتصر في عراكه .

الحيوانات :

واذا سألتهم عن الحيوانات ، ما طريقها؟ اجابوك بان جميع الحيوانات تدخل الجنة ! ولا حساب عليها ، فانه ليس لها عقل كالانسان يفرق بين الصالح والطالح . وهي تاكل من حشائش الجنة وتشرب من مائها . ولا ادري هل تعيش مع انسان العالم الاخر ام ان لها جنة خاصة . . او جزء من الجنة ؟

الكفار :

الكافر هو الانسان الذي لا يطيع الله ولا يؤدي فرائضه ، بل ولا يؤمن به ، وله عقاب من الله هو دخوله النار . ولكن الفكر الشعبي يؤمن بان بعض الكفار يدخلون الجنة ! فتمجّب وتسألهم ، فيقولون لك ان الله غفور رحيم ، فقد يكون من الكفار من عمل عملاً جليلاً يستحق الثواب . روى احدهم انه رأى في الحلم فلاناً - وكان فلان هذا من ذوي الآثام المعروفة - في الجنة . فلما سأل عنه قالوا له انه قتل رجلاً - لاحظ ان القتل من الذنوب الكبيرة - اساء بفاحشة الى قبر فتاة .

وفي هذا المجال ان حاتم الطائي - رجل لم يدرك الاسلام - لكرمه يعتبر من اهل الجنة . وكذلك الحال بالنسبة لعنترة بن شداد ، وغيرهم ممن اشتهروا بصفة معينة . وقد يقولون ان هؤلاء لا في الجنة ولا في النار ، بل اعد لهم مكان آخر ، صحيح انه لا يحوي خيرات الجنة الا انه ليس فيه عذاب النار . وهم يعبرون عن ذلك بقولهم «بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ» .

الفقر :

لفقر الانسان علاقة بالصبر والاحتمال ، وهو ما اوصت به الفلسفة الاسلامية مؤمنها ، فمن هذا انطلق الفكر الشعبي ليؤمن بان الانسان مهما كان فقيراً في دنياه حصل على احسن الدرجات في آخرته . ومن هذا المنطلق زهد الكثيرون وعافوا خيرات الدنيا وسكنوا قبورهم وهم احياء .

الوهمية في الوفيات :

قد يتوقف قلب الانسان عن العمل نتيجة حادثة معينة وتعلن وفاته . وقد يصل الاستعداد بعملية دفنه الى درجة بعيدة المدى ، وقد

يُستعد لدفنه • ولما كان هذا التوقف وقتياً فإن القلب يعود الى العمل فينتبه الشخص ومن حسن طالعه انهم لم يدفنه • • ومهما كان السبب في ظهور علامات الموت الكاذب على الشخص فان الفكر الشعبي لا يعترف بالتعليل العلمي بل انهم يقولون انه صار خطأ بقبض روحه او كما يعبرون عنه : (لِتَوْهَمُوا بِهِ) او (صارَتْ وَهْمُهُ بِهِ) • وتؤثر مثل هذه الحالات عادة على الاشخاص المصابين وخاصة على حالتهم النفسية والعقلية فيصورون اشياء يبدؤون بقصها على السذج فيدخل لهم الامر حقيقة • وانا شخصياً سمعت باكثر من حادثة من هذا النوع • وكما اضحك لما اذكر اني صدقتها في فترة من فترات حياتي •

الكلاب والقطط :

تعتبر هذه الحيوانات صديقة ودية للانسان العامي خلال حياته • لذلك فهم يعتقدون ان المرأة او (أم البيت) او (راعيتة البيت) كما يعبرون عنه ؛ مسؤولة عن اطعامها ومن يحاسبونها في الدار الاخرى ، بل ويمنع عنها ما منعت عنهن في الدنيا • وقد سمعت احداً من تروي حكاية انها رأت في اصفاء أحلامها امرأة متوفية تعرفها ، رأتها في أرض غناء والماء يجري في سواقيها • ورغم ذلك فانها كانت عطشى لان كلباً كان لا يدعها تشرب من الماء • فلما سألتها عن السبب قالت انها كانت لا تعطيه ماء •

الاطفال :

يعتقد العامة ان الموتى من الاطفال يدخلون الجنة بدون حساب ، اذ انهم ابرياء وليس عليهم واجبات دينية فلذلك ليس عليهم ذنوب يحاسبون عليها كما يفعل مع الراشدين •

ومما يروونه بشكل حكايات تتناول هذا الموضوع :

يروى ان رجلاً عاث فساداً حتى مل ومن اعماله فيشس القبور للحصول على اكفان الموتى وبيعها • وبعد تفكير في الموت والحياة الاخرى والقباب ، جاء الى احد المجتهدين يستفتيه في امره طلباً للمغفرة • الا ان ذلك المجتهد استعاذ منه بالله وطرده شر طرده لانه لا مغفرة لمن عمل مثل اعماله • • واعاد الكرة مع ذلك المجتهد ، قبل قديمه وبكى بين يديه وجرت دموعه على خديه • فلم ير بداً من استشارة ربه ، فأملسه • وفي المنام اشار عليه الله انه اذا اراد مغفرته فليضع جذعاً رطباً في ارض قاحلة ولينتظر اخضرار ذلك الجذع • • وبلغ المجتهد الرجل وعمل بما اشار عليه ، واخذ يبكي قربيه ويسقيه بدموعه حتى بانث نواجذه بعد ان عمل الدمع

جروحاً في وجهه . . وغفر الله له فظهرت في الجذع وريقات خضراء . ولم
يكشف الرجل بذلك بل بقي قرب الجذع يبكي حتى مات .
ان في هذه الحكاية فلسفة صوفية تحمل معنى لطلب المغفرة بعد الاثم
الشديد . ورغم مغالاة مؤلفها الا انها تبين بوضوح وجهة نظر العامة الى
معنى الغفر في العبادة والتصوف . وايضاح الى ان الله يغفر مهما بلسخ
الذنب .

يقال ان الامام علياً (ع) مر على قرية قرب مدينة الحلة فيها نهر اراد
عبوره فوجد قرب النهر جمجمة انسان . فقال لها : يَا كُرْكُرَةَ وَيْنَ
الْمُتَبَرِّهَ ؟ . وهو يعني بكلمة (كركره) (٢٥) اي انها جمجمة عبد اسود .
وكان ان اجابته بانه اذا كان يعرف انها جمجمة عبد ، فهل يستعصي عليه
معرفة طريق العبور . ومنذ ذلك الوقت والقرية تسمى : (جَمِجَمَةُ) .
في هذه الحكاية مثل واضح للايمان بالروح وعلاقتها غير المنفصلة
بالجسد كما وهي بيان لاعجاز الامام علي (ع) وشدة ايمان العامة به
على انصاف منهم لاصله النبوي وشجاعته وفضله وحكمته .

امثال شعبيه عن الموت :

إِجَاكَ الْمَوْتُ يَا تَارِكَ الصَّلَاةِ : ويضرب للتوقي من الاعمال
الشريرة .

تَحِيرُ الْكَوْأَلَهُ (٢٦) شَيْتَانُكُل : ويضرب للمدح .

أَوْ مَالَةَ الْقَاضِي مِنْ مَا كَتَّ كَيْلُ النَّاسِ مِشْسُوا وَبَاهِهِ . .
«لقاضي من مات محد مشه وراه : ويضرب لغوف الناس من الحكام» .

من سطح الْخَانُ لَجَهَنَّمَ : ويضرب لكثرة الذنوب .

المأبِيه خَيْرُ مَوْتِهِ اخَيْرُ : ويضرب للثم .

مُوكَلِّمَن يَمُوتُ عَلَيْهِ يَنْتِيجُهُ : ويضرب لاختلاف اخلاق
الناس .

الْمَيِّتُ مَيِّتِي وَاَعْرِفْهُ اَشْلُونِ مَشْعُولُ صَفْحُهُ : (٢٧) ويضرب
للشخص الماكر .

الْمَيِّتُ مِنْ يَمُوتِ اتَصِيرُ كَرَاعِيَيْنِهِ اِطْوَالُ : ويضرب لتعلق الناس
بنوهم المتوفين .

المَوْتُ مَا يَبِيهِ شِمَاتِهِ : ويضرب في ان الموت حق لله على الناس .

مَحْنَدُ (٢٨) يَكْنُصُ الرَّاسُ غَيْرَ الْيَرْبُوبِ : يضرب للشجاعة ، وفي ان
الله هو الخالق وهو المتوفى .

الْبُضُوكُ* المَوْتُ يَرْضُهُ بِالصُّخُونَةِ : (٢٩) او كما يقولون (بعض
الشر اهن)
لا اطلبُ للمكبره ولا استمع بواجبي : ويضرب للتوقي *

-
- (١) العلاج ، الجود بالحر الانلاس *
 - (٢) من تجزي الماء نقطة فنقطة *
 - (٣) من الاستعراضي *
 - (٤) مضي *
 - (٥) استشرتك *
 - (٦) الآن *
 - (٧) نهائيا *
 - (٨) قراءة سورة اللاتحة *
 - (٩) الكفلية *
 - (١٠) اصبحتي *
 - (١١) ملك *
 - (١٢) تصغير كلمة (زلم) اي صغير *
 - (١٣) الآن *
 - (١٤) شاب *
 - (١٥) من المراك *
 - (١٦) چيز *
 - (١٧) لا انسالك *
 - (١٨) الغمام الابيض (الكفن) *
 - (١٩) ما يتوي الانسان عمله ، ولو تكلم *
 - (٢٠) لا اريدها *
 - (٢١) تمسك *
 - (٢٢) البكاء *
 - (٢٣) الاسم ماخوذ من الرحمن *
 - (٢٤) جمع رحمة *
 - (٢٥) يقال للعبد (كمر) ولغيره (مر) *
 - (٢٦) قارئة المدح بالشمع *
 - (٢٧) من اللاف السباب *
 - (٢٨) لا احد *
 - (٢٩) الحمى *

في زواج الصابئة

أديشة الخميسي

لو قمنا بإحصائية بين كهول الصابئة لوجدنا تداخلا وتضاربا في
المعتقدات اليومية التي تخص الخير والشر وسبل التفاؤل والتشاؤم
ونفتقد التشخيص في حالات معينة وظروف طبيعية طارئة لا يمكن
افرازها بسهولة لانها تشكيل قلق لما هو عام في جميع البلدان العربية
وما جاورها وحتى في بعض البلدان الاوربية ، وإن اختلفت الطرق ، إلا
اننا نقف وملؤنا الاطمئنان في محطات الدين وعلى وجه الخصوص في المهر،
فهناك تتوقف الروزنامة عن الدوران لتدافع عن وداعة الحلم البدائي
المتفرد بنقاوته الفطرية وتلقائيته الموحية بالفضول مصورة خضوع
الانسان الاول للقوى الغيبية والسجود لها وطلب رحمتها ورضاها ،
وانماء العقل والمنطق وتسخيرهما لها ، فتكون الكواكب هي الحاكمة وهي
المدبرة لمصير البشر ، فاذا اسقطنا زمننا من الحساب وعدنا الى التحضيرات
والفعاليات التي يقوم بها رجل الدين ، بطريقة متسامحة متفهممة ،
فابمكانياتنا حينذاك ان نشاهد مسرحية ذات فصلين مقامة في العراء يخرجها
الكاهن ويمثلها العرسان بصرف النظر عن النجاح او الفشل اللذين قد
نحسهما كمشاهدين ، المتوقع لها ان تنتهي نهاية سعيدة ، غير مبالية
بمشاعرنا ، فاذا افترضنا مكان المسرح العراق وهو الممر والمنتجع لكثير

ت.ش/٤٤/٤/١٩٧٣

من الاقوام فمن الامانة والواجب اعتبار اختلاف قومياته وأديانه العابرة
وانقيمة هدفنا للبحث التاريخي المستفيض قبل اصدار القرارات السطحية
والاعتراضات الكيفية ، وهذا يحتاج لتفرد طويل الامد وانا وصبر في
الدرس والمقارنة وتحديد منطلقاتها ثم مراسها
وعندما نزلت الصابئة متجهة لمناطق حرية وسلام حطمت رجالها في
شمال العراق وايران وعرضت بطبيعته «الحال الى معتقدات شتى فتأثرت
نافله غير منقوله مضيئة ذلك الى كتبها المقدسة التي تحتفظ بها في حيز ضيق
- حتى من عامتها - فتتصالب حد الجمود على مرور الزمن ، فقطوسس
الزواج بمكوناتها الحاضرة لو نظرنا اليها بمنظار خارجي نجدها تتميز بميزة
فريدة في نوعها ٠٠ لامثيل لها في فئات العراق الاخرى محسب بل في منطقة
«الشرق الاوسط بأسرها - في عصرنا - ويأتي انفرادها من عملية التفطيس
المائي ٠٠ الحالة التي تثير انتباه الناس وتوقعهم في لجة فضول لا حدود
له ، وحتى فصل الى تلك اللحظات لابد من مسك الاحداث من بداياتها ٠

قبل الخطبة

من الامكان ان يلتقي الفتى بفتاته في حفل عائلي او ديني كما في
الاعياد الدينية والاعراس وغيرها ولا وجود للتفرقة بين الطرفين في مناح
عديدة ، والصابئة لم تتحجب لا قديما ولا حديثا لكن الاختلاط بتوجيه من
الاهل وتحت رقابتهم ، ولقاءات الاقارب محققة ، وقد يكون الزواج بالاتفاق
بين العائلتين^(١) ويفضل ابن العم ثم يليه ابن الخال فادنى ، ولهم من
النظم العشائرية «النهوة فابن العم له الحق في ابطال الزواج ان شاء ذلك
في بعض العوائل - المعزولة حضاريا - ولكن الاكثرية لا تسمح بذلك
وتستشير صاحبة الشأن ولها القول الفصل ، ما عدا زواج العوائل
الكهنوتية التي يخضع الزواج فيها لشروط خلقية ووراثية ودينية دقيقة
لا دخل لها بالقرابة والحب وانما يجب ان تتوفر نقاوة العرق خاصة اذا
كان طالب الزواج من مرتبة (كنزفرا)^(٢) فان مسؤولية الاختيار تزداد
وقلما يخطئون في هذه الامور ، لان الخطأ معناه سقوط الكاهن من منصبه
الديني وما يجره عليه من مشاكل بدنية ونفسية وخيمة ، والعاطفة هنا
ليست هي الاساس في الاختيار ويكفي الرضا والقبول والناهيل الديني
بالدرجة الاولى ولكنه يختلف تماما عن زواج الهنود مثالا الذي يحمي
العاطفة من قاموسه بهدف تجنب مشاكل الحب عند البلوغ ، فيتزوجون
قبل ان تستيقظ الرغبات وتستفز العواطف لهذا ينشط الاهل في عقده
لابنائهم في سن مبكرة جدا^(٣) ، تلك مسألة توجب الابانة فاذا توفر الحب
والشروط الاخرى لرجل الدين الصابئي فيها والا فلا لان الدين لا يحرم

الحب بل يؤيده على ان يكمل بالعلاقة الشرعية ، وفي كل الظروف لا يكون للجبار اية وجهة تجيز العقد، وما النصوص الدينية العديدة التي تتضمن تـ لاسئلة على الزوجين وتلقي الاجوبة عنهما اثناء المهر الا تأكيد على اعلان رغبتهما في بناء عش جديد وتمازج عاطفي لا تنقسم عراه ، اما تقليد نذر الفتاة لاحد الشيوخ او السادة فلا وجود له في شرعهم ، وكذلك اعطاء الفتاة هبة لرجل كي يتزوجها ، لكن الزواج المسمى بزواج الفصل او الزواج المتقابل «كصه بكصه» فيعمل به احيانا ويشاهد الآن ولكنه غير شائع وليس له نص ديني يسند مـ يدل على انه طاري ومـ متحد

بعد الخطبة

صار الاتفاق مبدئيا على الزواج اما بمشاهدة الفتى لفتاته في مكان ما فوقعت في نفسه وقرر ان يرتبط معها للابد ، او اختارها له اهله ووافق دون ان يراها واكتفى بالوصف الغيبي ، وفي المراحل المبكرة تذهب ام الخطيب او شقيقاته الى بيت اهل الفتاة بحجة يخلقنها لامتحان صلاحية الفتاة وربما لا تكتفي الواحدة منهن بزيارة واحدة حتى تقتنع قبل الاقدام على الخطوة التالية ، وتندرج في الحديث كان تطري محاسن ابنها فتبالغ في حشد مزايا وهمية تضيقها الى ما عنده لتجعله نبي عصره، او تصور رفضه للكثير من الفتيات بطريقة مؤسسية ، وذلك في اطار التفخيم الذي ترجوه كأعلى منزلة واكثر علما وربحا من اقرانه ، وعندما يستقر الرأي يرسل اهل الخطيب كبار السن في العائلة او من وجهاء الدين يطلق عليهم (المشايه) يتصدرهم والد الفتى ليطلب يد الفتاة او يوكل من ينوب عنه كخطوة تمهيدية ، فوالد الفتاة بدوره يضرب موعداً امده اسبوعاً او شهراً للمداولة والتشاور ، وعند تراكم القناعات عند الطرفين يتفق على المهر ومقداره والحاضر والغائب ، والحاضر يطرح في المجلس امام (المشايه) كشهود عليه وعلى تسمية الغائب ويكون دورهم حسم النزاعات وتقريب وجهات النظر واختبار رأي الفتاة التي قد تحضر بعض جلسات النسوة ولا تشعر ان الحديث يدور عليها تبعد وتعتمد الى مشاهدة ام الفتى وسماعها من ثقب الباب ، فاذا كان بين الاثنين تفاههم سابق وحسب مكنون ووعداها بالزواج فانها تكتنم الفرحة بين جوانحها فيفهم من صمتها القبول ، اما اذا كان رأيا معاكساً فانها ترفض وتنتهي المسألة ، وتشير الدلائل ان الحب كان عوناً للعاشقين وعاملاً مساعداً في زيجات كثيرة ، فالرجل الذي وعد بالزواج وتماهل فوعده لا يترتب عليه شيء سسوى خلفيات خلقية وادبية زرعت في نفسه كالشهامة والرجولة تكونان كسمام الامان ضد هجمات التنصل والاحباط ، اما اختطاف الحبيبة دون خطبة او زواج شرعي او معاشرتها جسدياً فهو امر معيب لا يقبله أحد ويبقى

وصمة عار شنيعة في سجل العائلة لأجيال ، لكن الصابئة لا تقتل غسلا للعار لان القتل محرم دينيا ولا تحدث حوادث تذكر من هذا القبيل ، نظراً للروادع الدينية والاخلاقية الشديدة ، ناهيك ان كان الهرب يتبرير من الفتاة ومع رجل من غير دينها ففي هذا الطرف تخرج من الدين تلقائياً ٠٠ وان سويت الامور حسب الاصول المتعارف عليها وبحضور الامل يتفق على مقدار المهر ، فالحاضر منه قد يكون عينيا يساهم المرشح للزواج في شراء الفراش والدولاب الخشبي (المحمل) واوراني الطبخ ومزبس العروس بما فيها العباءة البيضاء ، وبعض الحلوى كالقلادة والسوار والمجسس شذر او غيره وحجل فضي او ذهبي او كلاب^(٤) على قدر حالته المالية ، وربما يتجنب الشراء ويتكفل اهل الفتاة بالجهاز وهو يقدم شيئاً يسيراً من الحاجيات والنفود ٠٠ بضع ليرات لا تزيد على الخمسة او الستة وقد تصل الى الخمسين والرقم المذكور لا يبذله الا العشاق المعانيد ، والغائب يسجل لها في الدوائر الرسمية امام شاهدين يثق بهما اهله^(٥) ، ويفضل ان يتوازن الغائب والحاضر والقاضي لا يدفق حرفياً في اتمام العقد لعله ان هذه الفتاة تبعت على الثقة لندرة حالات الطلاق عندها ، والملابس التي تختص بها الخطيبة (كنيشان) تختارها ام الخطيب او شقيقاته وقرباته بحسب ما يمليه ذوقهن ، والفتاة لا تسأل عن النوع والكم فهي ليست اكثر من متلقية ، وما عليها الا ان تبدي ارتياحها وقبولها دون تبرم أو اعتراض ، وقد تلتقي بفتاها ويسرقان الفرص ليتناجيا فقط فليس هناك تخطيط لبيت المستقبل فهي قانعة راضية بالحاجيات المنوه عنها ومجمل اناث الغرفة بلخصه الشاعر منصور خيطان غنيد في هذه المحاورة (توكلي على الله يا جليلة القدر : فاذا كان عندك حمل فسوف احمله لاجلك ، فراش جيد الصنع أهين لك ، وخادم يفصل قدميك فانرك لك جواراً ، توكل على الله ، واود ان تكون الغرفة جديدة ذات فراش مصنوع من (البريسم) قرب اغطية منضدة) وقوله : وحادم ٠٠ الخ فاراد به اشعارها انه ندي لا يبخل عليها بشيء ويتفاني في اشعارها ويساويها ببنت الشيوخ ٠ وهذه هي الابيات ٠

هو : **توكلي على الله يا هلييلة**
ومن كون عندج حمل لجلج لشيله
افراش الج مفروش حدرج نهيله
وخادم غسل وجلين اتركلج جواد
هي : توكل كون حجره جديده
وافراشها بريسم مراجي النصيده^(٦)

قبل الزفاف

لا يحين موعد الزفاف الا وتكون العروس بكامل زينتها اذ قامت بحملة تجميلية تبتاع موادها من العطار وبارشاده ومواصفاته تركبها وتحفظ بها في قوارير لوقت الاستعمال ، فشر انراس له المحلب كمادة عطرية مقوية للشعر يغرم بها الجنوبيون ويتألف من (محلب ، جوزة بوة ، مسك ، قرنفل ، هيل) ، تؤخذ المواد بنسب معينة وتذق بالهوان جيداً وتدخل وتكرر هذه العملية عدة مرات ثم يمجن في الماء ويلبغ به الشعر ليلة السبت، (٧) قبل الزفاف ، وتكور الشعر الى الاعلى وتربط الرأس بالقوطة وتبيت على هذا الوضع لليوم التالي وهو يوم الزفة حيث تفسله بالماء الدافىء والطين خاوه، (٨) وطريقة استعماله بسيطة جداً اذ ينقع في الماء الدافىء قبل وضعه على الرأس بمشرة دقائق كيما تذوب حبيراته وترسب في قاع الاناء . ويبعد عنها الماء على مهل والراكد يوضح على الرأس بعد التخلص من المحلب فتؤكد وضع الطين بين الفروق وتنظيفة الرأس الشطف ، ودوره في تنظيف الشعر وازفاء الصلابة على الاطراف وينشط وكثير من النساء لا يستعملن المحلب ليوم واحد بل لعدة ايام وربما يمسحن الجسم به، وذلك للاستفادة من رائحته النفاذة أطول مدة مستطاعة . ولإزالة الشعر الزائد ينتف بالطابوق المدقوق ناعماً ، وتنخب قطعة قير متصلبة وتدعك بها الساق المنداة بالماء ، فيقطع الشعر ويلتم على هيئة لفائف ، وربما تسوي حاجبيها بالرماد المتخلف في المنقلة ، وفور خروجها من الحمام (٩) تفرش تحت الابط مادة خاصة للتخلص من الرائحة الكريهة ولاضفاء عطر ذكي بدلها تتألف من (الشب والزهره) (مادة زرقاء) والقرنفل تخلط معاً وتدق حتى تصبح ناعمة وتحفظ في قنينة ، ويقال ان مفعول هذا المسحوق يستمر سبعة ايام فاكثر ثم يجي دور الديرم (١٠) سيد المواد التجميلية واهميتها متأنية من تأثيره المباشر على الشفاء والاسنان، واثناء الاستعمال يبقى تحت الشفة السفلى فترة حتى تنضج مرارته وتكتسب الشفة صبغة رقيقة كدليل على ان المادة قد تحللت وبدأت تستجيب لقذف مكوناتها . تحك به الاسنان وتطبق عليه الشفاء فتتلون باللون الاحمر القاتم وتتخلف الالياف فيتخلص منها ، ولا تكتمل عملية التجميل دون الكحل وصناعاته تتقنها قلة من النساء لانها تتطلب مهارة نوعاً ما ، ويحضّر بعدة طرق منها حجر الكحل وصفار البيض ومنها لب نوى المشمش المنقوع شهراً او اكثر ويتعامل مع حجر الكحل . تنسرك الغوض فيها وتكتفي بالتنويه .

الزفاف

مساء السبت اكتملت زينتها فلبست ما حلا لها وتفضل الثياب
الحريرية البراقة ثمة عباءة بيضاء (عرضها ابيض) تستقر بجوارها حتى
يأتي فوج المدعووات اللواتي يعلو ضجيجهن وترتفع اصواتهن الخام بالفناء
الذي يناسب المقام ، وكانت العروس على اهبة الاستعداد لتحفز استسلامي
وطاعة لا محدودة ٠٠ استوت واقفة وقد غطت وجهها بخمار حريمي
اخضر وتلفعت بعباءة بيضاء ، تصدرت الجموع المرحاة واعترضتها فتاة
تحمل صينية فيها شموع موقدة واقواس الاس الخضراء ، وفتاة ثانية
دفعت مرآة بوجه العروس لكي ترى نفسها بها ، فتسير الفتاتان في الجهة
المعكسة (اي تمشيان الى الورا) وهكذا يمضي الركب الى بيت
الخطيب اما مشيا على الاقدام ان كان البيت قريبا او بواسطة البلام ان
كان على ضفة النهر الاخرى ، او على جمل صنع له هودج يتسع للعروس
وبعض صويحاتها ، اثناء ذلك تفني النسوة البستات الشعبية بمصاحبة
الطبول والدقوف ، ولتكلمة هذه النقطة نؤكد ان للصابئة اغان خاصة لهذه
المناسبة وغيرها بلفتهم المندائية حتى انهم يملكون كتابا خاصا وهو
(الانثيا) اي الاغاني ، يعتبر من الكتب الدينية النادرة ، كما ان كتاب
(القلستا) الخاص بالزواج يحتوي على اغاني ورجعها وقد اخترت اغنية
خاصة بزفة العروس نشرتها الليدي دراوار(١١)

ياسيدي الصغيرة

التي تحمل المرأة من اجلي

هل ترين منها متنبئة

باني اكثر نقاوة منها

الان لا تفني هذه الاغنية او غيرها لان اللغة التي كتبت بها بصدت
عن اهلها منذ دهور ، وفي مناسبات كهذه ينشد المنشدون الاغاني المتداولة
في المناطق الجنوبية مثل

زفوا عروسك يا سباح(١٢) الكلب/ تكرد

صفك وعلاهل على طول الدرب

زعلان عليه يادادا انا شكايل / تكرد مرات

خلاني وراح وراح

والكلب ما مرات

غايب هوي

وبضلعومي اسمه

وبين النهدي والزيج (نتحة الثوب التي يدخل منها الراس)

خايب هوي
كلساع اشمه
خايب هوي
وخلائي وراح وراح
والكلب ما مرتاح
وادد اشترى زغرون (صغير السن)
خايب هوي
بجليبي اديه
خايب هوي
ولكن حله بالعين
خايب هوي
اهله اندعوا بيه
خايب هوي
وخلائي وراح وراح
والكلب ما مرتاح

حتى الوصول الى بيت الخطيب ولكن الفتاة لا تدخله قبل ان يذبح
شاب على قدمها اليمنى ديكا (يعني ان الشر قُتل بمقدمها) تجلس في
الصدارة بمكان بارز ولا تنقطع حالة الطرب ٠٠ ولا يعود الخطيب - الذي
كان قد خرج من البيت عمداً قبل ان تأتي العروس ويعود محاطا بالمدعوين،
وتختلط الاصوات الخشنة بالناعمة ، ويدخلونه غرفة خاصة بالرجال
يسمونها الديوانية ، او سرادقا معمولاً من الصرائف على شكل مستطيل
يدعى (المضيف) ، وعندئذ يشتد الحماس وتزداد الهوسات الساخنة، حتى
العشاء المؤلف - غالبا - من الدجاج المحشي والتمن ، ويستأنف الغناء
والرقص ، اما العروس فتلتزم طابع الصمت والخجل يغلب على محياها
وكان الامر يثير مكانا حيائها ٠٠ ربما تبكي لفراق ذويها او تتصنع
الحزن لاجل الظهور بمظهر الفتاة العفيفة التي لا تهزها قضية الزواج
يرمتها ٠٠ واحدة من المغالطات التي تنتفسها طفلة وشابة وتمسك بها
بتلقين من امها والمجتمع المغلق ، فالتفتيات يبدو عليهن القصر العاطفي
وكانهن لا يحملن رغبة ما ، وقد عن لاحداهن ان تعبر عن فرحتها بمن
تحب فكسرت الطوق الحديدي ، ورفعت عقيرتها بما يناسب المقام ، فكانت
صرعة الموسم وحديثا شغل القوم طويلا وصاروا يتناقلونه كمثل صارخ
على قلة الحياء وفساد الاخلاق !!

التعميد

قبل افتضاض الحفل الليلي تضع الفتيات الحنة (١٣) بأيديهن وكذلك

العروس ، ثم تنام مع نساء العائلة على حدة حتى الصباح الباكر ، فيذهب من يشاء الى المندى (١٤) او بيت الكاهن كما اتفق مع الكاهن الذي سبق له وعين الزمان والمكان بعد ان تأكد ان يوم الاحد الذي يعقد فيه المهر لا يقع في الايام المبطلة (ايام غير مباركة دينيا) وان العروس ليست في حانه حيض او تترقبه ، فيأمر زوجته او غيرها ممن يثق بهن بفحص الفاء للتأكد من عذريتها ، فلن هذه المسألة اهمية دينية وعائلية ، مما خدع الكاهن يعني ستوطه من منصبه الديني واعادة تكريسه دينيا من جديد لمدة اسبوع فيجافي النوم والطعام الا ما يسد الرق مع مواصلة تغطيسه في الماء ثلثمائة وستين مرة ، وهو امتحان جد صعب قد لا يجتازه ضعيف البنية او كبير السن دون الاضرار بصحته الى درجة الوفاة ، ومن اضراره العائلية العداء والارباك الديني يحدثان للطرفين المعنيين ، وبالمسبة ، لاهل الفتاة تصبح وصمة عار في جبينهم ، فاذا كانت نتيجة الفحص سالبة تعيد فحصها امرأة اخرى ، فان اعطت نفس القرار تصغر الوجوه ويخبر الفتى في قبول افتتاة قرينة او رفضها وابطال مشروع الزواج من الاساس ، وفي العادة يخضع الرجل الى افوال محبيه الذين يندسون مصلحته كي لا يضيف الى اهل بيته عضوا فاسدا ، اما اذا قبلها على علاقتها وتحلى بسعة الصدر فلا يعقد المهر الكاهن - اي كثر فرا - وانما يفقد كاهن آخر وهو ايضا كثر فرا ولكنه خاص بالشباب يطلق عليه (ابيسق) فاذا كانت النتيجة ايجابيا تستبشر النفوس وترتدي العروس اللباس الديني (الرسنة) (١٥) بمساعدة زوجة الكاهن التي ترشدها وتلاحظ عقدة الحزام (الهميان) (١٦) فيما اذا كانت بوضعها الصحيح ام لا . ٠٠ اثناء ذلك يكون الكاهن الاعلى وزملاءه - بلوجتي توميدا - اي تلميذين - بلباسهما الديني الكامل بزيادة (التاغ) (١٧) اي التاج . ٠٠ يجلسون حفاة مستقبلين النجم القطبي على ضفة النهر حيث ممارسة الطقوس وجها لوجه امام الطبيعة المجردة ، يتعاون الكهنة في تهئية الاواني الطينية والخبز المقدس وغيره ، فمن التحضيرات الواجبة (المجمرة) التي يجب ان تظل موقدة الى ان ينتهي تعيد طالبي الزواج ، ويساعد على توجهها خليط الحرمل والبخور والسندوس والجنديل (لاطفاء تأثير العيون الحاسدة) ولتدفئة المتعدين ، والمجمرة تصنع من الطين الحري - ككل حاجيات التعيد والمهر الطينية - على شكل مستطيل ترتكز على طبق ايضا يسمى (كنايه) له حواف قصيرة ذات تجاويف بسيطة على هيئة انصاف دوائر يكون ارتفاعها بمستوى حواف الاناء كله ، عليها مكعب طيني بحجم الاستكان محتوياته خليط الحرمل ٠٠٠ الخ الوارد ذكره ، وعلى الارض اوان من النحاس منقوش عليها اسم كل كاهن - حسب رغبته لثلا تضع - الواحدة منها لا تستوعب غير جرعة من الماء ، باللغة المندائية (١٨) يقال لها (كيشه) بجوارها قنينة

زجاجية (مبول) تندی اغصان الاس الخضراء لتحافظ على طراوتها حتى تصنع منها خواتم تقليدية تلبس اثناء التعميد ، وهذه الادوات الطينية المائلة على الارض كانت شائعة في عصور تاريخية قديمة^(١٩) ، استطاع الصابئة نقل شعارها بامانة كتقليد ديني الى يومنا هذا ، الخبز يجز قبل البدء باي عمل وهو غير خبز المهر الآتي ذكره ، وكذلك دهن السبسم والعصا (مركته) والمهر الذي شاهده كان بتاريخ ١٩٧٢/٧/٧ وتولى عقده الكنزفرا عبدالله الشيخ سام وهو رجل مسن وخوفاً من تعرضه للبرد جلس على كرسي خشبي ووضع في قدميه قبقاباً خشبياً ذا سبر صوفي^(٢٠)، وزميله يقومان بواجباتهما حفاة ، يمسك الكنزفرا كتابه الديني الخاص بالتعميد (سئلوا او نُسَمَّاهُ)^(٢١) ، واول ما يفتح القراء بقوله (باسم الحي واسم مندا ادهي^(٢٢)) وواصل تلاوته التمهيدية بصوت مسموع الى ما يقرب من الساعة وينود براسه باستمرار وهي صلوات يوم الاحد ، فيقال يبنني (وههي) اي يطلب الرحمة ، ويتحسس لباسه الديني ليحكم شد الازيمة على جسده وتثبيت النصيغه^(٢٣) والعة ويخرج التاج الصغير من تحت عمته ليقبله ويمس به عينيه وجبينه احدى وستين مرة ، ويعيده الى مكانه الاول ثم يضيف البخور الى الفحم ويفرز عوداً يابساً من قصب ، ولا يرتفع الدخان المعطر يلقي العود جانباً ويعود الى كتابه من جديد ويمسك طرف النصيغه ويسويه على راسه ، بينما تستقر العصا على ذراعه اليسرى ، قد يرش قليلاً من البخور وغيره على النار مرة اخرى ممسكاً عصاه بيده اليمنى فلا يجوز مسها باليد اليسرى وعملية التعميد لا زالت في اوائها ، ثم جلس على عقبه قليلاً وبعد ذلك اخذ قطعة من الخبز المقدس وصار يعجنها بالماء «الجاري» ، ويعود لمجلسه قرب النار ، ويستأنف القراءة في الوقت الذي دفا اللقمة على النار وازدردما وتلاها بجرة ماء ، ملاء حديثنا من النهر بواسطة القنينة الزجاجية (مبول) وذهب للنهر مستصحبا اناءه الصغير (الكبشه) فيملأه ماء ليدلقه على العصا قائلا : ايها الحي القديم ٠٠ احدى وستين مرة ، وقد مسك طرفي النصيغه كي يتحاشي الخطأ في الحساب فينظر الى كفيه مادها الى الامام ثم يحني قامته ويمتدل وتنخفض يده وكأنه يعم بعمل شيء ما ٠٠ يقترب طفيل صغير بدرجة (شكند^(٢٤)) فيردد قول الكاهن ويتولى التشبث بنصيغه الكاهن ويعود ادراجه ولكن في انتظاره اعمال اخرى لا تخلو من طرانة ، في حين ينشغل الكاهن بما هو فيه فيخلع التاج ليبدأ بما فعله اولاً وهو لثم التاغة والربت بها على وجهه احدى وستين مرة بسرعة تدرب عليها بالممارسة ، وفي نهاية هذا الرقم نكون قد انتهينا من القسم المهم من التعميد ، احد التلميذين يقوم بعمل خواتم للمتعمدين وزميلييه من الاس ،

وارل خاتم منها اخذه الكاهن الذي طلب الرحمة (الرهمي) ووضعه تحت
عنه التي استغنى طرفيا وجعله لثاماً وترك اطراف النصيفة مسدلة ، ولم
ينركبها طويلا اذ رمى طرفا على احد كتفيه ثم سحبها وربطها مع الاخر ،
ووضب على انقراة ثم قصد النهر وغمر نفسه في الماء حتى الحزام وقد
عرس عصاه في انفرين وادخل نهايتها المعقوفة في عقدة النصيفة وقبل
نركه الماء بخلص من حلقه الاس فطأ في المياه ، وغسل يديه عدة مرات
وفي تلك اللحظات كانت الفتاة تنتظر إشارة الكاهن بينما زميلتاها كانتا
تنتظران دورهن ليتعمداً ، (٢٥) كانت خطواتها وجلة حتى صارت قرب
الكاهن الذي سبقها الى الماء فاعداها خاتم الأس ووقفت خلفه وازمست في
الماء حتى هامتيا ثلاث مرات في كل مرة يرش عليها الماء ثم امرها ان تتجه
الى يمينه فمسك رأسها بحنان ابوي وغاصت حتى جبينها ثلاث مرات
وبدورها يرسم على جبينها بيمينه (إشارة التبرك) من اليمين الى اليسار
ويسبقها ثلاث جرعات براحة يده ، وكذلك تعيد قوله ثلاث مرات . .
العهد يحفظك ويشبكك (٢٦) ، وانتزع اكليلا وزمها في المياه الجارية
واكليلا هو دسه تحت عمته واستعانته بيده اليمنى لتنهض واستتوي
واقفة على الضفة واخذت مكانها قرب المجرة بعد ان دارت حولها عدة
مرات وفي هذه المرحلة لا يجوز لاحد لمسها ماعدا الكاهن ، جلست على
عقبها ووقف الكاهن خلفها ، وواصل قراءة الادعية الدينية على رأسها ،
وزميله دس في عمتها اكليلا جديدة ، والكاهن الذي يتولى تعميدها مسح
جبينها بزيت السمس بعد ان بلله بالماء ثلاث مرات ، ولوح لها وكأنه
يشرع في مصافحتها ولكن حركته كانت تعلمها ان تتبعه الى النهر ثانية
لتنكامل لها شروط التعميد التام ، وجلست على الضفة وهناك شمرت
عن ساعدها الايمن فرش عليها الماء وعادت قرب النار وبسطت يدها الى
الامام وحق لها الان ان تذوق الخبز المقدس من يد الكاهن وترتشف
الماء مرتين والثالثة وتفرغها على كتفها الايسر ، والمتعمد الذي يصل هذا الحد لا
يجوز له ان يكلم احدا والا سقط العماد ، والكاهن لا ينفك يتلو الاوراد
الدينية ، واخيرا بسط يده وقلدته بعد ان جلس بمحاذاتها قليلا ثم نهض
معه ، فامسك يدها (لتلقي البركة) وتحييه علامة تحيتها وطاعتها
وامتنانها للدين في شخصه تقبل يدها التي امسكها وتضمها على جبينها
واخيرا جلسا ، وبهذا القدر انتهى العماد الاول وجهن نفسه للعماد الثاني
للعرس نفسها بذات الاسلوب السابق ، وان سارت الامور على ما يرام
تذهب الفتاة الى غرفة خاصة فستبدل اللباس الديني المبطل بأخر جاف
وتجلس على فراش ارضي كامل علته كلة بيضاء (ناموسية) جوارها شموع
موقدة في صينية مطوقة باقواس الأس الاخضر ، وفانوس مضيء ، اما

الكاهن فاكل لقمة من الخبز المقدس وشرب وراءها الماء ، وفك لثامه وفي
النهر رش الماء على عصاه ثلاث مرات وعاد الى الحجرة وقرأ قولاً معيناً
احدى وستين مرة ، واخذ رأسه بين يديه وكأنه يسجد بحب وتقوى ،
ودعا (الشكند) الصغير فاجاب هذا على قوله ثلاث مرات ويذهب ورجل
الدين صار يقبل التاج وخاتم الآس ومسد عينيه وجبينه احدى وستين
مرة وهكذا اختتم تميم الفتاة وما جرى لها يجري للآخرات والعمرسان
فلا تفريق بين الجنسين دينياً .

المهر

الزواج الحقيقي لا يمكن عقده الا في مجلس المهر (اندرونا) الذي
يشيد في باحة الدار من القصب الجديد ٠٠ كل قصبين تربطان معاً
بالخوص وتدس اطرافهما في حفرة طينية مثقوبة من الوسط للتثبيت (٢٧)
مجموعها اثنا عشر عموداً لتكون لثلاث جهات اربعة ما عدا جانب
واحد يبقى بدونها مقابل النجم القطبي وبصفته باباً لا توصل فيدخل
ويخرج منها ، اما سقف الكوخ فيربط به اثنا عشر عموداً ، ويظل بالقمش
الابيض او الاشجار الخضراء (يقصد الزينة) وللتبرك بالشجر ترص جوانبه
الخارجية بما يتيسر منها ، فللشجر اهمية بالغة عند الصائبة نفس
الاهمية التي كانت توليها له السلالات القديمة (٢٨) ، وفي داخل الكوخ
فرشت الارض بالحصران - البوارى وعلى الجوانب تراصفت ارغفة الخبز
الفطير على آنية طينية كبيرة وهناك اواني اصغر منها عددها ثمان يطلق
عليها (طرايين او طرائن) مفرداً طريانة في اسفل كل واحدة ثمان
طرايين اصغر منها ليس لها حواف تدعى (كنكانه) ، هنالك كيس ابيض
اختفى في داخله ابريق نحاسي ذو ماء مقدس ، مجموع الارغفة (خبز قبل
ان يختمر) سبعة وعشرون رغيفاً ، وهو خبز المهر الذي اعدته والدة
العريس او قريباته ، ومن محتويات الكوخ كيس شبیه بكيس الابريسق
في داخله مكونات (لقمة العروس ، دفعت والدة العروس سلة ملابس
مختلطة للعريس يملؤها وشاح اخضر من الحرير سبق للفتاة واستعملته
خماراً في الزفة ، واسفل الملابس صابونة رقي وشنان - مادة منظفة -
وثلاث دراهم ومشط ٠٠ يرمز الصابون والشنان على عفة الفتاة وطهارتها
دينياً (سبق لها وتعمدت) والمشط على تمسيط الشراي على ابعاده ،
والدراهم على انجاب ذرية صالحة ٠٠ بباب الكوخ القصبى وضع طاق
رحى علوي بقربه مشربة فخارية لم تدشن بعد - الكوخ لازال خالياً ولا
يسمح لغير المعنيين بدخوله ، الشاب يترب على مقربة من الكوخ وقد
استبدل رداءه الديني الذي تعمد به بآخر جاف ومثله فعل الكهنه ،

الكنزفرا في انهر هو اللولب المحرك بينما في التعميد قد يكتفي ببناء
(الرهمي) ويأخذ العمل رفيقاه ، استهل الطقوس بالامتتاع من كتاب
(الفلسا) الخاص بالزواج وصار يتلو وهو خارج مجلس المهر ولا وصل
الى حد معين رفع الطفل الصغير (شكندا) المشربة الفخارية واحوى بهسا
على طاق الرحي فنهشمت ، وهما نالت هلاهل النسوة واشتد حماس
الشبان وفي مورة انفعال هرجوا ورقصوا ، هو ذا الكنزفرا يتجه الى
المجلس وتبعه العريس وقد اطبقت يده على نصيفة الكاهن (ليمحه بركتة)
.. جلس الكنزفرا على قطعة الطين الجافة المساء (كنكانه) وسلم الفتى
سكين دوله، (٢٦) (في سكين الدولة) وعلقها له في حزامه (كحارس يبطل
عنه غدر الشياطين) وجلس الشاب على كمكانة اخرى ، في الوقت الذي
غرس الكاهن عصاه في سلة الملابس لتصبح مباركة لانها تخص الخطيبين
المزمع عقد قرانهما ، ويأخذ الوشاح الاخضر ويربط به خصر الشاب ،
وينتهي دور السلة فتستقر في غرفة العروس ، ثم يواصل القراءة وبعدما
يشمر عن ساعديه ليصب عليهما زقيقه - ترميدا - الماء المقدس فينفق
يديه على الطرائف وجوانب الكوخ ويبادر الى رش السمس والملح (اضفاء)
الخصوبة للعريس) على الطرائن الثمان او جاء دور خبز المهر لتحصل
كل ضريانة على ثلاث والثلاث المتبقية تبقى على الطريانة الكبيرة ورفس
رغيف منها بيد وامسك زميله نصف الرغيف الاخر ويبدأ القول : باسم
الحي واسم هذا ادهمي منطوق عليك ، ويقتسمان الرغيف الى نصفين
واقتسام الحبز له جذور قديمة كما يقول العقاد وعنده يدل على الاخوة
الروحية ، وينهمك الكنزفرا بليم لقمة العروس المكون من الجوز واللوز
والسمك المشوي والنمر والبصل والكشمش والسفرجل هذا الخليط
السباعي ، المتناثر لونا وطعما قد عرفه أحد الكهنة الكبار بانه من الاسرار
السبعة (٣٠) ، يلتقط نفثة من هذا وحة من ذاك حتى تتكون لقمة يقتسمها
الكاهن الى نصفين ، للعروسين ، ولكن لا ياكلها الا بعد تحليف العريس،
ولهذا الغرض يدخل والد الفتاة الديني - وكيلها وليس والدها الحقيقي،
ودرجته الدينية حلالي (٣٢) - فيأخذ مكانه على كمكانة مقابل جلسة الفتى
فينوجه الكاهن الاعلى الى الأب بقوله : - اعطي ابنتك فلانة بنت فلان -
ينطق اسم جدما أيضا - لفلان بن فلان - اسم جده كذلك (٣٣) ، فيجيبه
بالايجاب ثم يلتفت الى الشاب ويسأله : اتقبل فلانة بنت فلان زوجة لك ؟
ولما يكون جوابه بالقبول يأتي دور السؤال التالي للاب : ما هو المبلغ
الذي اعطيت ابنتك فيه ؟ فيجده : بالف زوزي ودينار واخيرا يردف
الاب بسؤال التالي : وانت ماذا اعطيتك ؟ فيجيبه : اعطيتك
حبل من الثياب الحريرية وحملأ آخر من الكنان وعشرة مثاقيل

زعفران (٣٤) . وبهذا ينتهي القسم الذي يتكرر في كل مهر شكلا ومضمونا ،
بصافح الكاهن الاب ثم العريس يصافح الاب شاكرًا له تلك الهبة الغالية ،
التي لا تشهد شيئا من هذه الاجراءات ، وعندئذ يصب الكاهن الماء المقدس
على يد الشاب اليمنى فيحق له أن يتناول حصته من اللقمة التي خلطها
الكاهن بقليل من الرغيف المقتسم ، ويصب الماء على يد الاب فيأخذ حصة
العروس حاملا معها الماء المقدس في الفئنة الزجاجية ، وقد غطي يديه
بفضة قماش بيضاء (مراوده) وتابط رغيفين من الخبز وقبل ان يتخطى عتبة
الباب تعتمد اسقاط الرغيفين هناك . . صب على يد العروس الماء واعطاها
اللقمة فاكلتها وسفاها من الماء ثلاث جرعات والبسها خاتمين ذي الشنذر
(الازرق) في يدها اليمنى وذي الياقوت الاحمر في يدها اليسرى (٣٥) وقال
نبا قبل ان يبارح الغرفة بما معناه انها اصبحت في ذمة رجل آخر هو
زوجها وانه منذ اليوم ليس مسؤولا عنها ، فيجب عليها ان تحب زوجها
وتخلص له ولا تسود عرضه ، في ذات الوقت وضع الكاهن ثلاث قطع
قصية بيد لعريس تعذولا بزواج مبارك ، عاد الاب الى الكوخ القيصبي .
كان الكاهن يقرأ في كتابه والشاب يتمسك في نصيفته بيده اليسرى
نسلفي البركة منه ، وكفه الايمن يختفي تحت قماش ابيض ليستسقي
الخمرة من والد زوجته - الوكيل - وهذا بدوره قد وضع يديه خلف قطعه
قماش ، في اليمنى الاناء (كبته) و اليسرى فئنة الخمر (٣٦) ، ولا يفعل
هذا الا بعد ان يأمره الكاهن بقوله : اسق ، واثناء ذلك يقرأ صلاة الخمرة
- الكاهن - فسقاء سبع مرات ولم يترنح جرائها على اي حال ، والآن
حين لقاء الشابين مشفوعا بمزيد من الطقوس ، سار الكاهن حاملا عصاه
ناظرا في كتابه يصحبه الشاب ولا زال يتمسك بنصيفة الكاهن ولما اقتربا
من عتبة الباب كسر (الشكندا) الصغير جرة الفخار الاخرى على طاق رحي
سفلي واسقط احد الكهنة التمر في الطريق الموصل من الكوخ القيصبي
الى غرفة العروس ، تيمنا بالنخيل الذي يُعتبر احد المقدسات عندهم ،
ولجأ الى الداخل ثم تبعهما الكاهنان والاب لتجري هناك طقوس غايصة في
انطراف تنسي العروسين ماقد تحملاه خلال التعميد والمهر ، كانت العروس
داخل الكلة ووجهها يقابل الحائط فيؤمر العريس ان يجلس على الفراش
ظهرا لظهر مع عروسه - اذيع طرف الكلة عن الفتاة ليظهر رأسها - مسك
انكاهن رأسيهما فنقرهما معا ثلاث مرات ، ثم اهداهما اكليلا صنع بطريقة
خاصة والبسه خصرها في اليد اليمنى - اعطى لزوجها مثله في محبس المهر
من قبل - وسقاها خمرا سبع مرات واغرق سطح الكلة بورد الجودي
المجفف المدقوق ، وهو يرتل سنن الزواج ويباركه ، الكاهنان يتابعان

المشهد باهتمام بالغ ويمدان يدا العون للكاهن الأكبر فيمسك احدهما عصاه والاخر نصيفته كيما تلامس الارض وفي هذا ما فيه ، ولما ينشد أناشيد القران يردان عليه ، وهو جالس على فراش العروس ، واخيرا نهض وانتزع خاتم العروس الاخضر ودسه تحت عمتها ، واوقد المبخرة فتصاعدت الروائح العطرة ، واخلوا الغرفة وبقت وحدها تنتظر زوجها الذي تابع سيره مع الكهان الى مجلس المهر لا يترك نصيفة الكاهن ، الكل يأخذون اماكنهم السابقة ماعدا الاب الذي انهى واجباته وخلع لباسه الديني ، وبدا على الكهنة الارهاق وان كانت وجوههم لاتدل على شيء من هذا القبيل لان اولى صفات رجل الدين يتحلى بالصبر ونكران الذات وعلى مرور الزمن تناسى المطالبة براحة قصيرة ، اخذ الكاهن الاعلى يلقي نصائحه للشباب ان يكون زوجاً صالحاً ، ثم نهض وفرّ عصاه حول رأسه ثلاث مرات وهذه الحركة تشير الى ان الزوج الجديد قد اصبح في عداد الاشخاص غير الطاهرين اي (نجسين) لانه منذ اللحظة قد دخل في خطيئة الزواج ، وبذلك انتهت جميع طقوس المهر ، ربما تظهر اختلافات طفيفة هنا وهناك ، كمعدد اجزاء اللباس الديني وماشابه لكن الجوهر واحد . لا يفادر الرئيس بيت الكاهن قبل ان ينقده اتمابه المتفق عليها ، في الوقت الحاضر لا تقل عن ثلاثين دينارا ، ويقال انه كان رمزياً ، وازداد بمرور الزمن وفي فترة ما كان عملة ثابتة هي قران فقط ، ويستفاد من بيست الشاعر سوادي واجد - ١٩٥٠ المرتجل للكاهن عندما عقد زواجه وطالبه بعشرة دنانير ولم يكن يملكها فحاول التملص بقوله :

بالشرح والديونان

صياغة الصبي قران

لبش كنزفرا طمعتوا!!! (٣٧)

يمضي العروسان اسبوع الزواج في غرفة خاصة بانائهما البسيط المذكور آنفا يتصدره سرير خشبي تغطيه كلة بيضاء تبقى منتصبة مدة الحجر الاجباري الذي امده اسبوعاً ، اي من يوم الاحد وهو يوم المهر الى يوم السبت من الاسبوع التالي ، وهما في تلك الايام لا يخالطان الاخرين ، فيتناولان الغداء في اوان خاصة ، ولكي يتخلص الزوج من هجوم قوى الظلام عليه يستعين بسكين الدولة ، فيبقى الخاتم لا يفارق يده حتى نهاية الاسبوع وبعده لا شفيح له وعليه ان يعتمد فتزول حالة النجاسة التي هو فيها ، تستمر الافراح والولائم فسيل الضيوف لا ينقطع في الفترة المذكورة ، واجمل ايامها المشخصة هو يوم السبت ، فيصحون مبكرين ويذهبان توا الى النهر فيسبحان مما قبل شروق

الشمس ، ويتجولان في البساتين وقد غمرهما الفرح وزادهما حبورا الشعور بأنهما احترار كبقية افراد العائلة ، ويعودان الى البيت وقد حملا الاوراد والازهار ليضعها في غرفتهما ، ثم اشرقت الشمس وبدأت المدينة تستيقظ من السبات ، فيقال ان العروسين قد هربا أو قاما (الهربه) اي الهروب من قيود النجاسة التي كانا فيها ، ولكنها لا تغطي الطهارة والحصول عينا يتوجب التعميد . المهم ان العروس تجتهد في نيل رضا افراد العائلة واقامة علاقات وطيدة معهم ، لانها تعلم ان بيت العيال (العائلة) هو بيتها الدائم والعروس التي تستقل في السكن تعتبر في نظر الجميع ضالة كيف لا وقد حرمت الام ولدها ، وخدمة - افعال - ليست هيئة يسيرة وقد حدثني سيدة عجوز ان زوجها كان يوقظها من الفجر لتحلب البقرة وتغض الحليب الخانر (الروبة) وتطحن الحنطة وتعجنها وتنتظر حتى تختمر فتخبزها ، وتعمل الشاي في المنقعة ثم تجلس لتلبس طلبات كل فرد ، وبعد ان تنتهي وجبة الافطار تذهب الى السوق ثم تخبز من جديد وتغسل الملابس وتعتني بالحيوانات (كالبقرة مثلا) ان وجدت ، بالإضافة الى عملية جلب الماء من النهر ، ولا نريد ان نتوسع في واجباتها الاخرى كزوجة وحامل ومرضع ، اما علاقتها مع اهله فانها تنقطع عنهم بضعة اشهر ويدعونها او هي تزورهم فيكونها او يهدونها حلية ذهبية او شيئا لبيتها .

بعد هذه الجولة لابد من احاطة القاريء علما ان الزواج المذكور بتقاليد المدينة قد سهل وذلك كثيرا الان فليست القيود المذكورة جميعا منفذة وبعضها اختفى تماما ، لان ظروف المعيشة لا تسمح بها ، فطواغية الاستجابات مفقودة تقريبا ، نظرا لفقدان الوازع الديني بسبب الهوة الشاسعة بين انطلاقة الفرد العلمية بمحيطه المتطور وبدائية الدين المتشعبة ، فحصل تمرد على الطقوس ، وهو ما كان منتظرا منذ زمن بعيد ، ولكن الربع الاخير من القرن العشرين سوف يشهد وعشة جديدة في شرايين الدين الصابني بعد تلكؤ طال أمده سيقف لها التاريخ وقفة طويلة متأملة لأقلية صمدت قرونا بوجه اديان قوية وكانت في حالة اضطهاد شديد مكافحة منافحة عن دينها بأذلة في سبيله الممكن والمستحيل ثم تخلت عنه مؤخرا بملء اختيارها .

هوامش

(١) جميع التقاليد التي ترد هنا - ما عدا تقاليد المهر شاهدها بنفسى - تخص شابات الاسى (امهاتنا) لانها تعني اقرب ماغى يمكن وصله بدقة نظرا لحضوره وتأثيره وهو امتداد لا سببه .

- (٢) أعل درجة كهنوتية ولا يبلغها الا الكاهن حافظ وسارج كتاب (كنزه ديه) ، كنز الرب وهو دن اقدس كتبهم الدينية .
- (٣) قصة الحضارة ٣ : ١٧٣ وما بعدها .
- (٤) أو جلاب . وهو قطعة صغيرة من الذهب أو الفضة على شكل كف أو غره له نهاية دفة مملوءة الى الداخل حتى يساعد على ربط جزئي القفط على الرأس .
- (٥) الصابئة يتبعون الحكمة الشريعة السنية .
- (٦) (رأس زبيله : كابل الصنع . جوار : خادم (وفوله لنيافته) . ذراحي : اجازور التضديد : الفرائض المنفرد .
- (٧) الزلة يوم السبت مسا .
- (٨) مادة قريشية ناعمة توجد بكما لا بأس بها على الشجر . ن سال الناري فاستخدم صانعا في استخراج النفط .
- (٩) عبارة عن خشت حديدى او طبقي (طبقت) خرز باليد زعن بالمر . تجلس فيه اناء . تولى النسل في الفرفة .
- (١٠) لعاء . نجر الجوز .
- (١١) الصابئة المتدانيون ١١٩-١٢٠ - بغداد ١٩٦٩ - مطبعة الانبار .
- (١٢) سراج الكلب : تروق الكلب .
- (١٣) العثة متنوعة دينيا . وتكثير اكلوها مقلدن الخناث الاخرى .
- (١٤) بيت الدين ، أو المقر الدينى .
- (١٥) لباس ديني كابل يتألف من سبع قطع بغضا . لكل واحدة اسم خاص بها . وارنداء الرسته معتم على كل صابئي يباشر عملا دينيا .
- (١٦) احد اجزاء الرسته وهي حزام من الصوف الابيض يحاك بالقه خشبية خاصة ، وعن دوزي ان الهيمان يعنى منطقة صر القفود ، المجمع القفل باسماء اللابس عند الرب ، ص ٣٤٥ . ترجمة الدكتور اكرم فاضل ، وزارة الاعلام . بغداد ١٩٧١ .
- (١٧) شريك قطني - بقدر شير - تغطيت جانبها بها بطرقة خاصة ، وهو جزء من اللباس الدينى .
- (١٨) احدى فروع اللغة الارامية ، عن كتاب العرب واليهود في التاريخ ، ص ٥٧ للدكتور احمد سوسة ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٢ .
- (١٩) مجلة سوسر ٢ : ١٨١ وما بعدها . بغداد ، سنة ١٩٤٦ مثالة للاستاذ طه باقر بعنوان ديانة الآشوريين والبابليين .
- (٢٠) يسوع باستعمال الكرسي الخشبي والقياب ايضا نظرا لمصدريهما النباتيين ، وبالحاف الاصراد على كون الشىء خشبيا لان الخشب قد ارتضوه دينيا .
- (٢١) أي كتاب السموات .
- (٢٢) الهى : الله ، ندا ادهي : اسم لكبير الملائكة النورانيين .
- (٢٣) جزء من اللباس الدينى يصنع من قماش (الهامبون) الابيض على شكل مستطيل ٢ متر .
- (٢٤) احدى درجة دينية يمارس العاصل عليها واجبات دينية بسيطة كوضع اليد على كف الاصاب الصابئي .
- (٢٥) تسهيلات لمعاملات المهر صار الكهنة يجرؤن التعميد والمهر لآخر من الذين ادع ملاحقة كون التعميد فرديا والجمع يعنى ان هناك دور لكل متعمد .
- (٢٦) الصابئة المتدانيون ص ١٨١ .

- (٢٧) قلا كانت الاعمدة تثبت في الارض الطينية ، أما الآن والارض مبلطة فمصنع اذافي مشقوبة لهذا الغرض .
- (٢٨) القصن الذهبي ١ : ٣٨٤ وما بعدها ، تأليف فريزر ترجمة : د. احمد أبو زيد بيروت ١٩٧١ .
- (٢٩) تذكر الكتب الدينية الصابئية انه كان للصابئية دولة و - السكين دولة - تمثل شعابها .
- (٣٠) ابراهيم ابو الانبياء ص١٤١ ، تأليف عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د- ت .
- (٣١) اكثر فرانجم الشيخ زهرون ، وهو من كبار علماء الدين الصابئي في الوقت الحاضر ، وتفسيره للاسرار السبعة كما يلي :- الجزء واللوز دوج على استعملهما مهما كانت الظروف (ولكني اعتمد انهما احدى الدلالات الرامزة على سكانهم المناطق الجبلية في العراق قبل نزوحهم الى الجنوب) أما السمك فلانه يعيش في الماء ، والماء الجاري مقدس عندهم كما ان السمك لم يدنس شي .
- (٣٢) درجة دينية يحق لصاحبها ان يذبح ويمارس بعض الاعمال الدينية الأخرى .
- (٣٣) يجب ان يتلغظ اسمها الديني الذي يتسابق اسم والدتها الديني مع كتاب (اسفل ملواشا) اي صغار النجوم ، بمعرفة السنة والشهر واليوم الذي ولدت فيه ، اسم العريس يستخرج بهذه الطريقة أيضا .
- (٣٤) مجلة المشرق ٦ : ٣٩٤-٣٩٥ السنة الخامسة ، (يقول الأب الكرمللي ان الزوزي نوع من الدراهم كان متداول في غرب فارس في المائة التاسعة للميلاد .
- (٣٥) هناك اسطورة صابئية تقول : ان هبيل زيوا (ملك توراتي) عندما اقرن ب زهريل اهداها مثل هذين الخاتمين .
- (٣٦) وهو عبارة عن عصي الزبيب او تقيع التمر (يصنع انيا في نفس اليوم) .
- (٣٧) الشرح والديونان ، من الكتب الدينية ، والديونان كتاب فريد في نوعه (الصبة : الصابئية ، القرآن : عملة عثمانية كانت متداولة في بداية العهد الملكي في العراق .

مراسيم الموت والخلود في الريف الجنوبي من العراق

حسين الجليبي

ارتبطت مراسيم الموت والخلود بحضارة الانسان وتطوره وكان فن التصوير كما نجد في المقابر المصرية حيث رسمت حيوانات الضحايا وقد علقت السكين في رقبتها^(١). وكانت الاسطورة والتمثيلية والحكاية . ولم يكن نشوء العادات والتقاليد محض صدفة قطعاً .

انما تكونت ونشأت نتيجة لعلاقات الانسان الاقتصادية والاجتماعية والبيئة وغيرها من الظروف الثانوية الاخرى . واحب الخلود وتعلق به بقوة هائلة . وكره الموت كراهية ما يمدح كراهية اذ ان الموت يقوده الى عالم مجهول لديه تماماً ورأى فيه شراً لا يد منه . ونشأت المراسيم وهنا يتبادر السؤال . لماذا نشأت هذه المراسيم والعادات في هذه المنطقة مثلاً ولم تنشأ سواها ؟ الضحية ، المقيدة ، الحزن العميق ، اقامة الفرائض ، وغيرها من العادات المتوارثة الموجودة في الريف الجنوبي من العراق وفي محافظة ذي قار بالذات «الناصرية سابقاً» .

مما لاشك فيه ان العادات والتقاليد لا يمكن ان تنحصر في منطقة معينة بالذات اذ لابد لها ان تنسحب الى مناطق اخرى بمختلف الطرق . وقد تنتقل الى مناطق اخرى من العالم . ولا بد ان تكون لها جذور موغلة في القدم لذلك ابرزى من المهم جداً متابعة هذه الجذور العريقة وان يرتبط

«البحث الميداني بالبحث المصدري» في دراسة الفلكلور لكي نكون الفائدة اعم واعمق كما ذكرت في مقالة سابقة نشرت في مجلة التراث الشعبي (٢) . الا اني سوف اقتصر في هذه المعالجة على «البحث الميداني» فقط في هذه العادات والتقاليد المتوارثة منذ ازمة لا نعلم بدايتها .

مما لاشك فيه ان النظام الاقتصادي يفرض وجوده على الانسان اضافة الى عوامل اخرى متعددة تختلف في قوة فاعليتها في تكوين العادات والتقاليد المتوارثة . وبقدر ما يستطيع الانسان ان يطور هذه العادات والتقاليد الموروثة وان يسمى في ابدالها نحو الافضل كلما ساهم في دمج عجلة الحضارة الانسانية الى الامام . وكلما بالغ في الحفاظ عليها اكسر فاكتر كلما سحبت نحو التأخر والارتباط بالماضي السحيق وصار يعيش (الماضي الحي) وهذا منزلق خطر يقف حائلا في تطور الحضارة الانسانية وتقدمها نحو الافضل . ومن المنطلق الاقتصادي والاجتماعي والظروف الاخرى التي تؤثر تأثيرا ثانويا تكونت تلك العادات والتقاليد . ومما لا شك فيه ان سكان الريف الجنوبي من العراق هم مجتمع فلاحي تحدر من مجتمع بدوي كان يعتمد على تربية الماشية والتنقل وراء الكلا من منطقة الى اخرى تربطه روابط قبلية .

وقد ساهم مدحت باشا الوالي العثماني في توطيد القبائل البدوية في جنوب العراق واختلطت مع سكان البلاد الاصلية الذين يسكنون اريف والحوضر هناك . وبقي قسم من السكان يمتنعون تربية الماشية وصيد الاسماك والطيور . وكما هو معروف ان المجتمع الزراعي اكثر حضارة من المجتمع الرعوي والصيد . وان كان ذلك لا ينسحب بصورة كاملة على ذلك المجتمع اذ قد يزرع الريفي ويربي الماشية ويتنقل احيانا وراء العنكب والماء في آن واحد واصبحت مهنة الزراعة هي المهنة الرئيسية في تلك المناطق بعد ان استقرت تلك القبائل واختلطت مع سكان المنطقة السابقين . وبقيت محافظة على عاداتها وتقاليدها العشائرية وزعامتها القبلية . الا ان الاحتلال البريطاني اراد ان يركز كيانه وان يجد له ركائز محلية . فتحالف مع رؤوسا القبائل والشيوخ ووجد فيهم المعين الوفي لذلك .

وربط مصيرهم بمصيره فثبت لهم الملكيات الزراعية وساعدهم في زراعتها واستغلال الفلاحين لذلك اصبح ارتباطهم بالحاكم اكثر من ارتباطهم بابن القبيلة وحدث التمايز الطبقي نتيجة لهذا الارتباط وقال (الموال) الريفي مقولته المعروفة (فكوله الجنطة وهز ذيله) وهي مقولة بليغة وخالدة وتعبر عن ارتباط رئيس القبيلة بالحكم الاستعماري الذي قاده الى العزلة عن ابناء العشيرة وتحسن احواله الاقتصادية . ومما ان نشأ التمايز الطبقي الواضح حتى نشأ القهر الطبقي واصبح واسعا بين.

افراد العشيرة ورئيسها ونتيجة للقهر الطبقي نشأت المقاومة وقد تكون سلبية متخاددة مميتة وقد تكون ايجابية خلقة ، تدفع عجلة التقدم بيسر فولاذية متينة .

والمجتمع الفلاحي يبعث على السأم والركود ويشعر الفلاح دائما انه مهدد بخطر الكوارث الطبيعية وانه بحاجة ملحة الى مثل عليا تحميه من الكوارث الطبيعية التي ليس بإمكانه مقاومتها كالفيضان والصيهد والجراد والمطر مما لها اثر مباشر وعنيف في حياته الاقتصادية لذلك لجأ الى الضحايا والتشفع بالاولياء والصالحين وقد كانت اولى الضحايا من اجل الخصب (١٣) والخير . ويستعمل الريفي التراب الذي يقرأ عليه احد الاخير من ابناء الرسول محمد ويرميه في الحقل حتى ينقذه من الجراد مثلا ويزيد خصب الحقل . وان المجتمع الريفي اكثر ركودا من المجتمع الصناعي . لذلك تتركز فيه العادات والتقاليد اكثر وتعيش لفترة اطول واعمق وليس من السهولة التخلص منها واقتلاعها مالم تبدل حياته الاقتصادية ومحفزاته في الحياة . لذلك نجد المجتمع الصناعي يخلف تمام الاختلاف او اختلافا كبيرا على الاقل عن المجتمع الفلاحي ، اذ ان الالة معرضة للاندثار والتجدد وتحتاج الى انتباه ويقتطع فكرية تامة والا هلك العامل جراء فتكها به .

اما ادوات الفلاح فهي بسيطة بدائية بطيئة الاندثار والتجدد وليس من خطر فيها يصيبه والمجتمع الفلاحي مجتمع مقطوع عن الضمان الاجتماعي فعندما يموت رب الاسرة ومعيها تتعرض الاسرة للموت والهلاك من الجوع كما ان المجتمع يسوده منطق القوة لذلك يخشى الموت خشية هائلة ويتخيل بصورة دائمة ومرعبة مصير أسرته واطفاله عندما يموت هو وليس هناك من معيل لهم .

وعندما تحدث وفاة احد معارفه او اقاربه يأخذ بالبكاء بصورة تشنجية عنيفة فهو لم يبك على من مات فقط وانما يبكي نفسه كما يقول الشاعر الشعبي

اريد ابجي على روحي وانا حي
بعد شتفيد جسراتي وانا حي
الناس اهجمت ليلته وانا حي
من بعد المصار المصار بيه

او قول آخر

عليه ابجي ياوالدتي وانا حي
احبال الصلب جابوه وانا حي

لا تفرح بها الشامت وانا حي الفرح لو سره الجنائز به

وقد تكون هذه المقولة لاحد ثواب ثورة العشرين او ثواب سوق الشيوخ سنة ١٩٣٦ او غيرها من الثورات الفلاحية هناك .

لذلك نجد ان النظام الاقتصادي ساهم مساهمة فعالة في تركيز هذه المفاهيم والعادات ونجد الريفي يهتم كثيرا باقامة الفاتحة وزيارة ذوي التوفي حالا ولن يتساهل مع نفسه في افعال مثل هذه المراسيم . ولكنه قد لا يعلم بزواج احد اقاربه وقد لا يزوره ويهنئه على زواجه كما ان مراسيم الافراح قصيرة جدا باستثناء زواج الاقطاعيين وتجار الريف والملاكين . وقد لا يهتم المتزوج كثيرا او يسأل عن لم يحضر حفلة زواجه ولكنه يسأل كثيرا وبغضب على من لم يزره ويمزيه بوفاة قريبه لان مسألة الموت مسألة مهمة واجعة اقتصادية مريعة تقوض ركنا مهما من اركان الاسرة الاجتماعية والاقتصادية تختلف اهميتها باختلاف موقع المتوفي الاقتصادي والاجتماعي . بينما ابناء الملاكين والاقطاعيين يكونون فرحا عميقا بوفاة عميد اسرتهم او احد اخوتهم لانه سوف يورثهم ارضا وخيرا .

ونتيجة للبؤس الذي يعانيه المواطن الريفي في هذه الدنيا فهو يبحث عن البديل او العوض المطلوب لذلك صور له خياله الخيرات التي سيحصل عليها في الدار الاخرى .

اما الاغنياء من سكان الريف فيجدون العوض في هذه الدنيا ويشترون الدار الاخرى باموالهم فيدفعون الصدقات والهبات الخيرية ويمطون للبعض اموالا للصلاة عوضا عن موتاهم او الصوم او الذهاب الى الحج ايضا . ويعتقد انه بذلك يضمن الدار الاخرى ايضا .

اما الفلاح فليس لديه ما يدفعه لذلك تداول هذا المثل بينهم (فلان فقير يهود لا دنيا ولا دين) وكانوا يجدون خير تاس وتنفسا لآحزانهم في المجالس الحسينية وتوفيرا للثواب الذي سينالونه في الدار الاخرى اذ ان هذه الدموع (كما يعللونها هم) خير شفيح لهم يوم القيامة . .

وقد يكون هناك بعض الشبه في صكوك الغفران المسيحية .

اما المرأة الريفية فهي اكثر تعلقا بالماضي واشد حزنا نتيجة لجهلها وانسحاقها واضطهادها وان اول اضطهاد طبعي نشأ هو اضطهاد الرجل للمرأة بعد ان قسم بينها العمل^(٤) فالمرأة الريفية كادحة تعمل وتضطهد في آن واحد فهي معرضة لخسارة بيتها وزوجها نتيجة لتعدد الزوجات وقد يتحول كسبها الى سهم يطمعنها عندما تتحسن احوال زوجها الاقتصادية ليتزوج امرأة اخرى تعينه في شؤون الحقل كما يدعي ذلك ، وفي نفس

الوقت معرضة للطلاق بدون اخذ رأيها بالموضوع وقد تخسر اطفالها وحتى حياتها احيانا اذ كثيرا ما الصقت بها تهمة الزنا او معاشرة شخص آخر وعندها يكون من حقه ان يقتلها لانها جزء من ملكيته، وله حق التصرف في ملكيته الخاصة لذلك كان حزنها عنف واكثر وتشبهتها بالنذور والاولياء بصورة اكبر حدة كي يعينوها على حل مشاكلها المستعصية التي لا تستطيع هي الخلاص منها ويتوسطون لها عند الاله القادر على كل شيء وبصورة لا معقولة كما يقول الغزالي (ما دام قادرا فانه يكون من الجبل حصانا^(٥)) .

وبكائها في الفواتح والاحزان يكون عنيفا وتمسك بالحزن مدة اطول مدلة على ذلك بملابسها السوداء ووجهها الكئيبة .

وحتى الغناء الريفي طبع بميسم المأساوية والحزن العميق فنجسد الاغاني في الاعم الغلب تبدأ هكذا آه آه آه ... ويلاه ... وقد يبكي الريفي أثناء غنائه ويردد (مالت بواجي ولطم روحي) ولاشك ان المجتمع المستمع له يتجاوب معه في ترديده المأساوي . اما غناء المرأة فغالبة حزينة تقوله لنفسها وقد يكون سبب ذلك القهر الجنسي الذي تتعرض له المرأة الريفية نتيجة لحرمانها ممن تحب وقسرها في احيان كثيرة على الزواج من شخص لا ترغب فيه . وفي بعض الاحيان حتى الافراح يشوبها حزن وضح ومترابط . فهناك قرية من قرى مدينة الشطرة عرفت باقامة ماتم الحسين وبصورة مستمرة في معظم ايام السنة ان لم تكن كلها . حدث ان تزوج ابن احد وجهاء القرية وارادوا ان يجدوا بعض الفرح ويتعدوا ولو قليلا عن هذا الحزن القاتل المستمر وعندما ارادوا اقامة فرح بسيط اعترض مختار القرية قائلا لا ... يجب اولا (اقامة ماتم الحسين) اعترض بعض شباب القرية ولكن اعتراضهم ذهب مع الريح وصعد (الروزخون) المنبر وقصوا عزاء الحسين . وبعدها تيسر لهم اقامة فرح بسيط .

وتقاس مكانة الاسرة هناك بمقدار محافظتها على شعائر الاحزان اما اذا تمرد شبابها واقاموا حفلات فرح بسيطة مثلا فذلك خرق للعرف ويحط من مكانة العائلة بين افراد العشيرة .

لعل مرد ذلك الى عصور سحيقة ايام اضطهاد الفرد العادي ايام مملكة اور ودفنها الاحياء في قبور الملوك وتمرد الشعب على ملوكه وكهنته^(٦) وسيرتلك الحياة المأساوية المتمثلة في القضاء على ثورة الزنج بصورة وحشية وقاسية جدا واستمرار ذلك الاضطهاد في ايام العثمانيين والاستعمار الانكليزي وجلادي الفلاحين من اقطاعيين وملوكين كبار فلم يجد الريفي متنفسا لآحزانه الا بهذه الصورة السلبية الا ان ذلك لا يمنعنا من ان نقول ان هناك ثورات شعبية فلاحية باسلة في تلك المنطقة قد انطرق اليها في مقال لاحق .

ومما لاشك فيه ان مثل هذه الطقوس لا يكفيها مقال كهذا • اذ انها تحتاج الى بحث ومقارنة قد لا يكفيها كتاب واحد • الا اني سوف اتناول تلك المراسيم في محافظة ذي قار بالذات • معتمداً بذلك على مشاهدتي الميدانية وعلى قول اشخاص اتق فيهم ومستندا على بعض الكتب العلمية والتاريخية وقد تكون محفزا لآخوة آخرين ليضيفوا ما عندهم ويناقشوا ما طرحته في هذه المقالة •

عندما يمرض الانسان في مناطق الريف وخاصة اذا كان مرضه خطيرا ويقارب من حالة الاحتضار • تنذر النذور للاولياء والصالحين الذين تكثر مقاماتهم في انحاء المناطق الريفية هناك وقد تكون النذر للاولياء الصالحين البعيدين عن المنطقة • وذلك تشفعا وتقربا ولانقاذ المريض من مرضه واعادة كامل الصحة اليه • عندها يؤتى ببقرة او خروف حسب مقام المريض الاجتماعي الذي يقرره المركز الاقتصادي غالبا ويشنون سكيناً في رقبة الضحية ويطوفونها حول مرقد المريض وهم يرددون هذا نذرك يا سيدنا ••• اذا شفيت فلان من مرضه سوف نوزورك وتذبح النذر او نهديه لك • وقد تذبح الضحية فوراً ويزعون لحما وياكلسون قسماً منها اعتقاداً منهم ان ذلك يساعد في شفاؤه وان الاولياء الصالحين سوف يشفون له لانهم قدموا لهم القرابين والفدية • لقد ساهم الجبل وبقد تلك المناطق من مركز المدينة والمراكز الطبية والعلاج الحديث في تثبيت مثل هذه الافكار الميتافيزيقية • ولا شك ان مسألة النذور والقرابين موهلة في القدم ومنذ العصور السحيقة وكان الدافع الرئيس لها هو طلب زيادة الخير والخصب في الارض ودفع الشر عن الانسان وان الموت هو نوع من الشرور •

وعندما تفشل هذه الاجراءات البدائية وان فشلها شئ، حتمي • وتصبح حالة المريض ميؤساً منها وتقارب حالة الاحتضار يطلب (الملا) حالا او اي رجل اخر له المام بالادعية • عندها يوجه وجه المريض نحو القبلة ويجلس الملا عند رأسه ويقرأ دعاء يسمى (العديلة) والعديلة نوع من ادعية التخصع والتذلل لله وفي الاخير يختم الدعاء بقوله اني اودعك يقيني هذا وثبات ديني وانت خير مستودع ••••• فرده علي وقت حضور موتي برحمتك يا ارحم الراحمين (٧) •

وبعد دعاء العديلة يقرأ دعاء (الثلقين) وفيه يوصي المحتضر اذا جاء (منكر وتكبر) الملكان المحاسبان في القبر فقل لهما الله ربي ومحمد نبيي وعلي امامي ••••• الخ الدعاء ثم يقرأون الشهادة بوجهه وهي اشهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله ••••• الخ الشهادة التي تقرأ اثناء الصلاة • وعندما تنتهي حياة المريض ويعتقدون انه توفي عندها يرفعون

(بروغ) علما على كوخه او على مضيف الشيخ ويطلقون بعض الاطلاقات النارية وقد يكون سبب ذلك لجلب انتباه المجاورين الى ما حدث او طرده للشر ويبعثون ببعض الاشخاص يطلقون عليهم اسم الطروش (المفرد طارش) ليخبروا القرى المجاورة بوفاة فلان حتى يحضروا من الصباح الباكر . وعندما ترفع الجنازة توضع امام الباب لفترة قصيرة ثم ترفع مرة اخرى وتوضع ثلاث مرات وهناك مثل يقال (دون الكبر حطة تنفع) وقد يكون هذا نوع من التشبث بالحياة او بقية من اعتقاد سابق مفزاه ترك الجثة امام الدار حتى لا تظل الروح عندما تعود الى جسدها من جديد حيث كانوا يطوفون الجثة ثلاث مرات حول الدار وتخرج من ثقب كبير في الدار عندما كان البابليون يدفنون موتاهم في صحن الدار (٨) وقد يفصل الميت في قريته بمعرفة رجل دين . وهناك تعليل لفصل الموتى مفاده ان الميت سوف يقابل الملائكة والاخير فلا يجوز مقابله لهم وهو غير نظيف وسبب نجاسته هو موته جنبا لذلك يجب غسله . (٩)

اما الصابئة فانهم يفسلون المحتضر قبل وفاته بقليل اعتقادا منهم ان الروح طاهرة ولا يجوز ان تخرج من جسم نجس اذ ان الانسان عندما يموت بدون غسل ينجس (١٠) وبعد ان يفصل الميت ترمى ملابسه بعيدا اذ تعتبر نجسة وبعد ذلك يكفن المتوفى ويحنط ويوضع الكافور في كفنه ويكون الكفن عادة من القماش الابيض وقد استعمل الجفاف ايام الحرب العالمية الثانية عندما فقد القماش الابيض وارتفع ثمنه جدا بعدما اخذ الملاكون والموظفون الفاسدون يتلاعبون في بيعه . وقد تستعمل كلمة حنوط كتشبيه اذ قد تقال للشخص الذي يريدون له الموت فيقولون له «عساك اكلت حنوطك» اما قدماء السكان في بابل وآشور فقد كانوا يلفون الميت بملابسه ويضعونه داخل حصيرة واحيانا في جلد حيوان ويوضع في تابوت من الطين . وما ان تتم كل هذه المراسيم حتى يحمل المشيعون من العشيرة والمشارير الاخرى الجنازة ويرفعون بيارغهم الملونة ويسيروا خلف الجنازة لمسافة طويلة وقد يصلون الى المدينة . اما اذا كان المتوفى من المعروفين والملاكين الكبار فتذهب معه مجموعة كبيرة من السيارات الى مرقده الاخير . اما قبل اكثر من اربعين سنة فقد كان (الكديش) وهو الحصان غير (الاصيل) الواسطة الرئيسية في نقل الموتى الى النجف وكثيرا ما تعرضوا خلال هذه السفرة الطويلة الى السلب والنهب من قبل قطاع الطرق . وقد تتمتع الجثة ويصيبها التلف وخاصة في موسم الصيف لذلك كانوا في بعض الاحيان يلجأون الى دفن الجثة (امانة) في القرية وبعد مدة ينشسون القبر وينقلونها الى النجف . اما اذا كان المتوفى فقير الحال فان اهل القرية يجمعون ثمن (الزقت) اي اجور النقل والدفن ويعتبر اهل

القرية جمع ثمن الدفنة من الواجبات المقدسة وينالون عليها الثواب الكثير . وقد يعجزون عن نقل الرفات الى النجف عندها يأتي احد اقارب المتوفي ويضرب القبر قائلا (يا كاخ اخلي امانتج) عندها يعتقدون ان الجنة سوف يصيبها التلف ويجري لها ما يجري لبقية جثث الاموات ولكن قليلا ما يحدث مثل هذا اذ انهم يعتقدون ان من الواجبات الاساسية دفن الميت في النجف لان النجف ومن فيها (كما يعتقدون) تدخل في الجنة وان الميت الصالح تنقله ملائكة الله الصالحين الى النجف وان كان دفنه في بقعة اخرى والانسان الظالم وغير الصالح تنقله ملائكة الله الى ارض السبخ البعيدة عن النجف لينال عقابه هناك .

اراني بعدت بعض الشيء عن جموع المشيعين فاعود . وعندما تجتمع جموع المشيعين يسبرون خلف الجنازة سرا سريما اقرب الى الهولة منه الى المشي وقد يركب بعضهم الخيول ويبدأون باطلاق النار ويلقي بعض المهوسين هوسات واهازيع شعبية في مدح المتوفي وذكر فضائله وسجاياه وغالبا ما تكون غير ذات اهمية وما الهوسات الا نوعا من الرقص الجنائزي له ما يشبهه في قبائل افريقيا الذين يرقصون على قبر الميت كما تفعل بعض قبائل جنوب السودان اذ ترقص بعض الرقصات الشعبية البسيطة وتلج على الدفون عند قبر الميت وبعدها ينتهي كل شيء (١١) الا ان البعض منها سجلا لاحداث وطنية كثورة العشرين مثلا . قال بعضهم في تشييع احد الاشخاص في ثورة العشرين

ردتكم تفضل وتصر لاتالها .

يسور العيص كل روجه يتلگاهه .

يمعمر بيوتها ومكرم لحاياها .

(الهوسة) تبهلل عكبك يا الهييه .

ويردد بعده الجميع الهوسة لفترة معينة وهم يركضون ويدورون على

شكل حلقة .

ومعناها كنت اود ان تبقى لآخر الدنيا لانك كالسور الماصي تكرم

كبار السن من العشيرة وسوف تلحقنا البهذلة والاذية بعدك .

وقول آخر في شخص اسمه شمخي وقد يكون هذا الشخص من

المحاربين في صفوف ثورة العشرين

يا هو المثل شمخي نلؤذيه لهاي

يا هو المثل شمخي ماخذ بكل داي

ويا هو الهلم القشلة البثوهه عداي

(الهوسة) يالكايل تجلب صد ليه

اي ان شمخي هدم المواقع العسكرية لان معنى كلمة القشلة مكان

نزول العسكر (١٢) .

اما المرأة فلها عالمها الخاص فما ان تشمر بوفاة الشخص الذي تنتسب اليه حتى تأخذ بالعريل والبكاء بصوت مرتفع مرددة كلمة : (يايوي) وهي مأخوذة من كلمة يا ابي للاستنجد بآباء والاجداد عند الشدة وحلوت الامر الجلل كما يقال ثم تأخذ في لطم خديها وصدرها اثناء صراخها وتمزق ملابسها. وخاصة عند الصدر وتضع الرماد والتراب على راسها وتقص شعرها وكلما قصرت شعرها كلما دل على عمق حزنها . وتصيغ المرأة ملابسها باللون الاسود او النيلي وقد تستمر مدة الحداد سنة كاملة او اكثر ولن تخلع المرأة ملابس الحداد الا بعد زيارة مقام احد الاولياء او الائمة . وقد يصيغ الرجل ملابسها ايضا ويشماغه بلون اسود او نيلي . اما زوجة المتوفي فيغرض عليها الحداد ويحرم عليها النظر الى الرجل او مجالسته ولمدة تزيد على الاربعة اشهر للتأكد من حملها او عدمه . ويمتنع اقارب المتوفي عن حلق لحاهم وشواربهم ولمدة شهر على الاقل اظهارا لمآلم الحزن والجزع على المتوفي .

اذ ان التغاليد والسادات من الصمصب تجاوزها في الريف وخاصة نيبا يخص الحزن والموت .

وتتضمن عادات الاحزان والوفيات اكبر ويتعلق الريفي بالآباء والاجداد والاولياء تعلقا شديدا ويعتمد على ذلك اعتمادا كبيرا في حل مشاكله وحياته المعاشية . ولن يقسموا بلرواح الموتى كاذبين اما اذا توفيت المرأة فان حمة الحزن تكون اقل ولن تشيع بالاهازيج والهوسات العشائرية اذ يشيعها بعض اقاربها واهل قريتها سكوتا استصغارا لشأنها رغم كونها عنصرا مهما في المزرعة وتشكل جانبها مهما من جوانب البناء الاقتصادي للفلاح في الريف .

اما الصابئة فعزتهم على الموتى اقل ولن تقص المرأة شعرها او تنذب طولها (١٣) .

لمل ذلك من بقايا عادات موغلة في القدم اذ ان بعض المتوحشين كانوا يصلون اذانهم ويجدون انوفهم ويكسرون اسنانهم تقربا للالهة وطلباً لودها وعطفها (١٤) .

وللميت رهبة وخشية في الريف وان هذه رهبة متأية من رعب الانسان من الفناء والهلاك وهناك ادلة على ما اقول تمتد الى فترة بعيدة نوعا : اصيبت احدى القرى بالوباء واخذ افراد القرية يتساقطون واعتاد بعض المكارين ان يحضر الى القرية يوميا جالبا معه تابوتا لنقل الموتى . حتى اصيبت رؤية ذلك الشخص من المناظر المكروهة في القرية وسمع بذلك اقطاعي المنطقة . وبعث في طلبه مع تابوته وما ان حضر حتى امر رجاله ان يضعوه في التابوت رغم احتجاجه وتذللهم الا انهم وضعوه في

التابوت واغلاقوا باب التابوت عليه بالمسامير واتوا بالحصان ووربطوا التابوت فوقه وضربوه ضربا شديدا فهرب الحصان متوجها الى دار صاحبه . واخذ المكاري يستغيث في الطريق طالبا من المارة فتح التابوت واخرجه ولكن المارة ما ان يسمعوا ميثا يتكلم حتى يهربوا بعيدا واخيرا وصل الحصان الى دار صاحبه وتجمهر الناس بعيدا عنه وهو يستغيث وليس من مخلص له واخيرا هدا روع الناس وقال اهله انه صوت فلان . وتجرأ البعض وفتح التابوت واخرجه منه وما ان علم الاقطاعي بذلك حتى اخذ الضحك والجدل منه ماأخذه وانتشى لفعلته الطائشة .

اما الحادثة الاخرى التي تدل على الرعب الذي يصيب الانسان من الميت او عندما يخيل اليه ان الحياة قد عادت اليه .

سيارة من سيارات الباص كانت تحمل تابوتا فارغا وكان الجو ماطرا واحتار مساعد السائق كيف يتخلص من المطر :: رمى نفسه داخل التابوت الفارغ واثنا الطريق ركب بعض المسافرين فوق سطح السيارة ايضا . راوا تابوتا ولكنهم لم يكونوا على علم بفعله مساعد السائق .

واراد المساعد ان يتأكد من وجود المطر فأخرج يده من التابوت .

وما ان رأى الركاب اليد تخرج من التابوت حتى جزعوا اشد الجزع وظنوا ان الميت قد دبت فيه الحياة من جديد .

والقى البعض منهم بانفسهم من ظهر السيارة الى الارض وحللك البعض واصيب الآخرون بجروح بليغة .

القبور :

ويدفن الميت عادة في النجف وان كان البعض يدفن موثاء في كربلاء او الكاظم . ولكن الغالبية العظمى يدفنون موثاهم في النجف . ويشترط ذوو المتوفى ان يكون القبر (كيسر مسين) اي لم يدفن فيه احد قبله . وقد يدفن بعض الاغنياء في صحن الامام علي في سرداب معد لذلك وفي احيان اخرى يبني بعض الاغنياء من الملاكين والاقطاعيين سردابا في المقبرة يدفن فيه هو واسرته . وحالما ينتهى من تهيئة القبر تنزل الجنازة فيه وتوضع على الارض قبل ان تدفن كما سبق وان اشرت الى سبب ذلك . ويفتح الكفن داخل القبر ويوضع خد الميت على التراب ويضعون تحت رأسه حجرا . ويترك في يد الميت خاتمه وقد يضع البعض في كفنه قطعة ذهبية او في فمه كذلك وهناك مثل يقال (يشي آدم ما تنوس حللكه غير الحجارة) اي انه طماع وعندما يموت توضع قطعة ذهبية في كفنه الميت . ويهتم الصابئة بوضع قطعة ذهبية في كفن الميت .

وقد اوصى البعض بدفن جريدة من سعف النخيل خضراء حتى لا يتعرض للعذاب ما دامت الجريدة خضراء .

بعد ذلك يحثي عليه التراب من الجميع ويرش الماء فوق قبره . ولا شك ان الماء لدى القدماء كان اصل الحياة وعندما ترش المومياء بالماء يعتقدون بعودة الحياة اليها(١٥) . اما سكان العراق القدماء فقد كانت قبورهم بسيطة الا انهم كانوا يدفنون مع الملك حاشيته وخدمه اضافة الى اثاثه وملابسه وحاجاته التي كان يحتاج اليها . ولا شك ان تحرر الانسان من هذه التقاليد الوحشية كانت ثورة تحررية هائلة اذ استمعيض عن ذلك بالحيوانات والصور . كما انهم كانوا يضعون للميت وسادة مزركشة . وقد يكسرون يد بعض الموتى ويكبلونهم بالحيال وهذا الاسلوب يعامل به المجرمون حتى لا يعودوا الى اعمالهم السابقة هناك . كما كانوا يضعون يد الميت قريبة من فمه(١٦) وما ان ينتهي من مراسيم الدفن حتى يوزع بعض الاكل وقد تنحر ذبيحة عند قبر الميت وتقسم بعض الادعية وهي من باب التلقين التي على الميت ان يقولها عندما يأتي اليه (منكر ونكير)

وقد يؤثر البعض قراء يقرأون على قبر الميت لمدة ثلاثة ايام الا انه استعبط عن ذلك بمراسيم الفاتحة لانهم يعتقدون ان الميت لن يتحرك لوحده في اول ليلة ولمدة ثلاثة ايام وحتى لا تمصره ارض القبر عصرا شديدا ويجلد من قبل الملائكة(١٧) . وان وجود القطعة الذهبية يخفف من هذا العذاب لانه يهديها الى الملائكة . الا ان التفسير الصحيح للذهب لانه من المعادن النفيسة التي تسبب الخلود للانسان القديم وانها تحتوي على اكسير الحياة كما كان القدماء يعتقدون بذلك ومنهم قدماء المصريين بصورة خاصة . ولا شك ان التفتيش عن اكسير الحياة دفع عجلة الحضارة كثيرا الى الامام .

الفاتحة :

والفاتحة في معناها قراءة سورة الفاتحة على روح الميت والترحم عليه . وللتدليل على وجود اقامة الفاتحة تنصب خيمة سوداء كبيرة في المحل الذي تقام فيه الفاتحة ولا ادري اصل هذه العادة قد تكون كاشارة للآخرين على وجود حدث الفاتحة في هذه القرية لا اكثر .

الا ان التسمانيين ينصبون خيمة يضعون فيها الانسان عند وفاته رغم انهم يسكنون في العراء(١٨) الا اني لا اجد اي ترابط بين هذه وتلك . وبنيت للنساء بناء من القصب (البواري) حصران مصنوعة من القصب وتسمى (باوكة او بوركة) وتستمر الفاتحة ثلاثة ايام . تتقاطر خلالها وفود المعزين من انحاء المنطقة لتعزية اسرة المتوفى . وكل يجلب

معه هدية او كل اسرة او عشيرة بالاصح وقد تكون الهدية نقدية او عينية .

ومن الاصول المتبعة في مثل هذه الحالة ان المزين لن يذهبوا قبل تناول وجبة من الطعام . ويعتبر خروجهم قبل الغداء منقصة في حق اسرة المتوفى . كما ان هدايا الفواتح تعتبر من الديون الممتازة ولا يجوز تجاوزها كما ان على ذوي المتوفى ان يقدموا للقادمين المزين القهوة المرة وعلبة سجائر وعدد من سجائر (المزين) مع شخاطة في الغالب وللجميع بدون استثناء الا انهم يكرمون من يريدون في موقع محل جلوسهم ونوع السجائر وكمية سجائر (المزين) .

وفي بعض القرى يقدم سكان القرية الرز المطبوخ الى ذوي المتوفى وضيوفهم كوجبة غداء وعشاء خلال الايام الثلاثة وعلى اسرة المتوفى ان تقدم اللحوم والمواد الاخرى اللازمة لوجبة الغداء والعشاء ويقرر ضخامة الصرف على اقامة الفاتحة مركز المتوفى الاجتماعي والاقتصادي .

ويقدم الرز في صحن كبيرة جدا من النحاس قد يسع بعضها نصف وزنة من الرز او اكثر توضع في وسط المضيف وتكفل باللحوم والشحوم وتكون الية الخروف بارزة امام الجميع وكبرها او صغرها يدل على كرم او بخل ذوي المتوفى وتتقدم الوجبة الاولى وتسمى (جائزة) من الصحن الكبيرة وتكون عادة من وجهاء المنطقة والذين يعمدون اكثر من غيرهم عن قرية المتوفى . وفي بعض القرى يمتنع الضيوف عن اكل الية الخروف ويتركونها كما هي وقد يقوم المضيف بتوزيع اللحوم على ضيوفه وتمزيق الية الخروف وتوزيعها من قبله على الضيوف

وعندما تنتهي الوجبة الاولى تمقبها الوجبة الثانية والثالثة وعلى نفس الصحن بعد رفع بقية اللحوم السابقة وابدالها بلحوم جديدة والية خروف آخر . وهكذا حتى يتغدى جميع الضيوف . وقد يرفق بعضهم بيده كمية من اللحم والمظام ليقدمها هدية منه لمن يقوم بصب الماء على يديه من الاطفال وفقراء القرية ويسمى (سهم البراكن) اي حامل الابريق وقد يصب البعض صفيحة سمن حيواني فوق صحن الرز المسلووق . ويحضر احيانا بعض المتكسبين ويلقون قصائد شعرية في مدح المتوفى وذويه وذكر مكارمهم والخصال الحميدة للمتوفى . وخاصة عندما يكون المتوفى اقطاعيا كبيرا . ويضطر ذوو المتوفى الى تقديم بعض المطاء .

اما (الروزخونية) فيقراون تمزية الامام الحسين والحسين وينتظرون الحصول على بعض المال وهدية من مال المتوفى او بعض الحقوق . كما ان اقرباء المتوفى يتفقون احيانا مع بعض من هؤلاء على قراءة القرآن على روح المتوفى اوصيام الشهر واقامة صلاة عوضا عنه اذ قد يكون المتوفى مقصرا في اداها فيعوض عنه بدفع مبلغ من المال لقاء ذلك عندها تخفف من ذنوبه

يوم القيامة وقد يكون المتوفى ثريا ووجبت عليه اداء فريضة الحج عندها يدفعون بعض المال لاحد الاشخاص ليحج عوضا عنه .

اما ماتم النساء فتمتاز بكثرة النواج والبكاء والللطم على الصدور والحدود . ولن تعتبر الفاتحة قائمة ما لم تحضر (الشاعرة) وهي امرأة المحترفة لاقامة الماتم وارتجال الشعر في امثال تلك المجالس النسوية فتأخذ في نذب الميت واهله وعشيرته معددة صفاته ومكارمه الحميدة سواء اتصف بها او لم يتصف الا انها تنسبه الى الكرم او الشجاعة والنخوة . و ٠٠٠ و ٠٠٠ وجميع الصفات الحميدة كانها اتصفت فيه لذلك أصبح اكثر اقوالهن مكررة معادة . وعندما تذكر اموات المجالسات في مجلس الفاتحة او المستمعين اليها من بعيد من الرجال فعليهم حالا ان يكرموها ويبعثوا لها بعض المال والا اتهموا بالبلخل وعدم مراعاة الاصول .

وقد سجل لنا الشعر الشعبي النابع من الالم والحزن العميق المتأتي من ظلم الاقطاعيين ودفع الفلاحين الى مقاتلة بعضهم البعض دون ادنى فائدة مثيرين فيهم النعرات القبلية البيضة وتمزيق صفوفهم واثارتهم ضد بعضهم البعض لقد رثت احدا من ابنها المقتول في معركة ظالمة سببها الاقطاعيون .

اشجان لك واشجنت يه
يا هديب يا ابني معنیه
انت اتجلت واخطيت بيه
وشیخ العسيرة الواجب ابتاليه
يحسب دموكم فرحان بيه

او قول احدي نساء الاقطاعيين تشتم الفلاحين لانهم لم يلبوا تعيق اليوم ولم يشتركوا في معركة هم الخاسرون فيها دائما :

هاكم شيلتي وانطوني جفايكم
جرف ادباغ ما تسوون اثاركم
حته اهل المفازل بيسووا بيكم
صبرو خيل لتعيرش يشبيكم

(الهُوسَة) العلف يحترش ماياك هديناه

والشيلة الفوطه التي تلبسها المرأة على رأسها والجفافي البشامبيخ التي يضعها الفلاحون على رؤوسهم وفي ذلك امانة لهم .

وجرف ادباغ اي قشر رمان واقل هو قدركم والشطر الاخير يصفهم بالخيل مبالغة في التحقير والصف اي اننا نطلب منك العفو وان ماك سوف يفتح .

وقد تعبر (الشاعرة) عن معنى واقعي ملموس كقول احدها من تصف
احد الصيادين وكرمه وحسن خلقه الذي يتصف به اثناء العمل :

**دكت كهوة سليطين واتمت العبرية
دوروا للشبح مناك لا تطفر البنية**

(والعبرية) فرقة الصيادين الذين يعملون مع سليطين ولكن البعض
منهن تصف الشخص بما ليس فيه فقد وصفت احدها من رجلا مسكيناً
بالشجاعة :

**اجهلي زلزلة • وطاحت من وعيد
اجهلي يا حيد الزلم يا مجتدل صناديد**

والريفيون يسمون الصاعقة (زلزلة)

وخلال الايام الثلاثة بعد وفاة الانسان توزع الحلوى على يبيوت
اهل القرية وتكون عادة حلوة تمر ثوابا لروح المتوفى وتسمى
(فتوش حلتك) • ويعتقدون ان هذا الثواب سيصل الى روح الميت حالما
يقرا من اكل منها سورة الفاتحة ودعاء خاص يقولونه بعد سورة الفاتحة
والدعاء هو (عذبة واصلة ورحمة نازلة من دهر الدنيا الى دار الآخرة •
انا اهديه وبلايكة الله الصالحين توديه الى روح فلان) •

لذلك يزكك موزعو الحلوى على من يستلم الحلوى بقولهم (اقرأوا
الفاتحة عنى روح فلان او غلانة) لقد كانت اسطورة قديمة تدعو الى فتح
فم الميت عند وضعه في القبر حتى يستطيع ان ياكل عندما تعاوده الحياة
وقد تطرقت الى ذلك قبل قليل •

اما توزيع ماء الورد واشمال البخور في اليوم الثالث من الفاتحة
فلا اثر له في الزيف وقد كان استعمال البخور والماء لترطيب المومياء
ليساعد على اعادة الحياة اليها مرة اخرى (١٩) •

وفي اليوم الثالث تنتهي مراسيم الفاتحة عندها يقال (طاحت
الفاتحة) • ويقوم شخص من وجهاء المنطقة او رجل دين يطوي طرف احد
افرشة الفاتحة وهو يردد (انشاء الله خاتمة المسوء الله لا يوركم مكسروه
ويطيل اعماركم) اذ من المتعارف عليه ان لا يرفع الفراش ولا يكتس محل
الفاتحة خلال الايام الثلاثة من الفاتحة •

القرابين والضحايا :

لم تكن القرابين بالحدث الجديد في حياة الانسان لقد وجدت منذ
العصور السحيقة عندما شعر الانسان بالخوف من المجهول واضطر الى
عبادة الاجداد والتقرب اليهم وكسب ودهم لزيادة الخير وخسب الحول
في انتاجها ومن تقديس الاجداد ونشوء (الطبو) تكون الخوف والتقرب
الى الاله بالقرابين البشرية ثم الحيوانية واخيرا الادعية •

ولا شك ان التحول من تضحية الانسان الى الحيوان كانت في وقتها ثورة على التقاليد وانقاذ الجنس البشري من عادة بربرية مهلكة . واستفيض عنها بالحيوان والدعاء

ومن القرايين التي يقدمها سكان الريف الجنوبي من العراق وفي محافظة ذي قار بالذات الاضحية وتذبح عادة في عيد الاضحى وتكون من الاغنام او البقر وقد تكون من الجمال ايضا ويذبح للرجل من ذكور الاغنام او البقر وللانثى من اناث تلك الحيوانات ويشترط فيها بلوغ سن معينة ففي الاغنام اكثر من سنة وفي البقر اكثر من سنتين وفي الابل اكثر من خمس سنوات والاضحية واسطة الميت يركبها يوم القيامة لذلك يجب ان تكون سمينة وخالية من جميع العيوب حتى تستطيع ان تحمل راعيها . لانهم يعتقدون انها تحافظ على ما هي عليه حتى يوم القيامة . اما العقيقة فتذبح عادة قبل وفاة الانسان وقد تكون بعد وفاته ايضا ولا يحق لصاحب العقيقة ان ياكل منها هو او اسرته . ويقوم بمواسيم ذبحها رجل مطلع على ذبح مثل هذه الذبائح وحتى السكين التي تذبح فيها العقيقة يجب ان تكون من صاحب العقيقة وكذلك الملح والبهارات واجور الطبخ . وتذبح العقيقة في اي يوم من ايام السنة . اما هدايا الاموات فتكون عادة في ليالي الجمع وفي ليلة القدر حيث يعتقد بنزول الروح من شجرة الارواح التي في السماء ووصولها الى دار اهلها وذويها .

لذلك يجب ان تقدم لها القرايين والهدايا (والنواب) كي تزول عنها الذنوب التي اقترفتها في هذه الدنيا . وهناك اعتقاد شائع في الريف ان ارواح الاخيار تصعد للسماء وارواح الاشرار تبقى في القبر كما ان ارواح الناس تبقى في البرزخ الذي هو الوسط بين الجنة والنار حتى يأتي يوم الحساب فيستقبلها رضوان خازن الجنة ومالك خازن النار ولن يجتاز الصراط الا الصالحون .

وتؤكد القصص والحكايات بصورة تجلب الانتباه على الملكية الخاصة وتقديسها حتى ان الانسان لا يستطيع ان يأخذ عودا من بستان او مزرعة ما لم يستأذن صاحبها والا فسوف تقطع من جلده يوم القيامة (٢٠) وفي الحكايات المتداولة ما يوحي بالسكوت على الظلم وترك عقاب الظالم الى يوم القيامة وسوف يلقي جزاء عمله هناك . وفي هذه الافكار تشبيط للهمم لمحاسبة الظالم واستمادة حقوق الاخرين منه .

اما الصابئة فيعتقدون بالخلود ايضا وبوجود النار وعالم النور وهناك (المطري) (٢١) بين الجنة والنار يغلد فيه الانسان حتى يوم الحساب . واخيرا فقد حاول الانسان تخليد ذاته وبمختلف الطرق ومنها الطريقة الميتافيزيقية . ولكنه بدأ يخلد ذاته باعماله الخارقة التي

تحقق السعادة والمحبة والاخوة لجميع البشر وغلق الطرق الاستغلالية
البشعة ومواقف التعاسة والبؤس .
عندها تتحقق الجنة في هذه الدنيا ويعيش الانسان كإنسان يرفل
بحريته وكرامته بعيدا عن مخالب البؤس والجوع .

- (١) مصر القديمة - تأليف سليم حسن - مطبعة كوتر - مصر ص ٢٢٨ .
- (٢) مجلة التراث الشعبي - العدد ١١ - السنة الثالثة ١٩٧٢ - الزواج والنظام القبلي في جنوب العراق - حسين الجليل .
- (٣) شرورة الفن - تأليف فرنست فيشر - ترجمة اسمعء عبدالعليم - الهيئة المصرية العامة ١٩٧١ ص ٤٩ .
- (٤) اصل العائلة - فردريك انجلز - دار النماء ص ٧٧ .
- (٥) نصوص حول الموقف من الدين - ترجمة معهد الكبة - مراجعة العليخ الاخير - دار الطليعة - بيروت ص ٥٦ .
- (٦) مجلة الاقلام العراقية - العدد ٦ - ١٩٧٢ - دراسة في حضارة العراق : الشرق الاوسط والادنى القديمة - ترجمة د. وليد الجادر .
- (٧) ضياء الصالحين - ط ١١ - ١٣٨٤ هـ مطبعة الاداب - النجف - العراق ص ٢٢٩-٢٣١
- (٨) قصة الحضارة ج ١ م - تأليف وول ديورانت - ترجمة د. زكي نجيب محمود - جامعة الدول العربية .
- (٩) علم الترائع للشيخ الصديق ص ٢٩٨-٣٠٩ .
- (١٠) الصابئون في حاضرهم وعاضيتهم - السيد عبدالرزاق العسني - مطبعة الرافدان - لبنان - صيدا ١٩٥٥ ص ١١٨ - ١٢٨ .
- (١١) مجلة الكتاب المصرية عدد ٨ - ١٩٤٦ ص ٢٥٠ .
- (١٢) المنجد ص ٦٣١ - ١٩٦٠ ط ٢٠ ب ق .
- (١٣) الصابئون في حاضرهم وعاضيتهم - نفس المؤلف والمصاحفات .
- (١٤) معلم تاريخ الانسانية هـ ج . ويلز - ترجمة عبدالجليل جاويد ص ١٣٦ .
- (١٥) نظرية التطور واصل الانسان - سلامة موسى ص ١٩٦-١٩٨ .
- (١٦) وادي الرافدين مهد الحضارة - السير ليونارد دولي - تعريب احمد عبدالباقى - مكتبة المثنى - بغداد - مطابع دار القلم - القاهرة ، نظرية التطور واصل الانسان - نفس المؤلف ص ١٩٦-١٩٩ .
- (١٧) علم الترائع للشيخ الصديق ص ٢٩٨-٣٠٩ .
- (١٨) مصر اصل الحضارة - سلامة موسى ص ٥٣ .
- (١٩) مصر اصل الحضارة - سلامة موسى ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
- (٢٠) ارشاد الهينري ص ٣٩٤ - ٤٦٨ .
- (٢١) الصابئون نفس المؤلف والمصاحفات .

«عادات وتقاليد الحياة الشعبية في العراق»

ثبت الموضوعات

- ٤ - مقدمة: في تقاليد دورة الحياة العراقية باسم عبد الحميد حمودي
- ٦ - ملامح تراثية مشتركة في تقاليد دورة الحياة العربية لطفي الخوري
- ٢٣ - تشابه بعض عادات الزواج في الوطن العربي وبولنדה د.ك. سكارجنيسكا
- ٣٩ - تقاليد الزواج في الموصل سعيد الديوجي
- ٧٥ - مراسيم دورة الحياة في كربلاء سلمان هادي الطعمة
- ٩٤ - دورة الحياة في تلعفر علي التلعفري
- ١١٤ - استنزال المطر عند الاكراد نوري ياسين هوزاني
- ١١٧ - الموت في الفولكلور الكردي نهاد عبد الستار رشيد
- ١١٩ - تقاليد الزواج في تلسقف قرياتوس حنا
- ١٢٧ - تقاليد الزواج في القوش الياس مد الو
- ١٣٨ - السنن الاجتماعية عند اليزيدية ممتاز خلو
- ١٤٢ - تقاليد وأعراف من تكريت سليم طه التكريتي
- ١٥٠ - تقاليد النوح والحزن في سامراء عبد الجبار محمود السامرائي
- ١٥٥ - عادات وتقاليد الزواج في الكاظمية مهدي حمودي الانصاري
- ١٦٧ - عادات وتقاليد الحلية في العقم والولادة صباح نوري مرزوك
- ١٧٥ - مراسيم المآتم في الفرات الاوسط زينب حسن شربة
- ١٨٥ - فلسفة ما بعد الموت في الفكر الشعبي في الفرات الاوسط شاكر هادي غضب
- ٢٠٣ - في زواج الصائبة اديبة الخميسي
- ٢٢٠ - مراسيم الموت والخلود في الريف الجوبي حسين الجليلي



دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

السعر: دينار و سبعائة وخمسون فلساً